

القدس والوعد المفتري

تأليف

محمد السيد الشناوي



المكتبة العربية للطباعة



رئيس مجلس الإدارة
محمد حامد راضي



المكتبة المصرية للطباعة

١٢٢ اش جسر السويس - امام عمارات البرلمان - القاهرة - مصر
ت: ٢٢٥٩٥٨٤٦ - ف: ٢٢٥٩٥٨٤٥

E.mail:

almaktabalmasry@yahoo.com
mohamed_radi2000@yahoo.com

الشناوى ، محمد السيد

القدس والوعد المقترى لمحمد السيد الشناوى

القاهرة: المكتب المصرى للمطبوعات 2011

185 ص

تدمك: 5 - 065 - 407 - 977 - 978

1- القدس - تاريخ

2- القضية الفلسطينية

أ- العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب 2010/24149

I.S.B.N 978 - 977 - 407 - 065 - 5

ديوى 956,91

مقدمة

الحمد لله، ولا يُحمد على مكروه سواه.. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن سيدنا محمداً رسول الله؛ وبعد.. فقد طلب مني أخ كريم أن أكتب بحثاً صغيراً عن (القدس) يوزع على الناس، ونُذكرهم بمسؤوليتهم في تحرير القدس وفلسطين .

والقدس عزيزة على وعلى كل مسلم، فهي أولى القبلتين، و ثالث المسجدين، ومسرى رسول الله؛ فصادف ذلك هوى في نفسي، فأجبت بغير تردد، واخترت أن أكتب في أمور محددة، يحتاج إليها الناس في عصرنا، حيث تصحح أغاليط وضلالات روجها اليهود عن فلسطين وأهلها: لتخذيذ إخوانهم المسلمين عن نصرتهم، ويحسن أن ننبه القارئ عليها قبل الدخول في قراءة الكتاب.

♦ - إن القدس وفلسطين عربية إسلامية، وليس لليهود أي حق فيها.

♦ - وأن الوعد التوراتي بتمليك اليهود للقدس وفلسطين وما حولها من النيل إلى الفرات،

ومن لبنان إلى المدينة المنورة في السعودية وعد مفتري، ولا صحة له.

♦ - وأن المسجد الأقصى بعيد تماماً عن الهيكل المزعوم، وليس على أنقاضه كما يزعمون

♦ - وأن الفلسطينيين لم يبيعوا أرضهم لليهود، ولم يقصروا في حقها كما يشاع، وقد ركزت كثيراً على هذه الفكرة بالذات؛ باعتبارها السبب الكبير في كتابة هذا الكتاب .

وبينت أن اليهود وأذيانهم هم الذين روجوا وأشاعوا أكذوبة بيع الفلسطينيين أرضهم لليهود، لأجل تخذيذ المؤمنين عن نصره إخوانهم في فلسطين .

ولا يكفي أن نقرر هذه الحقيقة مجردة من حيثياتها، فكان لابد من هذه الدراسة الموجزة المتأنية.

هذا وقد بحثت في مكتباتي العربية قدر استطاعتي، وفي الكتب التي عُنت بالحدِيث عن فلسطين فلم أجد دراسة شافية ذات حيثيات تروي الظماً، أو تشفي العلة .

أجل، وجدت إجابات مختصرة في تصريحات أشبه بالتلفراف، أو فقرة في مقال، أو صفحة في كتاب، لكني لم أجد الدراسة التي أنشدها؛ مما حفزني لكتابة هذا الكتاب .

والله الموفق والمستعان

محمد السيد الشناوي

من علماء الأزهر .. وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

صفحة تراب - م المحلة الكبرى في 7 / 3 / 1422 هـ الموافق 2 / 6

شئت بعيني إن نسيتك يا قدس

لا أجد عصراً ضعفت فيه الأمة المسلمة ، وبلغت من الذل والهوان مبلغاً كبيراً كهذا العصر ، حيث تجرأ عليها الجبناء ، وتعزّز عليها الأذلاء ، وطمع فيها من لا يدفع عن نفسه ، وأضحت نهباً لكل طامع ؛ وفريسة لكل خادع.. وفلسطين واحتلالها وما يجري على أرضها على أيدي أجبن خلق الله شاهد على هذا .

احتل اليهود فلسطين وأقاموا عليها دولة لهم تحت اسم (إسرائيل) وزعموا أنها أرضهم و أرض آبائهم ، وأنها وعد الله لهم ، وأنها تمتد في زعمهم من النيل إلى الفرات.. وزاد بعضهم : ومن الأرز إلى النخيل.

أي من مصر إلى الفرات في العراق وسوريا ، ومن الأرز في لبنان إلى النخيل في السعودية (بلاد الحجاز حيث المدينة المنورة وخيبر ومحلات بنى قيقان ، وبنى النضير وبنى قريظة..)

وهكذا بلغ باليهود الاستكبار والعلو في الأرض ، فعالتوا بذلك على مسمع من العالم الإسلامي كله (مليار ونصف المليار مسلم) ، و لم يشأ قادة العالم الإسلامي إلا أن يعقد المؤتمرات - مؤتمراً تلو مؤتمر - ليلوكون فيها الشعارات الجوفاء ، ويتلون فيها الخطب الرنانة ، والتوصيات التي لم تجد مكاناً لها إلا الأرفف ، وكيف لا توضع على الأرفف وهي لم تتجاوز الفاظاً اشتهرت بيننا مثل: الاستنكار ، والشجب ، والتنديد ، والإدانة ... الخ ٩ .

وقد أدرك المسلمون أن قادتهم يخدعونهم فسخروا منهم ومن كلماتهم هذه : فتركها الحكام وظلوا قائمين على خذلانهم أهل فلسطين .

عرف اليهود حال العالم الإسلامي هذا فازدادوا علواً ، وأبوا إلا أن يخاطبوه بالسلح في كل مواجهة شعارهم قول الشاعر :

تكلّم السيّفُ فاسكت أيها القلمُ وتحدّث الذئبُ فارحل أيها الحَمَلُ

وظل اليهود إلى اليوم يقتلون في المسلمين كل يوم ، قتيلاً بعد قتيلاً ، وجنازة بعد جنازة ، وتدميراً بعد تدمير ، زاعمين أنهم ورثوا فلسطين عن أجدادهم ، وإن القدس عاصمتهم الأبدية ، وأن المسلمين احتلوها ، وبنوا الأقصى على أنقاض الهيكل السليماني المزعوم ، ويجب طردهم منها إلى غير رجعة .. فهل مزاعمهم هذه صحيحة ٩.

والجواب : كلا وألف كلا ، فلا فلسطين أرض آبائهم وأجدادهم ، ولا المسجد الأقصى بنى على أنقاض الهيكل المزعوم.

أولاً: فلسطين أرض عربية إسلامية ، وليس لليهود فيها حق :

ولنبداً أولاً ببيان نبذه مختصرة عن تاريخ القدس لتعرف هل هي وفلسطين أرض يهودية أم عربية ؟

1 - القدس لها تاريخ طويل ، متجذّر في عمق التاريخ والحضارات البشرية ، وقد نزح إليها قبائل العرب الكنعانيين من شبه الجزيرة العربية ، وسكنوها قبل الميلاد بألاف السنين ، وعرفت بهم ، وعرفوا بها ، فكانوا أهلها الأصليين الشرعيين ، قبل أن يعتدي عليها الإسرائيليون القدماء وغيرهم .
يذكر كثير من المؤرخين أن الكنعانيين العرب أو اليبوسيين يرجع تاريخ استيطانهم القدس إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد (1) .

وهذا في نظري تاريخ تقريبي ، وإلا فإن العرب الكنعانيين نزحوا إلى القدس من شبه الجزيرة العربية قبل هذا التاريخ بعيد ، فقد ذكرت نماذج الضخار التي عثر عليها المنقبون على منحدر تل (أوفيل) جنوب المدينة الحالية ، وأرجعوها إلى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد ، حيث كان العرب الكنعانيون سكنوا هذه المنطقة قبلها بألفي عام تقريباً ، أي قبل الميلاد بخمسة آلاف سنة تقريباً (2) ، حيث حلت موجة من الجفاف بشبه الجزيرة العربية .. واستقروا في الأرض الواقعة شرق البحر المتوسط والتي تشمل في الوقت الحاضر بلدان سوريا والأردن ولبنان وفلسطين .

وفي عام (4000) قبل الميلاد بنى العرب اليبوسيون _ وهم قبيلة منحدر من اصل كنعاني _ أول حصن لهم على تل (أوفيل) بمساحة تبلغ سبعين ألف متر مربع ، وكان بالحصن ثلاثون (برجاً) وسبعة (ابواب) في موقع محاط بالوديان من جهات ثلاث ، ولا يتصل مع الأرض إلا من الشمال حتى يمدّها بدرع وإق من هجمات الأعداء . ومن أبرز مدنهم الساحلية: (يبوس) وهي

(1) راجع : القدس عربية إسلامية د/ سيد فرج راشد ص 53 ، المسلمون واسترداد بيت المقدس د/ محمد الفحام ص 8 ، القدس قضية أمة د/ جاسم بن محمد مهلهل الياسين .

(2) وهذا ما انتهى إليه أيضاً الباحث الدكتور حسين شريف في كتابه الموسوعي : فلسطين من فجر التاريخ إلى القرن الأول الميلادي ص 120 .

القدس الحائية، ويروتويوس وهى (بيروت) الحائية، وصيدون وهى (صيدا) الحائية، وطرابلس وغزة، و(شكيم) وهى نابلس الحائية (1).

واثيوسيون قبيلة عربية كنعانية فى الأصل، وتؤكد الدلائل أن الفلسطينيين الحاليين ينحدرون منها.

وعلى هذا فالقدس مدينة عربية، بناها العرب الكنعانيون منذ آلاف السنين قبل الميلاد، وقبل أن يعرفها ويعتدي عليها الإسرائيليون وغيرهم من البشر.

وظل العرب الكنعانيون فى هذه الأرض مرتبطين بترابها، يصدون عنها غارات المعتدين، مثل المصريين وغيرهم.

وقد قال بعض المؤرخين: إن اثيوسيين تسمية أطلقها الفراعنة المصريون على هؤلاء العرب.

2- وجاء فى الوثائق المصرية القديمة أن مدينة القدس عرفت فى وقت لاحق باسم أوشاميم حينما كانت تلك المنطقة خاضعة للنضوذ المصري، وذلك قبيل هجمات الهكسوس عليها واحتلالها بين عامي 172 .: 1567 (2) قبل الميلاد تقريباً إلا أن (أحمس) المصرى قام بطرد الغازين الهكسوس، واستطاع الفراعنة الذين جاءوا من بعده بسط سلطانهم على كثير من المدن الآسيوية ومنهم: تحتس (3) الثالث (149 .: 1436) قبل الميلاد، و(أمتوفيس) الثانى (1436 : 1413) قبل الميلاد. (4)

وكان المصريون يطلقون عليها اسمها: اثيوس، وتارة باسم: يابيتى ويابتى، وأحياناً يستخدمون اسمها الكنعانى: أوروسالم .. أورو بمعنى مدينة وسالم .. أى السلامة .. ومن العلماء من يقول: إن سالم اسم إله وثنى عند اثيوسيين .. وهذا فى نظري بعيد .. ومن

(1) راجع: قبل أن تضع القدس " ص 9.

(2) نبه أن التواريخ القديمة للقدس تقريبية، وإلا فإن المراجع اختلفت فيها اختلافاً قريباً، ليس بعيد.

(3) جاء فى لوحات تل العمارنة أن ملك ييوس وقتئذ ويسمى (عبد خيبا) أرسل إلى ملك مصر الفرعونى وقتئذ ينتجده بمدد، لصد غارات شرازم الفجر، وكلمة (حبيرون أو حابرو) يكتنفها بعض الغموض، فمن العلماء من يرى أنها اسم العبريين .. ومن العلماء من يرى أن هذا خطأ، والصحيح أن لها مدلولاً عرقياً فى تلك الفترة، فكلمة عبرى- وقتئذ- كانت تشمل الآراميين، وجميعهم عرب نزحوا من موطنهم الأسمى فى الجزيرة العربية، قبل أن يكون لليهود وجود .. أى أن كلمة (عبيرو، أو حابروا) كانت تطلق على القبائل البدوية التى هاجرت من الجزيرة العربية قبل موسى عليه السلام. راجع القدس عربية إسلامية هامش ص 54. القدس مدينة الله أم مدينة داود ص 42.

(4) القدس الخالدة ص 42، 43، مصر القديمة 5/ 376- قبل أن تضع القدس ص 9

العلماء من يؤكد أن سالم ملك من ملوك ييوس خَلَفَ ملكها (ملكي صادق) ، وإليه نسبت ييوس أور سالم أي محلة سالم .. وهذا قريب جداً، فهو الذي زاد في المدينة، وبنى قلعة على جبل يقع في الزاوية الجنوبية الغربية، للدفاع عن ييوس، والذي عرف أيام دواد باسم جبل (صهيون).

3- وفي عهد سيادة المصريين القدماء على هذه المنطقة أتى سيدنا إبراهيم - عليه السلام - وأهله من (أور) الواقعة جنوبي العراق حوالي (19..) قبل الميلاد إلى سهول كنعان، واستقر في بقعة بوادي الأردن، وعاش مع الكنعانيين أصحاب الأرض الشرعيين. (1)

عرفت مدينة القدس في ذلك الوقت (بساليم) الذي كان يدعو إلى التوحيد وعبادة الله وحده، ونشأت علاقة طيبة بين إبراهيم - عليه السلام - و(ملكي صادق) (2) ملك اليبوسيين الذي يعتقد انه كان نبياً لقومه اليبوسيين ؛ حيث عُرف بأنه الملك العادل البار الرحيم ، والذي لم يعرف النساء قط، ولا أراق دماً، ولا أكل سوى الخبز وعصير العنب، وتزوج سيدنا إبراهيم - عليه السلام - من هاجر المصرية على هذه الأرض وأنجب منها إسماعيل عليه السلام (3) ثم انتقل إلى مكان بالقرب من الخليل ، وعاش هناك يدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد، كما أنجب سيدنا إسحاق - عليه السلام - من زوجته الأولى سارة وأنجب إسحاق يعقوب عليهما السلام .

وظلت العلاقة قائمة بين أبناء سيدنا إبراهيم - عليهم السلام- والكنعانيين على الاحترام والتوقير المتبادل ولم تنشأ بينهما أية منازعات قط ، حتى ترك أبناء يعقوب الأحد

(1) يذكر القرآن الكريم أن إبراهيم عليه السلام حينما هاجر إلى فلسطين كان معه زوجته ، ولوط عليه السلام ، كما يقول الله تعالى : (وَنَحْنُ لَهُ وِلْدَانٌ) [الأنبياء 71 ..]

وبطبيعة الحال كان مع إبراهيم عليه السلام زوجته سارة وجاريتها هاجر ، وكان معه لوط عليه السلام ... وهل كان معها آخرون ممن آمن بها من الأرض التي تركوها وهاجروا منها أم لا؟... الله أعلم .

(2) ومع أن العرب عرفوا (يوس) صحراء خالية وسكنوها ، إلا أنه يقال : أن (ملكي صادق) هذا هو أول من اختط (القدس) ، إلى أن أتى ملك آخر هو (سالم) وزاد فيها ، وبنى على جبل صهيون جنوبي (يوس) قلعة للدفاع عنها ، وسميت المدينة باسمه أو نسبت إليه قبيل (أورسالم) أي محلة سالم ، وهو الاسم الذي اعترته عوامل التعرية اللفظية لقبيل : أورشالم و(أورشليم) .

(3) ثم حمله إلى مكة ووضعه وأمه هاجر هناك في البيت الحرام بجوار الكعبة كما هو مشهور.

عشر مسكنهم في موقع يقترب من مدينة الخليل الحالية ، وقدموا إلى مصر في القرن الرابع عشر قبل الميلاد حيث استقبلهم أخوهم يوسف _ عليه السلام _ (1) .

4- وتذكر التوراة في سفر التكوين (2) منها أن إبراهيم - عليه السلام - لما هاجر ومعه زوجته سارة من العراق موطنه الأصلي إلى فلسطين كان عمره وقتئذ (75) خمسة وسبعين سنة .

وبعد خمسة وعشرين سنة وُلد لإبراهيم إسحاق من زوجته سارة.. أي كان عمر إبراهيم - عليه السلام - وقتئذ (101) مائة سنة .

ومات إبراهيم لـ ١٠٠ بأرض فلسطين وعمره كما تقول التوراة (175) خمسة وسبعون ومائة سنة.. أي عاش إبراهيم لـ ١٠٠ مائة سنة بفلسطين ، او تزيد قليلاً على وجه التقريب .

وتذكر التوراة أن إبراهيم لـ ١٠٠ ظل في فلسطين هذه الفترة الطويلة (قرناً من الزمان) لا يملك ذراعاً ولا متراً ولا شبراً من أرضها ، حتى أنه لما ماتت زوجته (سارة) طلب من الفلسطينيين قبراً لها فدفنوها فيه (3) .

ولما بلغ إسحاق (60) ستين سنة ولد له يعقوب .. ومات إسحاق لـ ١٠٠ على أرض فلسطين وعمره (180) ثمانون ومائة سنة و لم يملك هو الآخر ذراعاً ولا شبراً من أرضها .

وكان عمر يعقوب يوم وفاة أبيه (120) سنة ، وبعد عشر سنوات ، وارتحل إلى مصر ومعه بنوه وكان عمره وقتئذ (130) ثلاثين ومائة سنة ، وكان عدد بنيه وأبنائهم كما تقول التوراة سبعين ، ومات يعقوب بمصر وعمره (147) سبعة وأربعون ومائة سنة .

(1) راجع قبل أن تضع القدس ص 9 ، 1 . القدس عربية إسلامية ص 54 ، 55 .

(2) مع ملاحظة أن نقلنا عن التوراة ليس على التسليم المطلق بصحة كل ما جاء فيها ، إنما نجاري اليهود في مصادرهم لثبت لهم أنه حتى على مصادرهم لا صحة لما يزعمونه .

(3) ذكرت التوراة : إن إبراهيم لـ ١٠٠ قال لبني حثي أصحاب الأرض : أنا غريب وتزبل عندكم ، أعطوني ملك قبر معكم ؛ لأدفن ميتي من أمامي .. فقبل بنو حثي طلبه ، لأنه رئيس من الله بينهم ، ولكن إبراهيم عرض ثمناً لمغارة كان يملكها (عفرون بن صوحر) ليتخذها مقبرة ، فرفض عفرون الثمن ، وعرض المغارة هبة ، ولكن إبراهيم أصر على الشراء ، ودفع الثمن نقداً (سفر التكوين 23 / 16 : 3)

والحاصل: إننا لو حسبنا المدة التي سكنها إبراهيم وإسحاق ويعقوب وبنوه بفلسطين حتى دخولهم مصر، نجدها لا تزيد على (235) سنة أو تقل، وكانوا في هذه المدة رعايا غرباء، لا يملكون من أرضها شبراً، لم يُقيموا فيها دولة ولا سلطان.. وهي على النحو التالي:

(25) سنة قبل ولادة إسحاق، ويضاف إليها عمر إسحاق، وقد مات بفلسطين عن عمر يناهز (118). سنة، ثم (10) عند رحيل يعقوب إلى مصر، فيكون المجموع (235) سنة.

وتذكر التوراة أيضاً في سفري التكوين والخروج أن المدة التي عاشها الإسرائيليون بمصر (43). ثلاثون وأربعمئة سنة تقريباً، حتى خرج بهم موسى من مصر، وكانوا في هذه المدة على طولها غرباء، لم يملكون شبراً في مصر، حتى إن المصريين عاملوهم في فترتهم الأخيرة على أنهم غرباء لاجئون، وسامهم فرعون وجنوده سوء العذاب كما في القرآن الكريم (1).
ويذكر القرآن الكريم أن الإسرائيليين رفضوا الدخول مع الكنعانيين في معركة؛ حيث كان الكنعانيون في نظرهم جبارين، كما يقول الله تعالى في شأنهم: (قَالُوا يَا مُوسَى إِن فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنُذِلُّهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ) (المائدة: 21، 22).
وقد عاقبهم الله تعالى لأجل عصيانهم بالتيه أربعين سنة في سيناء وشرقي الأردن، كما يقول سبحانه: (فَأَنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ) (المائدة: 26).

وفي أثنائه هذه الفترة مات موسى _ عليه السلام _ في سيناء شرقي الأردن على مقربة من فلسطين، ودفن هناك على الكثيب الأحمر (الضججة) (2) ولم يدخل أرض فلسطين قط.

فلو حسبنا المدة منذ أن بعث إبراهيم - عليه السلام - إلى دخول الإسرائيليين أرض فلسطين بعد موسى لوجدنا أن الوعد التوراتي المزعوم الذي وعد الله به إبراهيم - عليه السلام - مضى عليه (700 سنة) سبعة قرون تقريباً، ولم يتحقق منه شيء، ولم تقم لبني إسرائيل على أرض فلسطين دولة.

وفي عهد يوشع بن نون تكرر اعتداء الإسرائيليين على فلسطين والكنعانيين، لكن الكنعانيين كانوا أقوياء؛ لأنهم كانوا متحدين، فصدوا اعتداءات الإسرائيليين المتكررة.

(1) يقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: (وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٍ) (البقرة: 49)

(2) راجع قصص الأنبياء لعبد الرهاب النجار ص 298 وفيه: أمر الله موسى عليه السلام أن يذهب إلى جبل "نبو" وأن ينظر إلى الأرض المقدسة ولا يدخلها، وهناك مات ودفن عليه السلام.

ولا ننسى أن نذكر أن الكنعانيين - أهل فلسطين - أمام هذا الاعتداء الإسرائيلي المتكرر على أرضهم كانت دولتهم قوية، وكلمتهم متحدة؛ ولهذا لم يستطع الإسرائيليون أن ينالوا منهم منالاً، لكن لم تدم لهم هذه الوحدة، ولم تبق لهم هذه القوة، فسرعان ما تفرقت كلمتهم، وعندئذ ضعفوا واشتد طمع الإسرائيليون فيهم؛ مما اضطرهم إلى التحالف مع المصريين وطلبوا عون ملوكهم، فلبى المصريون رغبتهم، وساعدوهم في صد غارات الإسرائيليين.

وأدت بهم هذه الاستعانة - بطبيعة الحال - إلى نوع من الخضوع لسلسلة من الضراعة المصريين مثل (تحتمس) الثالث 1479 ق.م، و(أمنحتب الثالث 1413 ق.م) .. و(توت عنخ آمون 1351 ق.م) و(سيتي الأول 1314 ق.م، ورعمسيس الثاني 1292 ق.م) وغيرهم.

والجدير بالذكر أن هذه الاستعانة وهذا الخضوع لم يفقدهم كيانهم باعتبارهم شعباً عربياً متماسكاً، يمارس حياة قومية خاصة به، ويحتفظ بحقه في حكم نفسه؛ حيث كان المصريون يكتفون بتحصيل الجزية منهم (1)

وفي نهاية الاعتداءات الإسرائيلية استطاع يوشع بن نون أن يدخل أرض فلسطين واستولى على (أريحا) وما بعدها من مدن في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، بعد أن دمرها وأباد أهلها وقسم أرضها على أسباط بني إسرائيل (2) كما تقول التوراة.

وهذا كله يبين لنا: أن الإسرائيليين حين دخلوا فلسطين كانت عامرة بأهلها الشرعيين - الكنعانيين العرب - فلم تكن أرضاً بغير شعب حتى يغتصبها شعب بغير أرض .

ومن قرأ أسفار التوراة يجد هذا واضحاً، ونذكر من نصوصها - للبيان لا للحصر- ما يلي:
قالت التوراة في سفر أخبار الأيام الأول (11 : 4، 5) : (4) وَذَهَبَ دَاوُدُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، أَيِ يَبُوسَ . وَهُنَاكَ أُنْبِيسِيُّونَ سُكَّانُ الْأَرْضِ . 5 وَقَالَ سُكَّانُ يَبُوسَ لِدَاوُدَ : « لَا تَدْخُلْ إِلَى هُنَا . فَأَخَذَ دَاوُدُ حِمْلَيْنِ صِهْيُونِ، هِيَ مَدِينَةُ دَاوُدَ .

1- قال سفر صموئيل الأول 4 : 2 : (2) وَأَصْطَفَى الْفِيلِسْطِينِيُّونَ لِلْقَاءِ إِسْرَائِيلَ، وَأَشْتَبَكْتَ الْحَرْبُ فَأَنْكَسَرَ إِسْرَائِيلُ أَمَامَ الْفِيلِسْطِينِيِّينَ) .. وقال أيضاً: (1) فَحَارَبَ الْفِيلِسْطِينِيُّونَ، وَأَنْكَسَرَ

(1) راجع : المسلمون واسترداد بيت المقدس للدكتور محمد الفحام ص 8 ، 9 وراجع تاريخ القدس لليد عارف العارف ص 11 ، 12 .
(2) راجع : القدس عربية إسلامية ص 56 .

إِسْرَائِيلُ وَهَرَبُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى خِيَمَتِهِ. وَكَانَتِ الضَّرِيئَةُ عَظِيمَةً جِدًّا، وَسَقَطَ مِنْ إِسْرَائِيلَ ثَلَاثُونَ أَلْفًا رَجُلًا. 11 وَأَخِذَ قَابُوتُ اللَّهِ

وتؤكد التوراة غربة الإسرائيليين عن القدس (يبوس).

فضى سفر القضاة 19 : 11 ، 13 نجد قصة رجل إسرائيلي غريب ، وقد مع جماعة له إلى مشارف يبوس، (11 وَفِيمَا هُمْ عِنْدَ يَبُوسَ وَالنَّهَارِ قَدِ انْحَدَرَ جِدًّا، قَالَ الْفَلَّامُ لِسَيِّدِهِ: «تَعَالَ نَمِيلُ إِلَى مَدِينَةِ الْيَبُوسِيِّينَ هَذِهِ وَنَبِيْتُ فِيهَا». 12 فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: «لَا نَمِيلُ إِلَى مَدِينَةٍ غَرِيبَةٍ حَيْثُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ هُنَا» (1).

وفى نفس السفر (1 : 21) تقول التوراة : (21 وَوَثُو بَنِيَامِينَ لَمْ يَطْرُدُوا الْيَبُوسِيِّينَ سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ، فَسَكَنَ الْيَبُوسِيُّونَ مَعَ بَنِي بَنِيَامِينَ فِي أُورُشَلِيمَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ).

كل هذا يؤكد بشهادة التوراة ان فلسطين كانت عامرة بأهلها العرب الكنعانيين حين اعتدى عليها الإسرائيليون ، وأن الإسرائيليين ظلوا فيها غرباء محتلون .

حتى بعد ان دخل الإسرائيليون بقيادة يوشع بن نون أرض فلسطين من أريحا، وأبادوا من أهلها ما أبادوا ، لم يحتلوا منها إلا التلال الداخلية الخلفية، بينما ظلت المدن الساحلية تحت يد الكنعانيين ، الذين ظلوا صامدين في صد غارات الإسرائيليين ، وظل الإسرائيليون في هذا العهد حتى عام 1020 قبل الميلاد شعباً غريباً معتدياً مخموراً ، ولم يقم لهم ملك ولا مملكة عرفت واشتهرت بهم.

ومع أن يوشع بن نون قسم ما استولى من فلسطين على أسباط بني إسرائيل الإثني عشر، وحدد مكان كل سبط ، وكانت مدينة القدس من نصيب سبطي يهوذا وبنيامين (سفر يوشع 15 - 8 : 63) إلا أن القدس ظلت إلى عهد داود (قضاة 19 - 10) وحتى السبي البابلي مدينة لسكانها الأصليين (اليبوسيين والعرب)، ولم يقدر بنو يهوذا على طردهم منها ، فسكنوا معهم فيها.

وقد وردت هكذا صراحة في الفقرة 63 من الإصحاح 15 من سفر يوشع وهي ما نصه : (63 وَأَمَّا الْيَبُوسِيُّونَ السَّاكِنُونَ فِي أُورُشَلِيمَ فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو يَهُودَا عَلَى طَرْدِهِمْ، فَسَكَنَ الْيَبُوسِيُّونَ مَعَ بَنِي يَهُودَا فِي أُورُشَلِيمَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ) .

(1) راجع القدس .. سامى حكيم ص 13 ، 14 .

وظل اليبوسيون هم أصحاب اورشليم الشرعيون ، وسكانها الأصليون ، واليهود غرباء أقلية فيها حتى السبى البابلي 587 ق م ، حتى إن التوراة ذاتها زعمت أن داود حين أراد بناء الهيكل المزعوم اشترى (بهدراً) كان لا يزال مملوكاً لعربى ييوسى يدعى (ارونة) (1).

والذي نذكره هنا : أن الإسرائيليين ظلوا بعد يوشع بن نون قريباً من (200) سنة لم يقيم لهم ملك ولا دولة على أرض فلسطين بالمعنى السياسي والسيادي ، إنما حكمهم في تلك الفترة جماعة من القضاة الكهنة ، فيما يُعرف بعهد القضاة ، ثم جاء بعد عهدهم حكم الملوك ، كما سنبينه .

والجدير بالذكر أن العرب لم يستسلموا للاحتلال الإسرائيلي طول حكم القضاة ، فكانوا يغزونهم كلما سنحت لهم الفرصة ، وقد حدث أن استغلوا تمزق الإسرائيليين ، وشنوا هجوماً مضاداً من الناحية الساحلية ، وانتهوا إلى داخل فلسطين وهزموا الإسرائيليين ، وشردوهم واخذوا تابوت العهد ، وهدموا الهيكل .

وفي هذه الفترة من الهزيمة والتشرد طلب بنو إسرائيل من نبي لهم بعد موسى لا (يذكر سفر صموئيل الأول أنه (صموئيل النشبي) (2) - من سبط بنيامين- وكان آخر القضاة ، والذي للمم شامل الإسرائيليين .. طلبوا منه أن يرشح لهما ملكاً كسائر الشعوب يخرج أمامهم ويحارب حروبهم ، ويحاربون تحت قيادته. فاختار لهم شاءول- من سبط بنيامين أيضا- ليكون أول ملك عليهم ، ويسميه القرآن الكريم طالوت ، يقول الله تعالى : (أَلَمْ نَرِ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ إِنَّهُ لَمَلِكٌ لَنَا نُنَاقِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ

(1) قال (صموئيل الثاني 24- 18 : 25) : (18) فَجَاءَ جَادِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى دَاوُدَ وَقَالَ لَهُ : «اضْئِدْ وَأَقِمِ لِلرَّبِّ مَذْبَحًا فِي بَيْتِ أُرُونَةَ النَّبِيِّيِّ» . 19 فَضَعِدَ دَاوُدُ حَسَبَ كَلَامِ جَادِ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ . 20 فَتَطَّلَعَ أُرُونَةَ وَرَأَى الْمَلِكَ وَرَعِيْدَهُ يُقِيلُونَ إِلَيْهِ ، فَخَرَجَ أُرُونَةَ وَسَجَدَ لِلْمَلِكِ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الْأَرْضِ . 21 وَقَالَ أُرُونَةُ : «يَا دَاوُدُ جَاءَ سَيِّدِي الْمَلِكُ إِلَى عَتِيْبِهِ؟» فَقَالَ دَاوُدُ : «لَأَشْرِي بِمَنْكَ الْبَيْتَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ فَتَكْفُفُ الضَّرْبَةَ عَنِ الشَّعْبِ» . 22 فَقَالَ أُرُونَةَ لِدَاوُدَ : «فَلْيَأْخُذْهُ سَيِّدِي الْمَلِكُ وَيُضْعِدْ مَا يَحْسُنُ فِي عَتِيْبِهِ» . أَنْظَرُ . الْبَقَرُ لِلْمُخْرَقَةِ ، وَالنَّوْرُجُ وَأَدْوَاتُ الْبَقَرِ حَطَبًا» . 23 أَلْكَلُّ دَفْعَةُ أُرُونَةَ الْمَلِكِ إِلَى الْمَلِكِ . وَقَالَ أُرُونَةَ لِلْمَلِكِ : «الرَّبُّ إِلَهُكَ يَرْضَى عَنْكَ» . 24 فَقَالَ الْمَلِكُ لِأُرُونَةَ : «لَا ، بَلْ أَشْرِي بِمَنْكَ بِمَنْ ، وَلَا أُضْعِدُ لِلرَّبِّ إِبْهِي مَخْرَقَاتٍ بَعَائِيَّةً» . فَاشْتَرَى دَاوُدُ الْبَيْتَ وَالْبَقَرَ بِخَمْسِينَ شَاةً مِنَ الْفِضَّةِ . 25 وَتَنَى دَاوُدُ هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَأَضْعَدَ مَخْرَقَاتٍ وَدَبَائِحَ سَلَامِيَّةً ، وَاسْتَجَابَ الرَّبُّ مِنْ أَجْلِ الْأَرْضِ ، فَكَفَّتِ الضَّرْبَةُ عَنِ إِسْرَائِيلَ .

(2) يذكر القرآن الكريم أنهم طلبوا من نبي لهم فهل هو صموئيل النشبي ؟ .. الله أعلم . (سورة البقرة الآية رقم 349)

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَاتِلَنَا وَمَا نَحْنُ إِلَّا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا
وَأَبْنَانَنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ❖ وَقَالَ لَهُمْ
نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ
مِنْهُ وَلَمْ يَأْتِ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ
يُؤْتِي مَلَكَةً مَّن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ❖ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ
سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (البقرة - 246 : 248) .

وفى إحدى المعارك دعا القائد الفلسطينيين (جليات) (ويسميه القرآن الكريم جالوت) الإسرائيليين للمبارزة ، وخرج إليه داود واستطاع أن يتغلب عليه ، ويقتله بحجر أطلقه عليه من مقلع لسخرية (جليات) به ، وعدم تأهيه لمبارزته ، ثم قطع داود رأسه وأخذها ليخبر بانتصاره ، ومر بها على أورشليم. ومنذ ذلك الحين أخذ داود يملأ عين الإسرائيليين ، ويستحوذ على أذهانهم وعواطفهم (1)

ويذكر الله تعالى القصة إجمالاً للانتفاع بعبورها ، يقول الله تعالى : **وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَكَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ❖ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ (البقرة : 25 ، 251) .**



(1) راجع في هذا (سفر صموئيل الأول) الإصحاح الثامن ، الشقاق بين شاول وداود بعيد جداً ، فشاءول هو طالبوت الذى اصطفاه الله لبنى إسرائيل وأيده بالعلم والقوة .. وداود هو نبي الله المعروف ، فكيف يقع التحاسد والمطاردة بينهما .. والحق أن هذا من افتراءات التوراة وتحريفاتها .
راجع القدس .. مدينة الله أم مدينة داود ص 64 .

دولة بنى إسرائيل :

ومن وقتئذ بدأ ما يُسميه المؤرخون عهد الملوك ، أو عهد الدولة الإسرائيلية بمعناه السياسي أو السيادةي ، والذي بدأ بطالوت أو شاول ثم داود وسليمان عليهما السلام ، ولم يستمر ذلك لهم سوى (100) سنة تقريباً ، أو يقل عن ذلك كثير .

وبعد وفاة نبي الله سليمان انقسمت الدولة اليهودية إلى دولتين متعاديتين ، وهذا الانقسام هو بداية ضعفهما الذي انتهى بسقوطهما .

الدولة الأولى : (إسرائيل) في الشمال وعاصمتها شكيم أو (نابلس) وتم يطل عمرها كثيراً ؛ حيث قضى عليها ملك آشور (سرجون) عام 722 ق م ، وأزال وجودها زوالاً تاماً ، وخاصة بعد أن نقل أهلها إلى شرقي انضرات ، وأحل محلهم من أبناء الرافدين .

الدولة الثانية : (اورشليم) مملكة يهوذا في الجنوب ، وعاصمتها (القدس أو اورشليم) ، وعاشت أكثر من أختها ، حتى دمرها ملك بابل (نبوخذ نصر) عام 586 ق م ، وسبى أهلها ونفاهم إلى بابل .

قال الدكتور محمد الضحام : وبهذا يتبين أن كيان اليهود السياسي لم يقيم بفلسطين إلا في فترة متأخرة جداً ، وتبضع قرون لا تتعدى في عددها أصابع اليد الواحدة (أربعة قرون ونصف تقريباً) من بين عشرات القرون (خمسين قرناً أو تزيد كثيراً) مرت على هذه الأرض ، وهي مأهولة متحضرة بأهلها الشرعيين (العرب والمسلمين) (1) .

اليهود بعد سقوط إسرائيل ويهوذا :

أجل ، خلت فلسطين تقريباً من اليهود إثر سقوط مملكتي إسرائيل ويهوذا ، وفي سنة 538 ق.م احتل (قورش) ملك الفرس بلاد بابل ، ومن ثم أصبح له السلطان على أرض فلسطين ؛ وأطلق الفرس على بنى إسرائيل اسم اليهود ، وأطلقوا على عقيدتهم اسم اليهودية (2) ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت كلمة (اليهود) تعني مَنْ اعتنق اليهودية ، ولو لم يكن من بنى إسرائيل (3) وهذا هو الفرق بين اليهودي والإسرائيلي ، وسمح (قورش) لليهود بالعودة إلى فلسطين ، واستأنف عهد الحرية بها في ظله ، ولكن أكثر اليهود كانوا قد انقوا

(1) المسلمون واسترداد بيت المقدس ص 13

(2) راجع قصة العقائد ص 18 - سليمان مظهر .

(3) راجع تاريخ العرب قبل الإسلام .. جواد علي 6 / 95 .

الحياة البابلية ، وامتدت بهم أعراقهم ، وعرفوا بها خصب العيش والتجارة الرابحة ، ومن ثم استقر رأى الأغلبية منهم على البقاء في بابل (العراق) ، ولم تقبل العودة إلى فلسطين إلا قلة منهم بدأت رحلتها بعد سنتين من مجيء (قورش) ، وقد أعادوا بناء المدينة المقدسة ، كما بنوا معبداً صغيراً مكان الهيكل بتصریح من (قورش) ، ولكن عودتهم هذه كانت عودة أفراد مقهورين ، وليست عودة دولة (1) وظلوا على هذا الحال .

والجدير بالتسجيل أن هذا الانتصار الفارسي على الرومان أحزن المؤمنين في عهد النبي P ؛ فقد ترتب عليه سقوط أرض القدس في أيدي الفرس ، وعودة اليهود إليها ثانية ، فأخبر الله تعالى هؤلاء المؤمنين أن معركة الرومان ضد الفرس لم تنته بعد ، وستنشب مرة أخرى وينتصر الروم عليهم ، ويستردوا فلسطين ويطردوا اليهود منها ، يقول الله تعالى : (غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿ فِي بضعِ سنينَ لهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفِرُّ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَأِخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم - 2:6)

وقد صدق الله وعده ، وفي بضع سنين دارت المعركة مرة أخرى ، وانتصر الرومان ، وخضعت فلسطين لسلطانهم وأذاقوا اليهود سوء الدمار والعذاب ثلاث مرات متوالية على يد الأباطرة : بومبي .. تيتوس .. فلافيوس .. وهيريانوس) وبذلك قضى على دولتهم الهزيلة ، ولم يبق لهم دولة أو كيان بعد ذلك (2) .

وحتى ينسى اليهود أورشليم دمرها (هيريانوس) ، وأنشأ مكانها مدينة جديدة أطلق عليها (يليا كابتولينا) (3) وبنى مكان هيكلها معبداً للإله الوثني (جوبيتر) كبير آلهة الرومان ووضع فيه تمثالاً لهذا الإله ، كالتماثيل القائمة في معبد (الكابيتول) وأقام تمثالاً لنفسه أمام المعبد ، وقرر أن يغير في المدينة كل شيء ، حتى اسمها جعله مركباً من اسمه (يليا) واسم (الكابيتول) (معبد جوبيتر) الكبير فسمها : إيليا كابتولينا . (4)

ولم يسمح لأي يهودي بدخولها لمدة قرنين من الزمان ، ولم يُرفع هذا التحريم إلا في القرن الرابع الميلادي ، حينما سمح لهم بزيارة موقع المعبد في يوم واحد من كل عام هو يوم 9

(1) راجع اليهودية ص 93 ، 94 .

(2) راجع السابق .. والقدس لسامي حكيم ، وتاريخ القدس للسيد عارف ، والمسلمون واسترداد القدس د / محمد الفحام .

(3) مخط اليهودية ص 26 .

(4) راجع القدس مدينة الله أم مدينة داود ص 88 .. القدس الخالدة 154 ، 155 .

اغسطس ، ثم أُلغى هذا التحريم في القرن التالي لذلك التاريخ ، إذ تدخلت الإمبراطورة (أيدوكسيا) أرملة الإمبراطور (ثيودوسيوس الثاني) واستطاع اليهود مرة أخرى الإقامة في المدينة (القدس).

لقد كان التحريم شديداً أيام هدریان حتى أن اليهود الذين تحولوا إلى المسيحية لم يسمح لهم بالدخول إلى المدينة .. أما غير اليهود والمسيحيون خاصة فكانوا أحراراً في الدخول إليها(1).

وهذا هو التدمير الثاني والأخير لأورشليم على يد الرومان ، وبعده لم تقم لليهود دولة على أرض فلسطين إلا في عصرنا .

والخلاصة .. إننا بعد ذلك نستطيع القول : إن الفترة التي عاشها الإسرائيليون في فلسطين تتلخص فيما يلي :

1 - (235) سنة عاشها إبراهيم وسحاق ويعقوب وبنوه حتى قدومهم إلى مصر .

2 - (.. 2) سنة تقريباً بعد دخولهم فلسطين مع يوشع بن نون ، وحكمهم فيها القضاة الكهنة

3 - (.. 1) سنة على الأكثر عمر دولتهم في فترتها الذهبية السيادية في عهد الملوك طالوت ، وداود وسليمان .

4 - (349) سنة تقريباً هي عمر الدولتين المتعاديتين (إسرائيل ، ويهوذا) بعد انقسامهما

هذا كل ما عاشه الإسرائيليون في فلسطين ، ولم يقم لهم فيها دولة بالمعنى السياسي والسيادي إلا في حدود (450) سنة تقريباً على الأكثر ، منذ عهد الملوك إلى نهاية الدولتين المتعاديتين ، وهو كما قال الدكتور أحمد شلبي أشبه بفترة احتلال هولندا لإنдонسيا ، وانجلترا لمصر والهند (2) .

قال الشيخ عبد المعز عبد الستار : فلو جمعت كل السنوات التي عاشوها في فلسطين غزاة مخربين ما بلغت المدة التي قضاهم الإنجليز في الهند أو الهولنديون في إندونسيا ؛ فلو كان مثل هذه المدة حق تاريخي لكان للإنجليز والهولنديين أن يطالبوا به مثلهم 1

(1) راجع : القدس الخالدة ، ص 155-د/ عبد الحميد زايد .. قبل أن نضيع القدس ص 15

(2) راجع : اليهودية ص 92 .

ولو كانت الأرض تملك بطول الإقامة في زمن الغربة لكان الأولى بهم أن يطالبوا بملكية مصر التي عاشوا فيها (430) ثلاثين وأربعمئة سنة بدل فلسطين التي عاش فيها إبراهيم وأولاده (235) مائتي سنة أو تزيد قليلاً ودخلوها شخصين (إبراهيم وزوجته) وخرجوا منها سبعين نفساً .

لكن هؤلاء اليهود لا يدعون الحق في امتلاك أرض فلسطين وحدها ، وإنما يدعون الحق في امتلاك الكرة الأرضية كلها (1) .

وفي نكبة (5 يونيو 1967) سأل مندوب (الأسوشيتدبرس) جندياً إسرائيلياً : ما هي حدود دولة إسرائيل ؟ .. فأجاب بكل صلف وغرور : (حيث اضع قدمي) وضرب بحذائه الأرض (2) .

وكلام الجندي هذا لم يقله من عند نفسه ، بل من التوراة ذاتها ، ففي سفر يشوع (1 / 3) تقول التوراة : كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته ، كما كلمت موسى .

إن الحق التاريخي الذي يدعونه - كما يقول الشيخ عبد المعز - خرافة وصلافة ، فهم لم يقيموا في فلسطين إلا غرباء ، كما تصرح بذلك الأسفار ، فهل للغريب أو عابر السبيل أن يدعى ملكية الأرض التي أقلتة ، أو الشجرة التي أظلتة ، لأنه قضى وقت القيلولة تحتها ساعة من نهار ؟ على أنهم لم يقيموا بها آمنين عاملين مستثمرين ، وإنما أقاموا في سلسلة متصلة من الغارات الدامية ، والحروب الدائرة التي لم تتوقف فيما بينهم وبعض (يهودا وإسرائيل) وفيما بينهم وبين الفلسطينيين .

وقد بلغ عدد من قُتلوا من الفلسطينيين مائتي ألف قتيل (3) ، وعدد من قتلهم (دواد) وحده بعد ذلك أكثر من (100) ألف قتيل حسب قول كتبهم (4) ثم داهمهم الغزو البابلي فبدهم وأزال وجودهم من فلسطين .

على أنهم لم يكادوا ينفكون من الغزو البابلي حتى جاءهم الغزو الروماني ، فأباد خضراءهم ومزقهم شرممق ، ثم جاء الفتح الإسلامي وهم مشردون في الأرض ، ولم يكن لهم في فلسطين

(1) راجع : القدس قضية كل مسلم د / يوسف القرضاوي ص 52 .

(2) راجع : صحيفة الأخبار 1 . يونيو 1967 م . ذكر مثل ذلك الزعيم الإسرائيلي (ابن جوريون) قال : حدود

إسرائيل تكون حيث يقف جودها .. (راجع مذكرات المشير محمد عبد الغنى الجسمي ص 9)

(3) كما ذكر سفر القضاة ، من التوراة التي بين أيديهم .

(4) راجع : سفر الملوك : 2 ، 3 .

دولة ولا سلطان، فحرم عليهم ان يقيموا في (أورشليم) بناء على طلب المسيحيين فيها، حتى إن البطريرك (صفرنيوس) بطريرك القدس شرط على أمير المؤمنين (عمر) وهو يسلمه مفااتيح القدس، إلا يسمح لليهود بدخول (إيليا) أو الإقامة فيها .

لقد دخلها المسلمون صلحاً عام 636م، وهي خالية من اليهود بعد ما طردهم الرومان، وأسلم أهلها وبقى المسلمون فيها إلى يوم الناس هذا، أفلا يكن لهم وحدهم الحق التاريخي فيها أكثر من غيرهم؟ (1). (1) هـ

أجل، كان الفتح الإسلامي الأول للقدس في رحلة الإسراء والمعراج، حيث أسرى الله تعالى برسولته - صلى الله عليه وسلم - ليلاً، وصى في المسجد الأقصى إماماً بالأنبياء (2)، فكان هذا إيذاناً باستلام الإسلام للقدس وما حولها على مشهد أرفع وأكرم مجموعة عرفها هذا الكون من البشر ومن الملائكة، فوضعوا بذلك حجر الأساس للسيادة الإسلامية على القدس وفلسطين.. ونزل في ذلك قول الله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الاسراء:1) (3)

ثم كان إقرار إسلامية القدس وفلسطين حينما جعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى في الصلاة، وظلت قبلتهم ثلاث سنوات تقريباً حتى حولت إلى الكعبة، ونزل فيها قول الله تعالى: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَنَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْتَدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة: 142) .

13- ثم كان الفتح الإسلامي العسكري للقدس وفلسطين وهو الفتح المعروف في عهد عمر بن الخطاب T علي يد الجيش الإسلامي، تحت قيادة أبي عبيدة ابن الجراح ومن معه، الذين دعوا أهلها إلى الإسلام أو الجزية، وبعد حصار القدس، وبأس الرومانيين من النصر وفرارهم، وعلي رأسهم قائدهم (أرطوبون) أطل بطريركها (صفرنيوس) علي الجيش الإسلامي من فوق أسوار المدينة، وقال لهم: إننا نريد ان نُسلم، ولكن بشرط أن يكون التسليم لأميركم، فقدموا

(1) انظر: اقرب الوعد الحق يا إسرائيل للشيخ عبد المعز عبد الستار ص 17-21، وكتاب: هل لبني إسرائيل حقوق تورانية في فلسطين العربية؟ لمحمد أحمد أبو فارس، نشر مكتبة بيت الحكمة للإعلام والنشر والتوزيع .
(2) حديث صحيح .. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان من صحيحه، باب صلاة النبي P بالأنبياء برقم 429 .
(3) راجع: المسلمون واسترداد بيت المقدس ص 15 .

له أمير الجيش فقال : لا ، إنما نريد الأمير الأكبر - أمير المؤمنين - (1) وكتب أبو عبيدة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال : إن القوم يريدون تسليم المدينة ، لكنهم يشترطون أن يكون ذلك بيدك شخصياً .

(١) من المناسب أن نقل هنا ما ذكره الكولونيل (عبد الله التل) في كتابه (خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية ص 127 إلى ص 13) . عن رواية غير المسلمين لفتح الإسلام للقدس قال : حينما كنت قائداً لمعركة القدس سنة 1948 م اطلعت على كتاب يوناني مخطوط في دير (المصلبة) يذكر حادثة مجيء الخليفة عمر بن الخطاب - ع - لتسلم بيت المقدس من الروم المهزيمين . وقد ترجم الأستاذ (على رشدي) نص الكلام اليوناني فبدأ مطابقاً في كثير من الوجوه لنصوص التاريخ الأخرى التي أشارت إلى حادثة تسليم بيت المقدس ، ومع أن هناك بعض الاختلاف في التفاصيل ، وعدم الدقة في بعضها إلا أنني أرى من الفائدة ذكر ما قاله الروم عن تلك الحادثة العظيمة قال : لما اشتد حصار جيوش المسلمين لبيت المقدس سنة 636 م ، أطل البيطريك (صفرونيوس) على المحاصرين من فوق أسوار المدينة ، وقال لهم : إننا نريد أن نسلم لكم بشرط أن يكون التسليم لأميركم . قدموا له أمير الجيش .. فقال : لا ، إننا نريد الأمير الأكبر ، نريد أمير المؤمنين ، نكتب أمير الجيش إلى عمر بن الخطاب يقول : إن القوم يريدون تسليم المدينة ، لكنهم يشترطون أن يكون ذلك بيدك شخصياً .

فخرج عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من المدينة قاصداً بيت المقدس ومعه راحلة وغلّام ، فلما صار في ظاهر المدينة قال لغلّامه : نحن اثنان والراحلة واحدة ، فإن ركبت أنا ومشييت أنت ظلّمتك ، وإن ركبت أنت ومشييت أنا ظلّمتي ، وإن ركبتنا نحن الاثنان قصمنا ظهريها ، فلنقتسم الطريق مثلك . وأخذ عمر يركب مرحلة ويقود الراحلة مرحلة ، والغلّام يركب مرحلة ويقود الراحلة مرحلة ، وتمشى الراحلة أمامها متخففة من حمل أحد مرحلة .. وهكذا استمر عمر يقتسم الطريق مثالته بين نفسه وبين غلامه وبين راحلته من المدينة ، حتى بلغ جبلاً مشرفاً على القدس - (لم يذكر الكتاب مرور الخليفة بالجالية حيث استقبله قادة المسلمين) - وصادف أن كانت ببلوغه "القدس" قد انتهت مرحلة ركوبه ، فكبر من فوق رحل الراحلة - (وسمى ذلك الجبل من يومئذ بجبل المكبر) - ولما فرغ من تكبيره قال لغلّامه : دورك .. اركب .. فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ، لا تنزلن ولا أركبن ، فإننا مقبلون على مدينة فيها مدنية وحضارة ، وفيها الخيول المظهمة المرسجة ، والعربات المذهبة ، فإن دخلنا على هذه الصورة - أنا وراكب على الراحلة وأمير المؤمنين أخذ بمقودها - هزأوا بنا ، وسخروا من أمرنا ، وقد يؤثر ذلك على نصرنا ، فقال عمر : دورك .. لو كان الدور دوري ما نزلت وما ركبت ، أما والدور دورك فوالله لأنزلن ولتركبن .. ونزل عمر وركب الغلام الراحلة وأخذ عمر بمقودها .. فلما بلغ سور المدينة وجد نصارها في استقباله خارج بابها المسمى بباب "دمشق" وعلى رأسهم البيطريك (صفرونيوس) فلما راوه أخذوا بمقود الراحلة وغلّامه فوق رحلها أكبروه وخروا له ساجدين .. فأشاح الغلام عليهم بعضاه من فوق رحلها وصاح فيهم : ويحكم ارفعوا رؤوسكم فإنه لا ينبغي السجود إلا لله .. فلما رفعوا رؤوسهم اتحنى البيطريك "صفرونيوس" ناحية ويكبي .. فتأثر عمر وأقبل عليه يطيب خاطره ويواسيه قائلاً : لا تحزن هون عليك ، فالدنيا دواليك ، يوم لك ويوم عليك .. فقال (صفرونيوس) : أظننتني لضياح الملك بكيت .. ؟ والله ما لهذا بكيت ، وإنما بكيت لما أيقنت أن دولتكم على الدهر باقية ، ترق ولا تنقطع ، فدولة الظلم ساعة ، ودولة العدل إلى قيام الساعة ، وكنت حبستها دولة فاتحنى فمرثم تنقرض مع الستين .

وقدم عمر بن الخطاب T وأسلم المدينة حقناً للدماء ، وكان من شروط تسليمها شرطان :

أ - أن لا يسكن بإيلياء أحد من اليهود معهم . وكان هذا من مطالب البطريك (صفرونيوس) لمعرفته بأخلاق اليهود الدنسة ، ونواياهم الخبيثة.

ب - أن يخرج منها الرومان .. فأعطاهم عمر بن الخطاب العهد على ذلك ، وتم استلام المدينة .

وها هو ذا العهد العمري :

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل (إيلياء) من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، سقيمها ويرثها وسائر ملتها ، انه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ولا ينتقض منها ولا من حيزها ولا من صلبهم ولا شئ من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء أحد من اليهود .

وعلى أهل (إيلياء) أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مآمنهم ، ومن اقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل (إيلياء) من الجزية ، ومن أحب من أهل (إيلياء) أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويحلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم ، وعلى بيعهم ، وعلى صلبهم حتى يبلغوا مآمنهم ، ومن كان فيها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه

وخطب عمر في تلك الجموع الحاشدة مستهلاً خطبته بقوله : يا أهل (إيلياء) لكم ما لنا وعليكم ما علينا .. ثم دعاه البطريك (صفرونيوس) لتفقد كنيسة القبر المقدس (كنيسة القيامة) فلبى دعوته ، وأدرسته الصلاة وهو فيها ، فالتفت إلى البطريك وقال له : أين أصلي ؟ .. فقال : مكانك صل .. فقال : ما كان لعمرا أن يصل في (كنيسة القيامة) فيأتي المسلمون من بعدى ويقولون : صلى عمر ، وبنون عليه مسجداً .. وابتعد عنها رمية حجر وفرش عباة وصل .. وجاء المسلمون من بعده وبنوا على مصلاه مسجداً ، وهو قائم على رمية الحجر من كنيسة القيامة إلى يومنا هذا .

ثم سأل عمر البطريك (صفرونيوس) عن موضع المسجد الأقصى ، فدلّه على عمود داود وكرسى سليمان ، حيث مكان (المسجد الأقصى) فوجده مغموراً بالقيامة .. وفرش عمر " الظالم .. (هكذا في النص) عباة وأخذ ينزح فيها القيامة من مكان المسجد ويلقيها في الأودية ، واقنّدى به قادة المسلمين ورؤساء الجند حتى طهروا تطهيراً .. ثم بنى عليه مسجداً . أ هـ . (بنى المسجد أولاً من الخشب) .

وجدير بالذكر أنني رأيت مع النص الذي ذكرته رسماً يمثل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- حين دخوله القدس ، وقد رسموه في ثياب أهل الجزيرة العربية ملتجئاً داخلاً من باب دمشق- باب العمود- ذا مهابة وجلال ووقار ، ماشياً على قدميه في تواضع المخلصين الأبرار ، أخذاً مقود الراحلة يبراه ، وإلى أعلى رافعاً يمتناه ، محذراً الساجدين له من السجود لغير الله .. كذلك يمثل الرسم الغلام أجرد أسود مستقراً فوق رحلها ، رافعاً في وجوه القوم عصاه ، مستكراً سجدتهم لمولاه ، صائحاً فيهم : (إنه لا ينبغي السجود إلا لله) . أ هـ .

ما على أهل (إيلياء) من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شئ حتى يحصدوا حصادهم .

وعلى ما في هذا الكتاب من عهد الله ، وذمة رسوله ، وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

كتب وحضر سنة خمسة عشره (636م) شهد على ذلك : خالد بن الوليد ، وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان .

ومضى عمر بن الخطاب إلى الصخرة فوجد عليها (زيلاً) كثيراً مما طرحته الروم ؛ غيضاً لبني إسرائيل ، فبسط رداءه ، وجعل يكنس ذلك الزيل ، وأخذ المسلمون يكنسون معه الزيل حتى نظفت (1).

وبذلك انتهى الوجود الروماني من فلسطين ، وتمتعت فلسطين بالسيادة الإسلامية عليها .

معنى هذا أن المسلمين حين فتحوا القدس وفلسطين استلموها من الرومان بعد أن طردوهم منها ، واستسلم المسيحيون من أهلها القدس عن طواعية ، ولم يكن لليهود فيها دولة ، ولا وجود سياسي يذكر ، فقد أخرجهم الرومان منها منذ قرون عديدة ، وتم تدمير هيكلهم المزعوم تماماً ، ولم يعد له أثر مطلقاً ، وخاصة بعد تدميره مرة بعد مرة ، وأقيم مكانة معبد للوثن الروماني (جوبيتر) كبير آلهة الرومان (2).

ومن الملاحظ أن الصحابة حين فتحوا بيت المقدس ، وأعادوا بناء المسجد الأقصى كان قد مضى على تخريب الهيكل المزعوم نحو ستة قرون تقريباً ، ولم يجد الصحابة له أثراً يعرفونه به ، ولو وجدوا له أثراً لورد ذلك عنهم بأساتيد صحيحة ، وتوارثته الأجيال عنهم ، مع التنبيه على أن الصحابة أعلى جيل إسلامي في العدل والصدق والأمانة والالتزام بهدي الإسلام .

14- ثم كان الاحتلال الصليبي للقدس وفلسطين عام 492هـ بعد أن بقيت بيد المسلمين (5 . سنة) خمسة قرون تقريباً ، وقتلوا من المسلمين عشرات الآلاف ، بل قتلوا في المسجد الأقصى وحده سبعين ألفاً من المسلمين كانوا قد اعتصموا به (11) ثم حوّل الصليبيون المسجد الأقصى إلى كنيسة (11)

(1) راجع الأنس الجليل 1/ 153 ، 227 لمجير الدين الحنبلي .

(2) راجع القدس مدينة الله-أم مدينة دارود ص 87 ، 134-القدس عربية إسلامية ص 154 .

وانما تغلب الصليبيون على المسلمين لفرقة العالم الإسلامي وتشرذمه ، وضعف قوته ،
ووهن حكامه .

15- ثم كان التحرير الإسلامي الثاني للقدس وفلسطين على يد "صلاح الدين الأيوبي"
بعد معركة حطين عام 583 هـ أي بعد (91 سنة) واحد وتسعين سنة من احتلالها ، وأرجع
المسجد الأقصى مسجداً كما كان .

16- واحتلها الصليبيون مرة أخرى عام 626 هـ ، لكن لم يدم هذا الاحتلال كثيراً ،
فحررها المسلمون على يد الملك الصالح عام 642 هـ ، أي لم يستمر هذا الاحتلال أكثر من
(16 سنة) ستة عشر سنة .

17- ثم كان الاحتلال اليهودي للقدس وفلسطين عام 1948 م ، حيث احتلوا القدس
الغربية ، وفي يونيو عام 1967 م احتلوا القدس الشرقية وهو الاحتلال الأخير الذي تم في ظل
الضعف الذي ران على العالم الإسلامي ، وبمساعدة حكامه ، ووهن شعوبه .

ولن يدوم هذا الاحتلال طويلاً إن شاء الله ، إنما يبقى في ظل الضعف الذي نراه في العالم
الإسلامي ولن يدوم إن شاء الله .

وهذا أن القدس وفلسطين ظلت عربية إسلامية بعد العرب الكنعانيين أكثر من أربعة عشر
قرناً إلى يوم الناس هذا ، حتى هذا الاحتلال اليهودي الأخير .⁽¹⁾

وشهد شاهد من اليهود:

هذا ما نقوله ، ويقوله المحققون من المؤرخين ، ويقوله كذلك المنصفون من مؤرخي
اليهود ، مثل المؤرخ اليهودي (موشيه مينوحين) قال : منذ أكثر من أربعة آلاف سنة قبل الميلاد
، كما تروى قصص التوراة ، عاش الكنعانيون في فلسطين . إن بعض عرب فلسطين الذي
يعيشون الآن كلاجئين مشردين في الخيام والأكوخ في معسكرات خارج حدود وطنهم هم من
نسل هؤلاء الكنعانيين القدامى ، الذين كانوا مزيجاً من الساميين والآريين والحيثيين .. لقد
بنى الكنعانيون المدن والقصور ، واستعملوا الجياد والعربات ، وأقاموا المعابد المزينة بالأصنام .
لقد عبدوا الطبيعة ، وكان أكبر ألهتهم إله العاصفة ، خالق البشرية ، كانت بيوتهم مبنية
بشكل جيد ، وبصورة فريدة في ذلك الزمان .

(1) بدأ وجود الدولة اليهودية في فلسطين في عصرنا منذ عام 1948 م ، حتى كتابة هذه السطور 2027 م ولا يزال
إخواننا وأهلنا على أرض فلسطين مرابطين مجاهدين إلى يوم الناس هذا .

لقد عاصر الكنعانيون حروب فلسطين التي شنها الإسرائيليون الأوائل، وشهدوا الفاتحين يربحون ويخسرون فلسطين مرتين. وأثناء ذلك كان الكنعانيون يواصلون أعمالهم الخاصة كفلاحين وعمال وعبيد، واعتنق قسم منهم اليهودية وقسم المسيحية، وحين خرج محمد P من الجزيرة ليفتح العالم ويحول الجميع إلى مسلمين.. وقد اعتنق أغلب سكان فلسطين الإسلام، وشكلوا منذ بداية القرن السابع الميلادي شعباً عربياً واحداً متحداً. ولهذا نرى اليوم عرب فلسطين يشكلون الغالبية الساحقة من السكان منذ تلك الأيام⁽¹⁾.

وهكذا حافظ العرب، حفدة الكنعانيين الأوائل، على ملكيتهم لفلسطين منذ أقدم العصور، وكانت حيازتهم للأرض مستمرة، وإن شهدت موجات غزو عديدة، وإحدى هذه الموجات كانت موجة الغزو الإسرائيلي سواء منها ما تم قبل الميلاد أو ما تم في عام 1948م.

هل الادعاء المسند إلى ملكية انتهت منذ ألفى سنة شرعى ؟

إذا كان ذلك صحيحاً فإن الحق يكون إلى جانب المكسيك حين تطالب بمساحات كبيرة من الولايات المتحدة، كما وأن الأسباب يحق لهم أن يطالبوا بالمكسيك، ويحق للعرب أن يطالبوا بأسبانية التي حكموها فترة أطول من الفترة التي حكم اليهود بها فلسطين، وبموجب هذا المنطق فإن الولايات المتحدة يجب أن تعاد للهنود.

وإذا كان هذا الادعاء الصهيوني صحيحاً، ألا يكون لأحفاد البابليين والمصريين والفرس واليونانيين والرومانيين الحق في الأراضي المقدسة ؟ .. ألا يكون أهل العراق الذين يعتبرون أحفاد البابليين والآشوريين والعرب، أكثر استحقاقاً من اليهود في ادعاء ملكية فلسطين؛ لأن أسلافهم حكموا فلسطين قبل وبعد الاحتلال اليهودي لفلسطين، واختلطت دماؤهم مع دماء قبائل إسرائيل العشرة التائهة، التي حكمت القسم الأكبر من فلسطين أيام العبرانيين ؟ .. وبالإضافة إلى ذلك فإن سكان العراق الحاليين يرتبطون مع سكان فلسطين من العرب بالدم واللغة والثقافة والدين.

وكما قال ه.ج. ويلز : إذا كان سليماً إعادة بناء الدولة اليهودية التي لم توجد منذ ألفى سنة، ألا يكون من الأسلم العودة ألف سنة أخرى وإعادة بناء الدولة الكنعانية ؟ فالكنعانيون على عكس اليهود، لا زالوا في فلسطين.

(1) راجع: انحلال اليهودية في عصرنا لميخائيل موشيه .. نيويورك: مكتبة المعارف، 1965 م ص 7.

وأخيراً قال المستشرق اليهودي الدكتور إسحاق لييل مارتيون⁽¹⁾ حين سئل: لمن يكون حق السيادة على القدس- قال :

التاريخ يقول: القدس عربية، وأكدت ذلك جميع المواثيق الدولية، والحقوق الإنسانية والقانونية وإن منطلق القوة حتى ولو انتصر مؤقتاً فإنه لا يستطيع أن يجعل الحق يتوارى دائماً ، كما أن سيطرة العدوان وشرعية الغاب لن تجعل الشرعية القانونية والضمير الإنساني العادل يهزمان إلى الأبد .

وإذا كان تفرق العرب وتناحرهم الداخلي وراء صولة المتطرفين الصهاينة، وجولتهم الاستنزائية وتفوقهم العسكري والحربي، معتقدين أنهم قادرون على طرد العرب، وطمس معالم العروبة بألة الحرب والسلاح النووي فإنهم واهمون، أو مخدوعون؛ لأن هزيمة العرب وانكساراتهم كضيلة بأن تفتح عيونهم على عيوبهم، فيعرفوا أن سرقتهم في وحدتهم وصمودهم، والتاريخ يحكى لنا أن الصليبيين من قبل ظنوا كما ظن تلامذتهم الصهاينة الآن، وفجأة ظهر صلاح الدين، فسارت الجيوش العربية وراءه، وحققوا نصراً تاريخياً⁽²⁾.



(1) المستشرق اليهودي الدكتور (إسحاق لييل مارتيون) عربي الأصل، وأستاذ زائر بجامعة (أوبيدو) بأسبانيا وصاحب الكتاب الشهير (أبطال التاريخ) الذي أشار في مقدمته إلى أن لديه إحدى نسخ التوراة التي فيها اسم محمد P (فلماذا لم يؤمن بمحمد P والإسلام إذن) وهو مؤسس رابطة اليهود العرب في إسبانيا، والتي تعتبر أن الكفاح ضد الصهيونية جزء لا يتجزأ لحل المشكلة اليهودية .. الخ

ونقول: حكاية معارضة بعض اليهود للمصهيونية في فلسطين أضحوكة خدعت مفكرينا للأسف، وتحدثوا عنها في صحفنا العربية، وهشوا لها وشوا. لكن الحقيقة أن كل يهودي صهيوني وإن لم يعلن بذلك، وكل يهودي مؤيد لإسرائيل، واغتصاب فلسطين، وقتل المسلمين فيها، عالن بذلك أم تخفى .

(2) راجع مجلة الوعي الإسلامي عدد صفر 1422 الموافق مايو 2...1 م ص 38، 39 .

الوعد التوراتي المزعوم

ونأتي إلى الوعد التوراتي الذي يتدّرع به اليهود لاغتصاب فلسطين وما يجاورها

وقد سجلوا في توراتهم : ان الله أعطى الأرض من النيل إلى الفرات .. ومن الأرز في لبنان إلى النخيل في الجزيرة العربية لإبراهيم U ونسله ، بينما حرم منها أصحابها الشرعيين ، وسكانها الأصليين .

وليته أعطاهما كل نسل إبراهيم U إسماعيل وإسحاق عليهما السلام ، إنما أعطاهما إسحاق وذريته وحدهم ، وهم بنو إسرائيل طبعاً ، بينما حرم منها إسماعيل وذريته ، وهم العرب المسلمون طبعاً .

قالت التوراة في سفر التكوين (17 : 7 ، 8) : إن الله تعالى قال لإبراهيم : (7) وَأَقِيمْ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لِأَكُونَ إِلَهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. 8 وَأَعْطَيْتُكَ لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرِّيَّتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونَ إِلَهُهُمْ.)

وفي نص آخر من سفر التكوين (15 - 18) قال : (18) فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلًا: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ الْأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ».

وقال سفر يشوع (1 - 4) : () فَالآنَ قُمْ اعْبُرْ هَذَا الْأَرْضَ أَنْتَ وَكُلُّ هَذَا الشَّعْبِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ أَيَّ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ. 3 كُلُّ مَوْضِعٍ تَدُوسُهُ يَطْوُنُ أَقْدَامَكُمْ لَكُمْ أُعْطِيْتُهُ، كَمَا كَلَّمْتُ مُوسَى. 4 مِنَ الْبَرِّيَّةِ وَلَبْنَانَ هَذَا إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ، جَمِيعَ أَرْضِ النَّجِّيِّينَ، وَإِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ نَحْوَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ يَكُونُ نُحْمُكُمْ) .

ومن هذه المنطلقات الدينية لدى اليهود انطلقت تصريحات اليهود في كل مكان تؤكد وجوب تحقيق هذا الوعد التوراتي .

قال اليهودي الإنجليزي نورمان: لا حاجة لأن تكون فلسطين في المستقبل محدودة بحدودها التاريخية ، فهي وسع اليهود الامتداد إلى جميع البلاد التي وعدوا بها في التوراة من

البحر الأبيض حتى الفرات، ومن لبنان حتى التخييل⁽¹⁾ أي الجزيرة العربية - هي ملك شعب الله المختار. 1هـ

وقال القائد اليهودي المعروف موسى ديان: إذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأرض التوراتية.⁽²⁾

وقال ذات القائد اليهودي في يوم احتلال القدس في يونيو 1967م: لقد استولينا على القدس، ونحن في طريقنا إلى يثرب. اهـ.⁽³⁾

وقال القائد اليهودي متاحيم بيغن في مطلع الثمانينات من القرن العشرين الميلادي: عندما نسرح ببصرنا إلى الشمال نرى سهول (سوريا، ولبنان) الخصبة، وفي الشرق تمتد وهاد (الفرات، ودجلة) الغنية، ويترول (العراق) (تأمل)، وفي الغرب بلاد المصريين.. لئن تكون لدينا القدرة الكافية على النمو إن لم نسوّق قضايا الأرض من موقع القوة، وعلينا أن نجبر العرب على الطاعة التامة⁽⁴⁾

(1) في هذه الآونة خرج الدكتور كمال سليمان الصليبي أستاذ تاريخ الشرق الأوسط الحديث في الجامعة الأمريكية ببيروت لبنان بكتاب عنوانه "التوراة جاءت من جزيرة العرب". يزعم فيه أن الأسماء الواردة في التوراة وأن البيئة التاريخية للتوراة لم تكن في فلسطين بل في غرب شبه الجزيرة العربية بمحاذاة البحر الأحمر، وتحديداً في بلاد السراة بين الطائف ومشارف اليمن

وهو يريد أن يقول: إن اليهود لهم الحق في المطالبة بهذه الأماكن باعتبارها أرض أجدادهم.. وهذا افتراء بطبيعة الحال بناءً قائله على خيالات وأكاذيب يرفضها الميزان العلمي، وقد رد العلماء عليه ردوداً مقنعة، نشرها الأستاذ محمد عبد الله عبد الحميد في كتابه (افتراءات الصليبي- متابعات أولى-) نشره نادي (أبها) الأدبي عام 1488هـ الموافق 1488هـ.. وقبله كتب المستشرق الإنجليزي المعروف (دافيد صمويل مرجليوث) (1858-194م) كتاباً بعنوان: (العلاقة بين العرب والإسرائيليين قبل ظهور الإسلام) وذهب فيه إلى أن الوطن الأصلي لبني إسرائيل كان ببلاد اليمن، واستدل على رأيه بأدلة، منها وجود ألفاظ كثيرة مشتركة بين اللغتين السبئية والعبرية، ومنها الشبه العظيم بين بعض العادات الاجتماعية، والأخلاق الدينية عند أهل سبأ وبنو إسرائيل. اهـ. راجع افتراءات الصليبي ص 3..

(2) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ص 35 عن جيروزاليم بوست في 1/8/1967م.

(3) راجع المسجد الأقصى ومعركة النصر والفتح ص 97.

(4) راجع: احذروا الصهيونية ص 114.. فلسطين في الميزان ص 85.. ولاحظ أن أمريكا احتلت العراق فعلياً عام 3..2م لحساب اليهود، ونقلت بتروال العراق إليهم في فلسطين. ويلاحظ أيضاً أن اليهود شاركوا أمريكا في احتلال العراق باعتبارها أرضاً من إسرائيل الكبرى.

وفى عام 199 م ذكر (موشيه باركوخيا) رئيس أركان حرب الجيش اليهودي: إن

اليهود سيعبرون قناة السويس ولن يقفوا عند حدود 1967 م. (1)

فهل هذا الوعد التوراتي المزعوم صحيح ؟؟

والحق أن هذا الوعد ليس وعداً توراتياً بل تزييفاً توراتياً صهيونياً يجب رفضه ؛ للأسباب الآتية :-

أ- أن فلسطين حينما هاجر إليها إبراهيم عليه السلام لم تكن خالية من السكان ، بل كانت معمورة بأهلها الأصليين العرب الكنعانيين ، الذين استقبلوه واحتضوا به ، وآمن به منهم من آمن وقد بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام نبياً تهديداً للناس إلى صراط الله المستقيم وليس لطردهم من أرضهم أو ذبحهم .

فمن المقبول عقلاً أن يقال : إن إبراهيم عليه السلام أرسله الله تعالى إلى أهل فلسطين لهدايتهم إلى الله ، وليس لقتلهم وطردهم من أرضهم من النيل إلى الفرات .. الخ . وإلا كان ظلماً ظاهراً ، وهو مستحيل على الله تعالى ، فالله تعالى عدل ، وعدله سبحانه مطلق

ب- إن إبراهيم هاجر إلى فلسطين ومعه زوجته سارة ونبي الله لوط (2) ، وأنجب إبراهيم فيها إسماعيل ، ثم إسحاق الذي مات فيها بعد أن أنجب يعقوب عليهم السلام جميعاً .

وعاشوا على أرضها ضيوفاً غرباء ، ولم يملكوا فيها شبراً ولا ذراعاً ، حتى إن إبراهيم عليه السلام حين ماتت زوجته لم يكن يملك قطعة أرض يجعلها قبراً لها ، فاشتراها من عربي ييوسي ، وكان العربي اليبوسي يريد أن يهبها له ، إلا أن إبراهيم أصصر على شرائها كما في سفر التكوين (23 - 3 ، 16) . (3)

فاين كان هذا الوعد التوراتي المزعوم ؟ .. وكيف فهمه إبراهيم ؟ .

وكيف يُصر إبراهيم على شراء قطعة الأرض المطلوبة قبراً لزوجته ، ودفع ثمنها ما دامت الأرض كلها ملكاً له أو حقاً له بمقتضى هذا الوعد المزعوم ؟

(1) راجع : الطريق إلى بيت المقدس 2 / 264 ، نقلاً عن جريدتي الجمهورية والأهرام 13 / 6 / 199 م .

(2) لقول الله تعالى : ونجيناه ولو طأ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين . (الأنبياء : 71) .. راجع قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ص 83 .

(3) نص التوراة في هامش ص 11 وتأمل كيف يصر إبراهيم عليه السلام - على شراء قطعة الأرض المطلوبة ودفع ثمنها ، وتأمل كيف يقوم اليهود بتخريب أرض فلسطين واغتصابها بعد قتل وتشريد أهلها في ظل الضعف والموان الذي يعيشه المسلمون الآن في ظل حكاهم المخدولين ؟ .

ج - ثم من نسل إبراهيم ٥ .

اليسوا هم الذين أنجبهم إبراهيم من صلبه ، وهم إسماعيل وإسحاق عليهما السلام ٥ .
بلى .. فلماذا يتجاهل اليهود إسماعيل ٥ من الوعد التوراتي المزعوم ويقصرونه على إسحاق
وذريته وحدهم ٥ ..

إنهم يقولون : إسماعيل ٥ ابن الجارية هاجر ، وإسحاق ٥ ابن الزوجة سارة ٥

لكن ليس كل من إسماعيل وإسحاق ابني إبراهيم عليه السلام من صلبه .

الم تذكر التوراة في أكثر من موضوع في سفر التكوين : إن إسماعيل بن إبراهيم من صلبه .
ولا يوجد في التوراة ولا في غيرها حرماناً لأولاد الرجل الواحد بسبب اختلاف أمهاتهم .

ونسأل مع الدكتور حسان تحتوت عن أبناء يعقوب (إسرائيل) عليه السلام الإثنى عشر ..
فقد ذكرت التوراة أن إسرائيل هذا تزوج ابنتي خالته : (راحيل وليئة) ، وجاريتهما (زُلبا
ويلحاً) ، وقد ولدت الجاريتان ستة من أبناء بني إسرائيل ، فلم اعتبرتموهم من بني إسرائيل ،
ولم تنقصوا من بتوتهم لإسرائيل مثقال ذرة ١١٩

وهنا لا يجدون جواباً .

هذا ، وقد استمر التسري بالجوازي في بني إسرائيل وخاصة أنبيائهم .. فقد ذكرت التوراة : أن
داود عليه السلام كان له مائة زوجة ، ومائتان من الجوازي ، وكان لسليمان عليه السلام
ثلاثمائة زوجة وسبعمائة جارية ١١٥ ..

ولا نزاع في أن هؤلاء الجوازي أنجب أولاداً لداود وسليمان عليهما السلام ، ولا ريب أن أولاد
هؤلاء السرازي معدودون من بني إسرائيل ، ولم يقل اليهود يوماً : إنهم خارج بني إسرائيل ^(١)

وبناءً على هذا فإن إسماعيل وإسحاق عليهما السلام يشملهما هذا الوعد التوراتي المزعوم .

- قال البروفيسور (الفريد جويوم) ويسود الظن بأن هذه الموعود قد متحت لليهود ، ولليهود
فحسب . ولكن ذلك أمر لم يقل به الكتاب المقدس نفسه ، فإن كلمة (لنسلك) تضم
بالطبيعة فيمن تضم العرب ، مسلمين كانوا أو مسيحيين ممن يستطيعون الادعاء بالانتماء
إلى إبراهيم من خلال ابنه إسماعيل ، وذلك أن إسماعيل هو الأب الأول لكثير من القبائل
العربية في الشمال عن طريق زوجته هاجر .

(١) راجع : القدس قضية كل مسلم 75 ، 76 .

ولا يمكن ان يجادل أحد في ان كلمات الآيات (1 ، 12) من الإصحاح (21) في سفر التكوين : (وَرَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي وَدَدَتْهُ لِإِبْرَاهِيمَ يَمْرُجُ ⁽¹⁾ فَقَالَتْ لِإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هَذِهِ الْجَارِيَّةَ وَابْنَتَهَا، لِأَنَّ ابْنَ هَذِهِ الْجَارِيَّةِ لَا يَرِثُ مَعِ ابْنِي إِسْحَاقَ». 11 فَقَبِضَ الْكَلَامَ جِدًّا فِي عَيْنِي إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ابْنِهِ. 12 فَقَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ: «لَا يَقْبِضُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلَامِ وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَّتِكَ. فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ بِقَوْلِهَا، لِأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى نَكْتُكَ. 13 وَابْنُ الْجَارِيَّةِ أَيْضًا سَاجِعُهُ أُمَّةٌ لِأَنَّهُ نَسْلُكَ » .

ومن ثم: فإنه إذا كان الإسرائيليون هم نسل إسحاق بن إبراهيم : فإن نسل إسماعيل أيضاً لهم كل الحق في أن يعتبروا أنفسهم من نسل إبراهيم ، وبالإضافة إلى هذه فإنه عندما جرى ميثاق الرب في مناسبة الختان (تكوين : 17) ووعد إبراهيم بأرض كنعان (ملكاً ابدياً) فقد كان إسماعيل هو الذي يجرى ختانه ولم يكن إسحاق قد ولد بعد ⁽²⁾ .

ومع هذا فإن أولى الناس بإبراهيم الذين آمنوا به واتبعوه ، وساروا على نهجه وهديه ، وآخرهم النبي دا والذين آمنوا معه أي المسلمين ، كما يقول الله تعالى : (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) (آل عمران : 68) .

د - وعدل الله تعالى يأبى :

نعم ، عدل الله يأبى هذا الوعد التوراتي مطلقاً ، فالله حكيمٌ عدلٌ ، حرّم الظلم على نفسه ، وحرّمه على عباده .. يقول سبحانه وتعالى واصفاً نفسه : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) (النساء : 40)

فكيف يعطى أرضاً يملكها أصحابها ملكاً شرعياً لفئة من الناس هم غرباء عنها لا يملكون فيها شبراً ولا ذراعاً ؟ .

والواضح مما سبق ان اليهود قد افتروا هذا الوعد التوراتي المزعوم ، جرياً على عنصريتهم ، وسوء أخلاقهم ، وكذبهم على الله تعالى ، وعلى عباده .

والصحيح أن الله تعالى وعد عباده الصالحين بوراثة الأرض والعلو فيها ، والمسلمون على ما بهم من مخالفات اقرب الناس إلى صراط الله المستقيم ، وحتى المخالفات التي تعترتهم ما هي

(1) لاحظ أن المعروف ان إبراهيم دا قد وضع ابنه إسماعيل في مكة في البيت الحرام وهو طفل رضيع ، ليس في سن المزاج ، والموجود في التوراة متناقض ، دليل على تحريفها .

(2) راجع إسرائيل في الكتاب المقدس 49 ، 5 .

إلا كبوة أو سحابة صيف ثم ينهضون ويعودون إلى هداية ربهم سبحانه ؛ ولهذا فهم أولى الناس بهذا الوعد الإلهي ، والله تعالى يقول : (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الانبياء: 15) .

ويقول سبحانه : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بُرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَتُهْلِكُنَّ الظَّالِمِينَ ❖ وَلَتُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعَبَدَ) (ابراهيم: 13 ، 14) .

فليست الأرض تعرق دون عرق ، ولا لجنس دون جنس ، ولا لطبقة دون طبقة .. فالله تعالى لا يعامل الناس بالأموال والأجناس والعروق ، بل يعاملهم بالإيمان والأعمال الصالحة ، كما يقول سبحانه : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات: 13) .

ويقول سبحانه في شأن بني إسرائيل : (قَالَ مُوسَى بِقَوْمِي اسْتَعْيَبُونِي بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (الأعراف: 128)

واليهود اليوم - إن صح أنهم بني إسرائيل - أسوأ في الفساد والندوة إلى الفساد من الشيطان نفسه ، بل هم اليوم أسوأ شياطين البشر ، فقد عبدوا العجل من قديم .. وارتكبوا الأثام ، ودعوا الناس إليها .. وتآمروا على أنبياء الله ، وأولهم أخوهم يوسف ، وكذلك عيسى بن مريم ، وقتلوا منهم من قتلوا ، ومنهم زكريا ويحيى عليهما السلام وهم إلى اليوم منشئو الريا وملوكها ودماتها ، والداعون إلى الزنا ومروجوه ، وهم أباطرة الخمور والمخدرات ورعاتها .. ونحو ذلك من المفاسد والمناكر المنتشرة في زماننا ، حتى جاء في الإنجيل حكاية عن عيسى (قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الْعَشَارِينَ وَالزُّوَانِي يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ، لِأَنَّ 32 لِأَنَّ يُوحَنَّا جَاءَكُمْ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ فَلَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ، وَأَمَّا الْعَشَارُونَ وَالزُّوَانِي فَأَمْنُوا بِهِ. وَأَنْتُمْ إِذْ رَأَيْتُمْ نَمَ تَنْدَمُوا آخِرًا تُؤْمِنُوا بِهِ) (متى - 21 : 21 ، 43 ، 31) .

ولهذا لا يستحقون هذا الوعد الإلهي الموجود في القرآن الكريم

والله المستعان



ومع هذا كله سمعت الزير اليهودي (مناخم بيجن) قال في حضور الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيسة اليهودي : إن الله كتب لنا هذه الأرض بنص القرآن ، وهو يُشير إلى قول الله تعالى على لسان موسى لا : (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) (المائدة:21) .

فقوله : (كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) يشير إلى هذا الوعد في زعمه .

ونقول : هذا الزعم ليس صحيحاً ، بل هو افتراء على عادة اليهود في الافتراء ، وتفسير التصوص الدينية بما يُناسب أهواءهم ومصالحهم .

والصحيح أن هذا القول الكريم لا يُشير إلى هذا الوعد التوراتي المزعوم من قريب ولا من بعيد ؛ لسببين مهمين :

الأول : أن موسى لا أعلم بني إسرائيل أن الله تعالى يأمرهم أن يدخلوا فلسطين ليقيموا عليها توحيد الله تعالى وعبادته ، واتباع صراطه المستقيم ، وينشروا هذا بين أهلها ، ولم يكلفهم بقتل وطرد أهلها منها ، وهذا هو المناسب لعدل الله تعالى ، والمناسب لرسالة موسى لا .

الثاني : أن الكتابة في هذا القول الكريم : (كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) ليست كونية خلقية لاحيلة للإنسان في دفعها ، كلون الوجه وطول الجسم ، إنما هي امر تكليفي كقول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة:183) ونحو ذلك ، وهو امر تكليفي يُوجب الطاعة ، فمن أطاعه كتب الله له المثوية ، ومن عصاه أنزل الله عليه العقوبة .

فهل أطاع بنو إسرائيل موسى حين قال لهم هذا ؟

والجواب : كلا .. إنهم جبنوا وعصوه ، وردوا عليه قائلين : (قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِن فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنُؤَدِّعُنَّكَ فِيهَا فَإِن يُخْرِجُوكَ مِنْهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ) (المائدة:22) ⁽¹⁾ .

(1) العجيب أن قول اليهود (إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ) قريب من قول العرب في عصرنا : اليهود معهم أسلحة قوية وترسانة نووية ووراءهم الأمريكان وأوروبا ، والمنظمات الصهيونية ، وهي قوى جبارة .. وقولهم في الآية الكريمة = ترهب من قول العرب المسلمين اليوم : الأرض مقابل السلام .. أي يتركوا لليهود الأرض مقابل أن ييادهم اليهود السلام ؛ أي تبدل الحال ، فأصبح حال العرب المسلمين اليوم هو حال بنى إسرائيل الجبناء في عهد موسى لا - وسبحان منقلب الأحوال ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

فكرر عليهم مؤمنان صالحان منهم القول ونصحابهم قائلين : (قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتْوَكُلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (المائدة: 23) (1) .

لكن بنى إسرائيل ردوا بصفاقة وسوء ادب : (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) (المائدة: 24) (2) .

وهنا يتأكد لنا أن بنى إسرائيل ردوا على الله تعالى أمره التكليفي لهم وعصوه ؛ فكانوا كما وصفهم الله تعالى قوماً فاسقين ، واستحقوا عقابه ، وكره موسى لا صحبتهم ، ودعا الله تعالى أن يُفَرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، كما يقول سبحانه : (قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) (المائدة: 25) .

وحينئذ أنزل الله عليهم عقابه الذي لا يُرد عن القوم الفاسقين ، وقد بينه في قوله سبحانه : (قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) (المائدة: 26) .. فعاقبهم الله تعالى بثلاث عقوبات :

الأولى في قوله تعالى : (فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ) وبهذه العقوبة نسخ الله أمره لهم بدخول فلسطين ولم يعد له اثر ، وأصبحت فلسطين والقدس محرمة عليهم تحريماً أبدياً إلى يوم القيامة .

الثانية في قول الله تعالى : (أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ) هذه هي العقوبة الثانية بعد الحرمان من فلسطين : الحكم عليهم بالتيه والتشرد في الأرض .

الثالثة في قول الله تعالى : (فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) وهذه هي العقوبة الثالثة : أن دمغهم الله بالضيق .. والفاسقون محرومون من هبات الله وبركاته .

ولأجل هذا يقرر أكثر الباحثين أن التيه هو الذي حُدد بأربعين سنة وليس التحريم ، فالتحريم مطلق أبدي إلى يوم القيامة (3) .

(1) وهذا موقف الجماعة المؤمنة في العالم الإسلامي في عصرنا كجماعة (حاس) وكثائب عز الدين القسام وغيرها بفلسطين.

(2) وهذا قريب من قول الحكام العرب (اللي عايز يروح يجر فلسطين يروح يجرها) ولما قال أحد الحكام العرب مستعزفاً بالشعارات الجوفاء : (انتحرو الحدود ونحن نحارب) رد عليه حاكم آخر ساخرأ ، ومعبراً عن خذلانه : (تعالى وحارب ، وسأنتح لك الحدود) (وكان ذلك إيان الانتفاضة الفلسطينية الأخيرة عام 1٠٠2 م .

(3) ولهذا ينبغي أن يوقف في القراءة وفقاً لازماً بعد قوله تعالى : [فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ] .

ولهذا لم يكتب الله لبني إسرائيل دخول فلسطين في عهد موسى ﷺ ولم يكتب لهم البقاء فيها ، بل سرعان ما ذابت وزالت . ابن السيد

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية : فإذا كان الله تعالى قد كلف بني إسرائيل بدخول فلسطين فلم يرد في ذات الآية الكريمة أنه سبحانه كتب لهم البقاء فيها ، وإلا لتناقض هذا مع الواقع ، فقد أخرجوا منها منذ انقضى سنة .. ولم يرد في ذات الآية أيضاً أنه سبحانه كلفهم بقتل وطرد أهلها الشرعيين منها ، وإقامة دولة يهودية علي أنقاضهم ، فإنه يتناقض مع رحمة الله وعدله للعالمين (١) .

ومن ناحية ثالثة : فإن كان هذا في عهد موسى ﷺ وقد تم نسخه والغاؤه ببعثة النبي ﷺ وظهور الإسلام رحمة للعالمين .

نعم ، بعد ما استلم رسول الله صلي الله عليه وسلم القدس وفلسطين في رحلتي الإسراء والمعراج ، وبعد أن فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب ؓ واستلموها من الصليبيين الرومان ، لم يعد للأمر التكليفي لبني إسرائيل (ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) وجود أو اثر ، وأنت فلسطين والقدس للإسلام والمسلمين .

ويصبح قوله سبحانه : (فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ) إن جاء في صورة الخبر إلا أنه امر من الله تعالى للمسلمين بتحريم فلسطين والقدس على بني إسرائيل ، ومنعهم منها ، وتحريرها من دنسهم إلى يوم القيامة .

ويجب على المسلمين جميعاً طاعة الله تعالى ، وإلا حق عليهم عقابه الذي لا يُرد عن القوم المجرمين .

وبعد .. فهذه لحجة سريعة عن القدس تبرز لنا :

أ - أن القدس عربية إسلامية .. فإن الوجود الإسلامي في فلسطين والسيادة الإسلامية عليها اعمق أثراً ، وأطول عمراً وأصلح لها من الوجود اليهودي الذي لم يزد على (45) سنة على الأكثر .. وأن الوعد التوراتي المزعوم وعداً مفتري ، والأخرى أن يسمى التزييف التوراتي .

ب - وأن السيادة الرومانية على فلسطين تمتد من سنة 63 ق م ، حتى سنة 325 بعد الميلاد تقريباً ، وهي السنة التي تنصرت فيها الدولة الرومانية .. ومن ذلك القرن تبدأ السيادة

هذا ما ترجمه ونمیل إليه ، راجع قسم الأنبياء للأستاذ النجار ص 273 .. اليهودية . أحد شلبي ص 78 .

(١) القدس قضية كل مسلم ص 97 .

النصرانية على فلسطين والتي امتدت حتى الفتح الإسلامي لفلسطين عام 636م الموافق 15هـ (1)

ج- ثم كان الاحتلال الصليبي لفلسطين الذي امتد قريباً من (100) سنة على مرتين ، الأولى استمر (91) سنة ، والثانية لم يستمر سوى (16) سنة ، ولم يزد على ذلك ، ليكون مجموع الاحتلال الصليبي لفلسطين قريباً من الاحتلال اليهودي لها أو أقل .

د- بينما ظل العرب فيها بعد أن أنشأوها قبل الإسلام عشرات القرون كما سبق ذكره .. إلى أن فتحها المسلمون ، وأسلم أهلها ، وظلوا بها بعد إسلامهم ولم يُغادروها أكثر من أربعة عشر قرناً إلى يوم الناس هذا (1431هـ الموافق 2010م) .



(1) راجع الرومان .. ر.هـ. بارد ص 197 .. القدس الخالدة ص 159 .

من أسماء القدس

ومع طول التاريخ وأحداثه عرفت القدس أسماء عديدة .. نذكر منها :

- 1- هي (يبوس) كما ورد اسمها في سجلات الفراعنة ، وردته التوراة في سفر القضاة (10/19) وهي مشتقة من اسم أصحابها (اليبوسيين)
- 2- وهي (اورسالم) كما كان اسمها عند الكنعانيين ، وكانت مركزاً للعبادة عند الكنعانيين ، وهو مشتق من (يوروشالم) .. وسميت بعد ذلك (شاليم) .
- 3- وهي (اورشليم) كما سماها الكنعانيون أولاً ، والإسرائيليون ثانياً .
- 4- وهي (يورسالميم) عند اليونانيين .
- 5- وهي (هيروسلما أو سوليموس) .
- 6- وهي (إيليا) عند الرومان وقد سماها بهذا الاسم (إيليس هادريان) إمبراطور الرومان بعد أن هدمها وقتل من اليهود ما قتل ، وشرذ الباقي منهم ، وظلت هذه التسمية (إيلياء) حتى الفتح الإسلامي لها ، وكان من نصوص الوثيقة العمرية لأهلها : "هذا ما أعطى عبد الله عمر أهل (إيلياء) من الأمان ... الخ .
- 7- وهي (القرية .. أو بيت المقدس ، أو ائبيت المقدس⁽¹⁾ كما سماها المسلمون⁽²⁾ .. ولها أسماء أخرى ، هذه أشهرها .



(1) من العلماء من يرى أن اسم (القدس) محرف من اليونانية عن النطق الآرامي (قديشتا) .. راجع "القدس مدينة الله أم مدينة داود" ص 44 .

(2) تاريخ القدس لعارف العارف .. ومن الملاحظ أن اليهود في الكتاب المقدس أطلقوا على هذه المدينة أحياناً أسم مدينة القدس (أشعيا 2 / 48 ، نحemia 11 / 11) .. راجع : القدس مدينة الله أم مدينة داود ص 45 .

فلسطين في القرآن الكريم

ذكر الله تعالى فلسطين والقدس في القرآن الكريم على أنها أرض البركات والنبوات..
ونذكر من ذلك مايلي :

1- في سورة الإسراء في قوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الإسراء:1) ..
وقوله سبحانه: (بَارَكْنَا حَوْلَهُ) يفيد ان فلسطين كلها مباركة وليس المسجد الأقصى وحده،
او هو اشد بركة .

2- وفي سورة الأنبياء يتحدث ربنا سبحانه عن نجاة إبراهيم ؑ ، وهجرتة بصحبة نبي الله
لوط عليه السلام إلى فلسطين.. يقول سبحانه : (وَجِئْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
لِلْعَالَمِينَ) (الانبياء:71) .

3- وفي سورة الأعراف يحدث ربنا سبحانه عن نجاة بني إسرائيل ، وغرق فرعون وجنوده ،
يقول الله تعالى : (وَأَوْثَقْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا
فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ
وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) (الأعراف:137) .

4- وفي سورة الأنبياء يحدث ربنا سبحانه عن ملك سليمان ؑ الذي وهبه الله له ، يقول الله
تعالى : (وَاسْلُبْ إِيْمَانَ الرِّيحِ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ
عَالِمِينَ) (الأنبياء:81) .. والأرض المقصودة بالبركة في هذه النصوص هي فلسطين والقدس .

5- وفي سورة سبأ يتحدث الله تعالى عن نعمة لأهل سبأ قبل كفرهم به ، يقول سبحانه :
(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السِّبْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَأْبَى
وَأَيُّهَا آمِينَ) (سبأ:18) .. والقرى التي بارك الله فيها دهى قرى الشام ، ومنها فلسطين .

6- وقول الله تعالى: (وَالزَّيْتُونَ وَالزُّيْتُونَ وَطُورِ سِينِينَ) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (ذهب عدد من
المفسرين إلى أن القسم بالتين والزيتون ليس مقصوداً لذاته ، إنما هو إشارة إلى الأرض التي
تبتت التين والزيتون ، وهي فلسطين وبيت القدس ، فالمقصود القسم بها نفسها .. وبذلك
أقسم الله تعالى بالقدس وفلسطين ثم بسبأ ثم بمكة ..

قال عقبه بن عامر : التين : دمشق .. والزيتون: بيت المقدس .

7- وهى الأرض المقدسة اي المطهرة من الرجس ، وفيها يقول الله تعالى : (ادخلوا الأرض المقدسة) (المائدة : 21) .

القدس وفلسطين في الحديث النبوي

1- عن ابي ذر قال سألت رسول الله ﷺ عن اول مسجد وضع على الأرض؟ فقال: المسجد الحرام قلت: ثم اي؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت: وكم بينهما؟ قال: أربعون عاماً، ثم الأرض لك مسجد، فحيثما أدركتك الصلاة فصل . وهذا حديث صحيح متفق عليه (1)

2- عن ابي امامة الباهلي قال ان النبي ﷺ قال: لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق ، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله - عز وجل - وهم كذلك... قالوا يا رسول الله : أين هم؟ قال: ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس . وهذا حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده (2) ..

3- عن ابي هريرة وأبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا . وهذا حديث صحيح متفق عليه (3)

4- وأخرج النسائي عن عبد الله بن عمرو- رضى الله عنهما- عن النبي ﷺ قال : " إن سليمان بن داود- عليهما السلام- لما بنى مسجد بيت المقدس سأل الله تعالى خلال ذلك ثلاثاً: سأل الله حكماً يصادف حكمه فأوتيته ، وسأل الله تعالى ملكاً لا يتبغى لأحد من بعده فأوتيته ، وسأل الله حين فرغ من بناء المسجد ان لا يأتيه أحد إلا للصلاة فيه أن يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه .

(1) أخرجه البخارى 3366 ، ومسلم 1161 ، والنسائي في الكبرى 796 ، وابن ماجه 753 وغيرهم .

(2) أخرجه أحمد 2232 ، والطبرانى في الكبير 7643 ، وفي مستد الشاميين 86 ، وهو صحيح لكثيره ، يقويه ما أخرجه أحمد عن سلمة بن نليل ، وصححه الألباني في الأحاديث الصحيحة 961 .. وأشار إلى صحة الحديث أيضاً في الأحاديث الصحيحة 27 . (1 / 54) . والحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن معاوية مرفوعاً .

(3) أخرجه البخارى 1189 ، ومسلم 337 ، والطحاوى في شرح المشكل برقم 586 وغيرهم .

. ورواه ابن ماجة .. وزاد: فقال النبي ρ : أما الاثنتين فقد اعطيتهما، وأرجو أن يكون أعطى
الاثنتي⁽¹⁾

صحح السيوطى إسناده في إتحاف الأخصا، والحاكم في المستدرک على شرط الشيخين.

قال عبد الله بن عمر τ : إن الحرم المحرم فى السماوات السبع بمقداره فى الأرض ، وأن بيت
المقدس فى السماوات السبع بمقداره فى الأرض. ⁽²⁾



(1) أخرجه النسائى فى الكبرى 772 وصححه الألبانى فى صحيح الجامع 2.9. وعزاه لأحمد، والنسائى، وابن حبان،
وابن ماجة، والحاكم عن ابن عمرو مرفوعاً.
(4) إتحاف الأخصا 1/100، 101.

المسجد الأقصى

ثم نأتي إلى المسجد الأقصى .. من بناء أولاً ؟

وهل بنى على انقاض الهيكل اليهودي المزعم أم لا ؟

أولاً : من بني بيت المقدس ؟

اختلفت أقوال العلماء فيمن بنى المسجد الأقصى . فمن العلماء من يقول : بنته الملائكة أولاً . ومن العلماء من يقول : بناه آدم - عليه السلام - ومن العلماء من يقول : بناه سام بن نوح . ومنهم من يقول : بناه يعقوب - عليه السلام - . ومنهم من يقول : بناه سليمان - عليه السلام - . ومنهم . . . ومنهم . . الخ .

والذي نراه من خلال ما رجعنا إليه أن المسجد الأقصى أقدم من إبراهيم ويعقوب وداود وسليمان - عليهم السلام - .

فالمرجح أن الذي بناه آدم - عليه السلام - بإرشاد من الملائكة ، ويعدده سام بن نوح ، ثم توالي الأنبياء عليه يجددون بناءه ..

والمعروف أن إبراهيم - عليه السلام - حينما ترك العراق - موطنه الأصلي - وهاجر إلى القدس ، كان فيها الكنعانيون العرب ، وكانوا يعرفون عبادة الله العلي - قبل أن يهاجر إليهم - وكانت القدس (أورشليم) هي المركز الرئيسي لتلك العبادة ، وكان (ملكي صادق) ملك (أورشليم) وعالمها الديني أهم شخصية في ذلك الوقت . وفي عهده هاجر إبراهيم إلى القدس (1) .

ولعل هذا هو سبب هجرة إبراهيم - عليه السلام - إليها ، وتركه مراكز عبادة القمر كما جاء في الفصل الرابع من سفر التكوين (18 ، 19) ومن المألوف أن يهجر الأنبياء أماكن الوثنية إلى أماكن الإيمان بالله وتوحيده .

والمعتقد أن إبراهيم - عليه السلام - الذي عهد الله إليه أن يجدد البيت الحرام ، ويرفع قواعد الكعبة بمكة قام أيضا بتجديد بناء المسجد الأقصى ، ثم جددته أيضا نبي الله داود ، ونبي الله سليمان - عليهما السلام - .

(1) راجع : القدس الخالدة ص 18 . د عبد الحميد زايد .

قال القرطبي: إن الحديث - في بناء المسجدين⁽¹⁾ لا يدل علي أن إبراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتداءً وضعهما لهما ، بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيرهما .

ويضيف الحافظ ابن حجر: وقد وجدت ما يشهد له ، ويؤيد قول من قال: إن آدم هو الذي أسس كلاً من المسجدين⁽²⁾ .

ولذا قال صاحب الأنس الجليل بعد أن ذكر من بناه : هذه الأقوال تدل علي أن بناء داود وسليمان - عليهما السلام - إياه إنما كان علي أساس قديم ، لا أنهما المؤسسان له ، بل هما مجددان له . 1 هـ⁽³⁾

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : البيت المقدس بنته الأنبياء ، وسكنته الأنبياء ، وما فيه موضع شبر إلا وقد صلي فيه نبي ، أو قام فيه ملك⁽⁴⁾ .

والحاصل : أن بناء المسجد الأقصى تم قبل إبراهيم وبنيه - عليهم السلام - ، فضلاً عن داود وسليمان - عليهما السلام .

والدليل علي هذا حديث أبي ذر المرفوع الذي أوردناه سابقاً أنه سأل رسول الله ﷺ عن أول مسجد بني في الأرض فقال ﷺ : المسجد الحرام .. قال أبو ذر: ثم ماذا؟ .. قال: المسجد الأقصى .. قال أبو ذر: فكيف كان بينهما . قال : أربعون سنة⁽⁵⁾ .

والمعروف أن المسجد الحرام بني قبل إبراهيم - عليه السلام - فهو معروف منذ بداية البشرية وليس بين بنائه وبناء المسجد الأقصى سوى أربعين عاماً .

ومعناه أن المسجد الأقصى بني قريباً من المسجد الحرام ، فهو قديم قدم المسجد الحرام .. فالقول بأن الذي بناه يعقوب أو سليمان قول بغير دليل ..

ومعنى قول النبي ﷺ في الحديث السابق : إن سليمان بن داود - عليهما السلام - لما بني مسجد بيت المقدس .. الخ: أنه جدد بناءه ليس إلا ، لأن المسجد موجود من قبله كما مر .

(1) المسجدين : متى المسجد الحرام والمسجد الأقصى .

(2) راجع فتح الباري 6/4.8 ، 4.9 .. وكذا الطريق إلى بيت المقدس ص 11 .

(3) راجع : القدس الخالدة ص 179 .

(4) تردد هذا المعنى عن ابن عباس وغيره .. راجع معجم البلدان لياقوت الحموي 1/112 .. وإعلام الساجد : 283 . والأنس الجليل 1/311 .

(5) صحيح .. وهو متفق عليه ، وقد سبق تخريجه .

وإذا كان يعقوب وسليمان- عليهما السلام- جدداً بناءه فنحن المسلمين أولى بهما من اليهود.

في يعقوب وسليمان- عليهما السلام- نبيان دعيا إلى ديانة توحيدية سماوية وهي الإسلام، بخلاف ما عليه اليهود اليوم من انحرافات ووثنيات جعلوها ديناً.



هل بنى المسجد الأقصى على أنقاض الهيكل المزعوم ؟

ثم نأتي إلى الإجابة عن السؤال الثاني وهو :

هل بُني المسجد الأقصى على أنقاض الهيكل المزعوم ؟

فاليهود يزعمون أن المسجد الأقصى بناه المسلمون مكان هيكلهم المزعوم ، فقد جاء في دائرة المعارف اليهودية (باللغة الإنجليزية) : إن اليهود يبتغون أن يجمعوا أمرهم ويأتوا إلى القدس ويتغلبوا على قوة الأعداء (المسلمون) ويعيدوا العبادة إلى الهيكل مكان المسجد الأقصى ، ويقيموا ملكهم هناك (1) .

ولهذا يعمل اليهود لهدم المسجد الأقصى .. فهل بنى المسلمون المسجد الأقصى مكان الهيكل المزعوم ؟

وجوابنا :

(1) ذكرنا أن القدس أنشأها الكنعانيون العرب قبل عشرات القرون (ق م) .. فهم أصحابها الشرعيون ، وسكانها الأصليون ، ولم يكن فيها هيكلًا ، ولا مذبحًا لأحد ، بل كان فيها الصخرة الشريفة والمسجد الأقصى الذي توالى الأنبياء على تجديده (2) .

ثم دخل الإسرائيليون فلسطين وتسللوا إلى القدس بعد أكثر من خمسة وثلاثين قرنًا من إنشائها قبل الميلاد ، لكن الكنعانيين العرب قاوموهم وردوهم ، فلم ينل الإسرائيليون منهم منالًا إلا بالتخريب والتدمير حينًا ، أو بالمسالة والخداع والخيانة حينًا آخر .

وذكرنا أن المسجد الأقصى بُني قبل أن يحل اليبوسيون أنفسهم أرض فلسطين ؛ فإنه ثاني بيت بُني لله تعالى في الأرض بعد المسجد الحرام ، كما بين النبي P في الحديث السابق الذي رواه عنه أبو ذر T ؛ ولهذا فالمسجد الأقصى هو الأسبق من الناحية التاريخية ، فكيف بناه المسلمون على أنقاض الهيكل المزعوم الذي لم يُعرف له ذكر إلا بعد داود وسليمان عليهما السلام ؟ .

ولهذا ليس صحيحًا أن يكون المسجد الأقصى على أنقاض الهيكل المزعوم .. وإذا افترضنا - جدلًا - أن لليهود هيكلًا يزعمونه فيكون هو الذي بُني على أنقاض المسجد الأقصى ، وقد أعاده

(١) راجع : بيت المقدس لمحمد بشير عثمان مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ص 95-96 عدد 6 سنة 1986-الكويت .

(٢) لاحظ أن المسجد الأقصى بنى بعد المسجد الحرام بأربعين سنة كما جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه .. أي قبل

دخول الإسرائيليين فلسطين بألاف القرون .

المسلمون إلى أصله كما كان مسجداً ، ويجب أن يظل على أصله هذا ، وأن هدمه لبناء الهيكل المزعوم مرة أخرى على أنقاضه افتراء واعتداء يجب منعه بكل الوسائل .

(ب) ومع أننا نؤكد أن الأنبياء توالوا على تجديد المسجد الأقصى ، وأن سليمان لا جدد بناءه إلا أننا نؤكد أنه ليس هو الهيكل المزعوم .. وأن الهيكل المزعوم إذا وُجد يوماً فيكون قد بُنى بعيداً عن المسجد الأقصى ، وأن المسلمين الذين توالوا على تجديد المسجد الأقصى منذ عمر بن الخطاب لا يقر واحد منهم : إنهم بنوه على أنقاض الهيكل المزعوم .. اللهم إلا افتراءات اليهود الكذابين .

وبين هنا أمور :

1 - أن داود لا لما تولى حكم الإسرائيليين - وكان من سبط يهوذا - اتجه بجيوشه إلى مدينة القدس فاستولى على جزء منها يسمى (جبل صهيون) ، ويدعونه (بالمدينة الفوقانية) ، وجعلها عاصمة للملكه ، ومقرّاً للسلطة الدينية ، ولذلك بدأ ببناء المذبح أو المعبد الكبير أي الهيكل ، ومات قبل إتمامه ، ثم أمته ابنه سليمان لا من بعده ، ولذلك فهو يُسمى هيكل سليمان .

ثم أخذ داود لا يضغط على اليبوسيين العرب سكان المدينة ، ويضايقهم في جبلهم ، الذي يدعى جبل (الموريا) ويسمونه (المدينة التجتائية) ، فرحلوا تاركين ديارهم حتى لم يبق لهم إلا مسطح القمة ، مكان المسجد الأقصى وقبة الصخرة حالياً ، ويملكه فلاح فلسطيني يبوسي يُسمى (أرونا) .

ذكر الدكتور حسن ضاظنا : أنه في ربيع السنة الرابعة من جلوس سليمان لا على عرشه وضع الحجر الأساس لبناء الهيكل أي بعد (500) خمسمائة سنة من خروج بني إسرائيل من مصر مع موسى لا وبعد سبع سنين من ذلك التاريخ تم البناء ، أي في خريف السنة الحادية عشرة من ملك سليمان أيضاً .

ذكر المؤرخ اليهودي اليوناني (يوسفوس) في كتابه : (تاريخ اليهود ، الجزء الثامن ، الفصل الثالث) .. أن سليمان لا وضع أساس الهيكل بطول ستين ذراعاً (3105 متر) وعرضه عشرين ذراعاً (5001 متر) .. هذه الأبعاد في أساس الهيكل هي ذاتها طوله وسطحه فوق ظهر الأرض ، حسب رواية الكتاب المقدس .

معنى هذا أن سليمان لا قد وصل بأساس الهيكل إلى عمق سحيق ، وكان هذا الأساس يتكون من مكعبات من حجر شديد الصلابة ، يمكن أن يتحمل بعد إرسائه في أعماق الأرض كل

ثقل المبنى القائم عليه ، والذي يزيد من ثقله كل هذا التصميم الزخري الذي أعده له سليمان ، وهو تصميم يزن مثل وزن الهيكل نفسه ..

ومفهوم كلام (يوسفوس) أن الكتلة المحددة بهذه الأبعاد كانت كلها مصمتة ، مملوءة بالمكعبات الحجرية الضخمة ، ولم تكن مجرد سياج يحيط بالأرض (1) .

ويرجع كثير من الأثريين ، وفي مقدمتهم الأثري الفرنسي (دي سولسي) في كتابه (تاريخ الفن اليهودي) أن الهيكل الذي بناه سليمان كان داخل سور يحيط بكل جبل الهيكل ، ويبدو أن السور الذي كان يحيط بمنطقة الهيكل على أيام سليمان كان مربعاً طول ضلعه (18 . متراً) ثمانون ومائة متر . فشكل مساحته ما يحيط به السور نحو ثمانية أقدته إلا ربعاً .

وبهذه المناسبة يذكر الأثري الفرنسي (دي سولسي) مقاييس الحرم الإسلامي الشريف في المنطقة نفسها ، وفي العصر الحديث كما قاسها هو بنفسه ، وهي :

الضلع الشرقي لسور الحرم وطوله (384 متراً) أربعة وثمانون وثلاثمائة متر .

والضلع الجنوبي طوله (225 متراً) خمسة وعشرون ومائتان متر .

ثم يمتد الضلع الغربي بزاوية منفرجة ، وفي خط غير مستقيم ، بحيث يكون الضلع الشمالي من السور أطول بكثير من مقابله الجنوبي .

وقال الدكتور حسن ظاظا : وينبني على ما ذكره (دي سولسي) أن تكون مساحة الحرم الشريف أكثر بكثير من ضعف مساحة جبل الهيكل داخل أسوار سليمان ، أو نحماً ، أو هيردوس .

لا دليل على أن الحرم الإسلامي بني فوق مكان الهيكل

وهناك أيضاً أمر يستحق الانتباه وهو : أن الحرم الإسلامي الشريف مستطيل ، واتجاهه من الشمال إلى الجنوب (في اتجاه القبلة بمكة المكرمة) .

أما معبد سليمان فهو مستطيل ، لكن اتجاهه من القرب إلى الشرق (نحو الشمس) وهو الاتجاه العام في المعابد القديمة في بابل ، أو مصر ، أو غيرها من أقطار الشرق الأدنى والأوسط .

وإذن فلا يمكن التسليم برأي من يدعون أن الحرم الشريف يقوم تماماً على ما كان سابقاً يُسمى هيكل سليمان ، حتى لو سلمنا بأن الهيكل كان في هذا الركن بالذات من الجبل ، فلا

(1) راجع تاريخ اليهود الجزء 8 فصل 3 .

دليل عليه إلا العتعات التي اتخذت في نفوس البعض منزلة مقدسة، لتكرارها عبر الأجيال (1).

3 - ومع أن الهيكل المزعوم توالى على قدميره وإزالته كل من الملوك (بختنصر، وتيتوس، وهديريان) وغيرهم إلا أنني لا أرى أنهم استطاعوا اقتلاع أساس الهيكل كما ذكره المؤرخ اليهودي الثيوانى (يوسفوس) الذي مر ذكره، فإنه قوى جداً، وغائر في الأرض، فمن المتيقن أن يبقى تحت الأرض إلى يوم الناس هذا، أو يبقى أكثره أو بعضه، وخاصة أن التدمير الذي لحق به أصاب البناء الظاهر على سطح الأرض ولم يصب الأساس الذي تحت الأرض.

وكيف لا؟ وهناك آثار أقدم منه، وأضعف منه لا تزال باقية، ويعثر عليها الأثريون يوماً بعد يوم.

وقد ذكرنا أن المسلمين حين فتحوا القدس، وجدوا بناء المسجد الأقصى كان قد مضى على هدم الهيكل المزعوم وتخريبه ستة قرون تقريباً، ولم يجدوا لهذا الهيكل المزعوم أثراً يعرفونه به ولو صغيراً، ولو وجدوا له أثراً يُعرف به ولو حقيراً لذكروه، ولَوَرَدَ ذلك عنهم بأسانيد صحيحة، وتوارثته الأجيال، وسجلته كتب التاريخ عن الصحابة، وهم أعلى جيل إسلامي في الصدق والأمانة والإنصاف.

والأثريون اليهود أنفسهم وغير اليهود أكثروا من الحفر في القدس وتحت المسجد الأقصى وحواله للبحث عن أثر - ولو صغير - للهيكل، وخاصة بعد الاحتلال اليهودي لفلسطين في عصرنا، ومع أن تقرير خبراء الآثار أوصى بعدم الاستمرار في الحفريات بجوار سور الحرم القدسي لخطرها عليه، إلا أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي واصلت أعمال الحفر، وحفرت تحته انفاقاً (2) ممتدة وغائرة، شملت كل أرضه، ومع هذا لم يجدوا شيئاً يشير إلى وجود الهيكل المزعوم في هذا المكان، ولو وجدوا شيئاً ولو ناقهاً لأقاموا الدنيا ولم يقعدوها.

4 - وجاء في كتاب (النبوءة والسياسة) مؤلفته الأمريكية (جريس هاليس) أنها زارت القدس سائحة أجنبية بعد احتلال الإسرائيليين لها في يونيو سنة 1967 م، والتقت مع عالم الآثار الأمريكي المعروف (جوردن فرانز) الذي جاء لينقب عن الآثار في القدس قالت: إنني أجريت في القدس مقابلة مع عالم الآثار الأمريكي (جوردن فرانز) من (نيوجيرسى) - الذي أمضى عامين في أعمال الحفريات مقيماً في معهد الأرض المقدسة عندما زرته في غربي القدس .. وسألته:

(1) راجع القدس مدينة الله أم مدينة داود ص 112 : 124

(2) قال في القاموس (2/ 1227): النفق حركة: سرب في الأرض له تخلص إلى مكان.

هل هناك أي دلائل على أن الهيكل كان قائماً في الموقع الذي يقع فيه المسجد الأقصى وقبة الصخرة ؟

رد قائلاً : هناك عدة نظريات حول الهيكل :

أ - كثيرون يقولون : إنه يقع حيث قبة الصخرة اليوم ، لذلك يقول الصهاينة : تجب إزالة المسجد الأقصى ، أو أن إرادة الله ستزيله ، مثل هزة أرضية سوف تدمره ، أو أن شخصاً ما سوف يقوم بتسفه بالديناميت .

ب - وأن كبير الحاخامات الإشكناز الحاخام (جوردن) يعتقد : أن الهيكل كان يقع إلى الشمال قليلاً من قبة الصخرة .

ج - وثمة نظرية ثالثة تقول .. إن الهيكل كان يقع على الجانب الشمالي من الساحة ، وهم يعتقدون أن قدس الأقداس يقع قرب قبة الروح القدس .

والرأي الرابع يقول : إن الهيكل قد سبق ، وتم بناؤه على شكل كنيس ضخم في شارع جورج الخامس في غرب القدس . ا هـ

معنى هذا أن اليهود ذاتهم ليسوا على يقين من وجود الهيكل المزعوم تحت المسجد الأقصى أو تحت غيره .

قالت الكاتبة : وعدت إلى السؤال : أين كان موقع الهيكل قبل ألفى سنة كما تعتقد ؟

فرد قائلاً : إنني لا أعرف .. لا أحد يعرف (1)

معنى هذا أن هذا الخبر الأمريكي لم يعثر هو الآخر على دليل لوجود الهيكل المزعوم تحت المسجد الأقصى ، مع أنه دخل النفق القديم تحت المسجد الأقصى هناك ، ولم يعثر فيه على أية دليل يثبت أنه أثر إسرائيلي .

كما قرر ذلك العائم الأمريكي : أنه لا يوجد أيضاً أي دليل يثبت أن هيكل سليمان كان موجوداً في هذا المكان (2) .

(1) راجع : منبر الإسلام الصادر في شعبان 1420 هـ الموافق نوفمبر 1999 م ص 82 ، 83

(2) مجلة منار الإسلام الصادرة في رجب سنة 1404 هـ في إبريل 1984 م عن مقال : هدم الأقصى إلى أين ؟ للمحمود محمد

ونقلت جريدة الأسبوع المصرية : أن (مائير بن دوف) أبرز علماء الآثار الصهاينة فجر قنبلة إعلامية حيث كشف النقاب عن أنه لا يوجد أثر لما يُسمى بجبل الهيكل تحت المسجد الأقصى ، مُوضحاً : أن ما كان موجوداً في أيام النبي سليمان لا في هذه المنطقة هو هيكل الملك الروماني (هيروديس) وقد قام الرومان بهدمه .

ويُضيف (بن دوف) : أن الصليبيين هم الذين أطلقوا على الصخرة المشرفة اسم صخرة الهيكل .. وخلال مسيرة الحفريات والدراسة التي أجريتها خلال الخمس وعشرين سنة الماضية استنتجنا من ذلك : أنه لا يوجد هيكل هناك .

قالت الجريدة المذكورة : ورغم هذه الإثباتات العلمية والتاريخية التي أكدها علماء اسرائيليون فإن هناك جماعات تُحاول اختراع تاريخ خاص بها لإشعال المنطقة (1)

5- وقد أكد العديد من المهندسين العالميين الذين درسوا التربة التي يقوم عليها المسجد الأقصى وتعمقوا فيها بأنه لا يوجد في ذلك المكان أي دليل أو شبهة لأي أثر عن الهيكل المشار إليه ، والذي يزعم الإسرائيليون أنه مدفون بجوار حائط المبكى الغربي ، بل كل الدراسات انتهى إلى نتيجة واحدة هي : أن هيكل سليمان لم يكن موجوداً في منطقة المسجد على الإطلاق ، كما لا يوجد أي دليل تاريخي واحد يقطع بأن حائط البراق الذي يسميه الإسرائيليون الجدار الغربي أو حائط المبكى هو جزء من هيكل سليمان ، بل إن اسمه الحقيقي هو كما سماه المسلمون (حائط البراق) نسبة إلى البراق الذي ورد في حديث النبي ﷺ في شأن الإسراء والمعراج (2)

6- وفى عام 1983 م عقد الشيخ محمد شقرا - مدير المسجد الأقصى - مؤتمراً صحفياً قال فيه: إن الحفريات الأثرية الإسرائيلية تحت المسجد الأقصى لم تُسفر إلا عن إلقاء الضوء على آثار من العهود الأموية والعباسية والعثمانية ، ولم يجد الإسرائيليون أية أدلة تؤكد أن معبداً يهودياً أقيم في أي وقت في هذا المكان ، ومنذ مطلع السبعينيات ووزارة الشؤون الدينية الإسرائيلية تقوم بحضر نفق على طول الحرم الشريف ، وتحت عدد من الأبنية التاريخية ، وهدفها هو العثور على أدلة بأن الهيكل شُيّد في هذا الموقع ، وبلغ طول هذا النفق الف قدم ،

(1) راجع : جريدة الأسبوع المصرية في عددها (421) الصادرة في 9/3/1426 هـ - 18/4/2005 م .

(2) راجع : معالم التاريخ الإسلامي المعاصر لأنور الجندى طبعة 1981 م .

ولم يُشَق هذا النفق بصورة علمية ، وأن خمسة مبانٍ تواجه الآن مشاكل ؛ نتيجة التصدع الناجم عن التقدم في شق النفق (1)

7- وفي لقاء بين مندوب صحيفة (الأهرام) القاهرية الأستاذ محمود مهدى مع سماحة الشيخ إبراهيم قطان قاضي قضاة الأردن خلال شهر مايو سنة 1983 م قرر سماحة قاضي القضاة ، أنه ليس لهيكل سليمان وجود في مكان المسجد الأقصى ، والمؤكد أنه كان خارج حدود الجبل الذي يقع عليه المسجد ، وكثير من العلماء والأثريين الإسرائيليين أنفسهم على يقين بعدم وجود أي اثر لهذا الهيكل في مدينة القدس ، فإنه منذ قرن من الزمان والبعثات الأثرية ، والأثريون الإسرائيليون يبحثون وينقبون دون جدوى (2)

وقال الشيخ عكرمة صبري - مفتي القدس - : اليهود يزعمون أن المسجد الأقصى قد بنى على انقاض هيكل سليمان ، وهم يبحثون منذ سنوات عن هذه الأنقاض ، ولم يعثروا على شيء ، بل إنهم غير متأكدين من مكان هذا الهيكل ، فتارة يقولون : إنه يقع على طريق بين (أريحا والقدس) ، وتارة أخرى يقولون : إنه على طريق بين (القدس وبيت لحم) ، ومنهم من يزعم أنه في منطقة الحرم القدسي الشريف (3) .. فأين آثاره ؟

8- وكذلك لا يوجد دليل مقنع ولو ضعيف يُذكر ولو تلميحاً أن الصخرة الشريفة والتي بمسجد الصخرة هي المعنية في التلمود أو هي حجر الأساس المذكور في التلمود ، اللهم إلا اعتنات يهودية شفوية لا تقوم على برهان . مقنع أو غير مقنع . ولا يقوم عليها دليل . صحيح أو غير صحيح ..

والحق كما قال الدكتور حسن ظاظا : أننا لا ندري أي صخرة يعنيها اليهود ؟ .. فالتلمود يذكر أن الصخرة التي يُقدسونها ترتفع عن مستوى سطح الأرض ثلاثة أصابع (التلمود - يوما / 385 ، 4 ، توسفتا 6/ 83 ، وموسى بن ميمون في كتابه : طقوس يوم الغفران) بينما الصخرة الموجودة حالياً ترتفع عن مستوى سطح الأرض بنحو متر كامل ، ومحيطها يُناهز العشرة امطار وتحتها فجوة ، هي بقية مغارة قديمة ، عمقها أكثر من متر ونصف ، تبدو الصخرة فوقها وكأنها معلقة بين السماء والأرض ، وبين الصخرة وقاع المغارة دعامة من الخشب حتى لا تنهار .

(1) منبر الإسلام الصادرة في شعبان 142 . هـ الموافق نوفمبر 1999 م ص 82 ، 83 سنة 85

(2) راجع صحيفة الأهرام القاهرية بتاريخ 6 / 5 / 1983 .

(3) الأهرام القاهرية 29 / 8 / 2001 م

أجل، لا ندري أي صخرة يعنيها اليهود ، والله أعلم بصخرتهم التي يعتونها ماذا صنع بها (يختنصر) ، و (انطيوخوس أبيفانتوس) ، و (تيتوس) ، و (فسبازيان) ، و (هدران) (1) والرومان وغيرهم ممن دمروا اورشليم مراراً وتكراراً تدميراً كاملاً ؟ .

9 - على ان هناك من الدارسين من يرى أن الهيكل المزعوم لا وجود له إلا في أذهان اليهود وقوراتهم .

وقد نشرت صحيفة (معاريف الإسرائيلية في عدد 7 فبراير 1997 م) ان (منليك بن سيدنا سليمان) من (بلقيس .. ملكة سبا) سرق تابوت العهد من أبيه في أثناء بناء الهيكل وأنه هرب بالتابوت إلى الحبشة (أثيوبيا) .

ويؤكد هذا أن التوراة ذكرت تابوت العهد هذا حوالي (200) مرة ، لكن الكتب اليهودية التالية على التوراة لم تذكره .

وأيضاً لم يكن تابوت العهد في قائمة الممتلكات التي أخذتها جيوش (بختنصر) عند انقضاضها على القدس عام 586 ق.م .

ولم يُذكر تابوت العهد أيضاً عند بناء الهيكل المزعوم على يد (كورش) ملك الفرس عام 583 ق.م.

وأضافت الصحيفة المذكورة : أن الهيكل لا يعنى أي شيء بدون تابوت العهد ، وأن الحفائر تحت المسجد الأقصى للتوصل إلى التابوت ستبوء بالفشل .

هذا ، ولقد دُكرت بقية من تابوت العهد في القرآن الكريم أيام أول ملك لبني إسرائيل الذي يذكره القرآن باسم طالوت، كما في قول الله تعالى : (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ) (البقرة:248) .

وكانت حدود مملكة طالوت خارج مدينة القدس حيث أقاموا أول معبد لهم في مدينة (ججون) ، وكان (اليبوسيون) لا يزالون يحكمون مدينة (القدس) ولم يرد أي ذكر لتابوت العهد بعد ذلك في كل الأدلة الخاصة بنبي الله داود أو سليمان عليهما السلام .

إذن فلا وجود لتابوت العهد بعد ذلك ، والاحتمال الأكبر أنه فقد منهم في إحدى الحروب ، لأنهم لم يحافظوا على ما جاء في نوحى الشهادة .

(٦) هذه أسماء القادة والملوك الذين أنزلوا باليهود أشد العقوبات في تاريخ اليهود .

وطبقاً لما جاء في (القرآن الكريم) وما أثبتته صحيفة معاريف ، فلا وجود لتابوت العهد في عهد نبي الله سليمان P أو حتى أثناء بناء الهيكل لوضع التابوت .

حتى لو افترضنا جدلاً أن التابوت كان موجوداً أثناء بناء الهيكل ثم فقد قبل إتمام البناء فلماذا يكمل نبي الله سليمان البناء ، ولأني غرض إذاً مسيينه بهذه الفخامة إذ كان قد سرق منه أثناء البناء أهـ (1) .

10 - حائط البراق :

حين أصغر وزير الخارجية البريطاني بلفور عام 1917 م وعداً بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين تسلل اليهود إلى القدس ، وابتدعوا ما أسموه حائط المبكى (2) لجذب اليهود من مختلف الدول إلى فلسطين ، وربطهم بأثر مقدس .

وبدعوا يتسللون إلى حائط المبكى ، ويضعون حوله الستائر .

وعملوا على إضاءته بالمصابيح .

وأخذوا في التجمع والتجمهر حوله أيام السبت من كل أسبوع . (3)

ومن ثم أثاروا حفيظة المسلمين أصحاب الأرض الشرعيين ، وبدأت الاشتباكات بينهما ، والتي بلغت ذروتها عام 1929 م خشية إقرار حقوق لليهود في الحائط المشار إليه ، مما اضطر حكومة الاحتلال البريطاني إلى التدخل ، وطلبت من عصبة الأمم (4) الموافقة على تشكيل لجنة دولية لتتظرف في حق الملكية له - لمن ؟ لليهود ؟ أم للمسلمين ؟

وفي عام 1930 م اتخذت عصبة الأمم قرارها بتشكيل اللجنة الدولية المشار إليها .

شهادة اللجنة الدولية

عقدت تلك اللجنة الدولية 23 اجتماعاً برئاسة (ايل . لو . فقرن) عضو مجلس الأعيان في حكومة اسوج رئيساً .. و (تشايس بارد) رئيس محكمة العدل في جنيف عضواً و (فان كمين) عضو البرلمان الهولندي عضواً ، واستمعت خلال اجتماعاتها إلى عدد كبير من

(1) راجع : جريدة اللواء الإسلامي في الخميس 1 . رجب 1422 هـ / 27 / 9 / 2001 م .

(2) هو لدينا نحن المسلمين حائط البراق .

(3) راجع : مجلة الفيصل عدد 61 رجب 1422 هـ مايو سنة 1982 مقال : حائط البراق الشريف المسمى خطأ بحائط المبكى لشمس الدين العجلاني .

(4) عصبة الأمم كانت تقوم مقام هيئة الأمم المتحدة المعاصرة .

المواطنين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود وقتئذ ، ودرست الشواهد والأثار التاريخية للحائط موضوع النزاع ، وأخذت بعين الاعتبار الصلح الموقع عام 63 م بين الخليفة الراشد عمر بن الخطاب والبطريك (صفرونيوس) زعيم مسيحيي القدس ، والذي نص على أن النصارى - ويُطلق عليهم المسيحيون - اشترطوا على المسلمين ألا يسمحوا لليهود بالدخول إلى القدس أو العيش فيها .

وقد عرض الجانب اليهودي على اللجنة 35 وثيقة ومستنداً ، مقابل 26 وثيقة من العرب المسلمين.

وفي ديسمبر (كانون الأول) من عام 1930م أعلنت اللجنة قراراتها ، ورفعتها إلى عصبة الأمم ، وحكومة الانتداب البريطاني ، وكانت على الشكل التالي في مجملها :

(للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي ، ولهم وحدهم الحق العيني فيه ، لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف ، وإن أدوات العبادة وغيرها من الأدوات التي يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط بالاتفاق بين الطرفين لا يجوز بأي حال من الأحوال أن تعتبر أو يكون من شأنها إنشاء أي حق عيني لليهود في الحائط أو في الرصيف المجاور له) .

(ويمنع اليهود من جلب المقاعد ، والسجاجيد ، والحصر ، والكراسي والستائر، والدواب تقرب الحائط) .

(ولا يسمح لليهود بنفخ البوق بالقرب من الحائط) .. (ومن حق المسلمين وواجبهم تنظيف الرصيف المقابل للحائط وإصلاحه متى كان ذلك ضرورياً) (1)

مدى أهمية تقرير اللجنة الدولية . . وهل التزم الإسرائيليون به ؟

يعتبر تقرير اللجنة الدولية السابق الإشارة إليه أول وثيقة دولية تثبت حق المسلمين وعرب فلسطين وحدهم في ملكية حائط البراق الشريف ، وأن هذا الحائط قد بُنى بأيدي المسلمين ، وليست له أية علاقة من قريب أو بعيد بهيكل سليمان محل عبادة اليهود .

وبالرغم من هذه الحقيقة الواضحة بجلاء فإن الإعلام وأبواق الدعاية الإسرائيلية لا تمل من خداع الرأي العام العالمي ، وحمله على الاعتقاد بأنه مكان يهودي مقدس ، مع أن المهتم بتاريخ الحركة اليهودية ومؤتمراتها وأراء فلاسفتها يدرك تماماً أن ما يسمى بحائط المبكى بدعة ابتكرها زعماءهم حديثاً في القرن السادس عشر الميلادي ، أما قبل هذا التاريخ فلم يرد

(1) راجع مجلة الأزهر عدد 9 الصادر في رمضان عام 1421 هـ الموافق ديسمبر 2000 م .

اسم حائط المبكى بأية وثيقة يهودية. وذلك لربط اليهود المشتتين في أنحاء العالم بأثر مقدس يثير مكامن الشعور فيهم؛ بغية تجمعهم؛ لإعادة بناء هيكل سليمان - كما يزعمون - مكان واحد من أقدس المقدسات الإسلامية، وهو المسجد الأقصى.

قالت الدكتور / زينب عبد العزيز- بحق -: يشكل هذا حائط البراق الجزء الجنوبي الغربي من جدار الحرم القدسي الشريف بطول حوالي 47 م وارتفاع حوالي 17 م ويتخذهُ اليهود في هذه الأيام معبداً لهم. ولم يكن في أي وقت من الأوقات جزءاً من الهيكل اليهودي. ولكن التسامح الإسلامي هو الذي مكن اليهود من الصلاة أمام هذا الحائط. كما أن (التوراة) عندما تتحدث عن الحائط الغربي للهيكل فإنها لا تشير أبداً إلى الحائط الغربي لجبل البيت، وكذلك فإن هذا الحائط لم يكن موقع عبادة عند اليهود حتى القرن السادس عشر الميلادي.

وتقول الموسوعة اليهودية (الجزء 16 صفحة 468 القدس 1971م) ما يلي: إن مصادر (المدراش) (هو شروح التوراة) تتحدث عن الحائط الغربي للهيكل الذي يحل فيه الحضور الإلهي ولا يفارقه أبداً، وهو الحائط الذي لا يمكن تدميره أبداً، ومن المحتمل أن حاخامات اليهود يشيرون إلى الحائط الغربي لقدس الأقداس، وأن عدم قابلية هذا الحائط للتدمير هي رمزية فقط، لأنه دمر بالفعل، والمصادر التي تتحدث عن اليهود في القدس حتى القرن السادس عشر تشير إلى تعلق اليهود بالهيكل، ولكنها لا تذكر شيئاً عن الحائط الغربي لجبل البيت (حائط البراق).

وفي فترة الجيونيم؛ وهم رؤساء الأكاديميات اليهودية في القرن السابع والثامن والتاسع الميلادية) كان موقع الاجتماع والصلاة عند اليهود على جبل الزيتون. ولا نجد إشارة إلى الحائط الغربي مطلقاً عند ناحمان (وفي وصفه المفضل لموقع الهيكل سنة 1267م) والحائط غير مذكور أيضاً في التقرير الديني المعروف باسم استوري هابارحي (في القرن الرابع عشر) ولا يشار إلى هذا الحائط البتة في المصادر اليهودية في القرن الخامس عشر مثلاً: (رحلات ميشولام من فولتيرا، وعوبادية من بيرتنورو) وليس في هذه المصادر كلها ما يدل على أن الحائط كان مكان عبادة أو صلاة لليهود.

إن الحائط الغربي أصبح جزءاً من التقاليد الدينية اليهودية حوالي سنة 152م نتيجة للهجرة اليهودية من أسبانيا، وبعد الفتح العثماني سنة 1571م.

وعليه فإن اليهود يشهادتهم يتخذون من (حائط البراق) أو الحائط الغربي مكاناً للصلاة منذ القرن السادس عشر فقط ، وقد أصبح لهذا الفعل ارتباط وثيق بالأطماع السياسية الصهيونية العالمية التي كشفت عن أطماعها في القرن التاسع عشر. (1)

والحاصل : أن المسجد الأقصى لم يُبن على أنقاض هيكل سليمان المزعوم أو على أساسه .. وإذا افترضنا جدلاً أن نبي الله سليمان لا بنى هيكلًا فلا نعتقد أنه لا بناء ليكون مركزاً للشرك بالله تعالى أو مجلساً لممارسة الخطيئة .

هذا ، ويكرر مرة أخرى أن الله تعالى ذكر المسجد الأقصى موصوفاً بالمسجدية وبالبركة حوله ، ومقروناً بأقدس مسجد في الأرض ، وهو المسجد الحرام بمكة ، يقول سبحانه : (سُبْحَانَ النَّبِيِّ أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) (الإسراء : 1) .. وهذا يقتضي أن يُجاهد المؤمنون - الأقرب فالأقرب حتى يتمع المسلمون جميعاً - لتحرير فلسطين من الاحتلال اليهودي ، وبقاء الأقصى مسجداً للمؤمنين ما بقي القرآن وبقية الدنيا ، ولا يتناقض القرآن مع الواقع .

وأختم بخبر أعجبتني ، ساقه ناشر كتاب (القدس مدينة الله أم مدينة داود) في مقدمته قال : سئل الرئيس اللبناني الأسبق (سليمان فرنجية) وكان السائل السياسي اليهودي الأمريكي (هنري كيسنجر) عن يجب أن تكون القدس تحت رعايته ؟ فأجاب الرئيس اللبناني : العرب المسلمون .

ثم أضاف : المسيحيون : لا يؤمنون بمحمد p .. واليهود : لا يؤمنون بنبوّة المسيح ولا بنبوّة محمد .

والمسلمون : يؤمنون بموسى وعيسى وسائر الأنبياء : فهم وخدمهم المؤهلون لرعاية هذه المدينة ! وصدقت كلمة الرئيس اللبناني المسيحي (2)

والتاريخ شاهد صدق على هذا ، فالقدس في تاريخها الطويل لم تشهد أماناً ولا سلاماً إلا في ظل الإسلام ، ففي العهد الإسرائيلي عارك اليهود الرومان ، وثنيين ومسيحيين ، ولم تعرف المدينة سلاماً ولا أماناً قط ، وكذلك في العهد الروماني أيضاً .

(1) راجع حائط البراق .. د/ زينب عبد العزيز ص 93 ، 94 .

(2) راجع القدس مدينة الله أم مدينة داود ص 13 نقلاً عن جريدة الشرق الأوسط في أوائل عام 1997 م .

أما في عهد الدولة الإسلامية حين حكمها المسلمون عاشت المدينة في أمان وسلام لم تشهده من قبل ، حيث عاش المسيحيون واليهود والمسلمون في سلام لم يعرفوه في العهود السابقة .. وفي العهد الإسلامي حُفظت المعابد اليهودية والكنائس المسيحية ، وكانها مساجد إسلامية ، وكان المسلمون يسمون بعض أولادهم بأسماء أنبياء بني إسرائيل ، إشعار بالود بينهم وبين اليهود والمسيحيين .. فهذا إسحاق .. وذاكر تلياس .. وذاكر داود ، وهكذا حتى عندما بنوا المسجد الأقصى في عهد عبد الملك بن مروان أطلقوا على بعض أبوابه أسماء أنبياء بني إسرائيل ، فهذا باب داود ، وذاك باب سليمان .. وسُموا أحد أبوابه باسم باب (حطة) (1) .. وذاك إشارة إلى قول الله تعالى: (وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ) (الأعراف: 161).

فماذا فعل اليهود حين دخلوا القدس وأصبحت تحت سيادتهم ؟ ابن السيد

- أ- صادروا أراضى الأوقاف الإسلامية والمسيحية مَعاً واغتصبوها .
- ب- خربوا آلاف المساجد والكنائس أيضاً ، واغتصبوها وحولها إلى معابد أو ملاهي أو مساكن ، أو إسطيلات للدواب .
- ج- اغتصبوا أملاك الأفراد من بيوت وأراضى بعد أن خربوها وطردوا أهلها الشرعيين منها أو قتلوهم .

وهاهم يقتلون المسلمين في فلسطين واحداً بعد الآخر ، بل عشرات بعد عشرات .

ويقولون : إن انتفاضة الأقصى هي السبب ، وأن صواريخ المجاهدين (العبثية 11) هي السبب ، ويردد هذا أذناهم من الصهاينة العرب ، وهذا غير صحيح ، فاليهود يقتلون المسلمين في فلسطين قبل الانتفاضة وبعدها ، سواء حملوا السلاح أم لم يحملوه ، فما هو طفل فلسطيني صغير في الشارع لا يحمل سلاحاً ولا حجراً يقتله اليهود ضرباً بالناز .

وهاهو فلاح فلسطيني في أرضه يحرقها يقتلونه ضرباً بالنار .. هذا كله فضلاً عن هدم البيوت ، وتخریب الأراضي المزروعة كل يوم ثم اغتصابها .. وفي الشهر الأخير من عام 2009 م قتل يهودي مجرم شاب فلسطيني تحت عجلات سيارته ، ورجع عليه بالسيارة ذهاباً وإياباً عمداً لا خطأً ، وقصداً لا سهواً .. وكل يوم على هذا الحال .

(1) راجع المسلمون واسترداد بيت المقدس 28 ، .. وعروبة القدس 8 .

وهل قامت انتفاضة الأقصى (1) او اطلق المجاهدون صواريخهم إلا بسبب جرائم اليهود
ضد المسلمين المدنيين ؟ .

وكن من يسمع ؟ .. ومن يعقل ؟ .. ومن يستجيب ؟ . .

(1) انتفاضة الأقصى عام 1421 هـ مجموعة من الأطفال والشباب قاموا بقتل فون اليهود بالحجارة رداً على اعتداءات
اليهود عليهم بالسلاح (11144) .

الفلسطينيون وأكذوبة بيع الأرض

(1)

1 - مع أنى اتقيت القلم من يدي بعد انتهائي من الفقرات السابقة ، ورايتها بمفردها جديرة أن تكون كتاباً يُقرأ ، رايت أكذوبة بيع الفلسطينيين أرضهم قد راجت وانتشرت بين المسلمين ، فأحدثت فيهم من الفتنة والتخيل ما الله به عليم .

وأية ذلك : أن الحكومة المصرية حينما سمحت لتقابة الأطباء والجمعية الشرعية لديها بجمع الأموال السائلة والعينية وإرسالها إلى الفلسطينيين أثناء انتفاضتهم الشهيرة (فى عام 2000 م ، 2001) كنت أحت المسلمين على الإنفاق ، وأنبه أن إنفاقهم هذا ليس تبرعاً منهم كما يشاع ، بل هو فريضة جهادية عينية فرضها الإسلام ، ولا فرار منها (1) ، وأن الإمساك عن الإنفاق هنا مع القدرة عليه نوع من التولي يوم الزحف ، وهو كبيرة من الكبائر (2) إلا أنى كنت أرى خذلاناً لدى عدد من المسلمين ، يبررونه بهذه الأكذوبة الشائعة : يا رجل ، إنهم باعوا أرضهم تنفق أموالنا على من باعوا أرضهم ؟ . على من خانوا وفرطوا ؟

الفلسطينيون باعوا أرضهم ؟ . هل هذا صحيح ؟ . وسألت نفسي : من روج هذه الشائعة الخطرة المخدلة ؟
خطر الشائعات :-

أود قبل أن نبين كذب هذه الشائعة أبين لقومي من المؤمنين أن الشائعات أمرها خطير ، وشرها مستطير ، إنها تحدث فتناً واضطرابات هائلة في المجتمعات المتماسكة ، وتصدها غائراً في الصفوف الملتحمة .

وقد بين الله تعالى خطرها هذا على الصف الإسلامي حين ثبط المنافقين من أصحابها عن الخروج مع المؤمنين في المعركة .. فيقول سبحانه (كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (46) تَوْخَرُجُوا فِيكُمْ مَا رَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا تُضْعَفُوا خَلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (التوبة : 46 ، 47)

(1) لقول الله تعالى : (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (التوبة : 41)

(2) لقوله تعالى : (وَمَنْ يُؤْتِمِرْ يَوْمَئِذٍ فَإِنَّهُ مُتَحَرِّجًا أَوْ مُتَحَرِّجًا إِلَىٰ ذُنُوبِهِ فَأَنْصَبْ مِنْ اللَّهِ رَمَادًا جَوْنَمٌ وَيَسْ أَلْمِيزٌ) (الأنفال : 16)

أي لو خرجوا معكم محاربين ما فعلوا إلا المشي بالنميمة ، وبت الإشاعات وترويجها ؛ لإشعال الفتنة في الصف ، وتخليده ، وخاصة أن في المؤمنين ضعفاء ، سماعون لحديثهم ؛ مما يساعد على انتشار الفتنة وتمزيق الصف .

ولأجل خطر الإشاعات هذا هدّد الله تعالى مروجيها من المنافقين ومرضى القلوب إن لم ينتهوا عن إشعالها وترويجها ليسلطن عليهم رسوله - صلى الله عليه وسلم - فيستأصل شأفتهم ، كما سلطه على أسيادهم اليهود ، فاستأصل قوتهم من المدينة ، يقول سبحانه: (ثُمَّ لَمْ يَنْتَهُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجُؤُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) (الأحزاب : 60)

ولهذا كله رأيت من الواجب على واد هذه الشائعة المكذوبة (بيع الفلسطينيين أرضهم) وتصحيح القول فيها ؛ لتموت الفتنة ، ويزول الخذلان الناتج عنها .

نعم ، كثير من المسلمين لديهم عقل ناضج ، ووعي راشد ، فلم يعيروا هذه الشائعة اهتماماً ، لكن هذا لا يمنعنا من الحديث عنها ، وتصحيح القول فيها ، حتى لا تنتشر أكثر ، وليتضح الحق لذوي عيّن .

(2)

أولاً : هذه الشائعة بنت اليهود :

لا أشك يوماً أن اليهود هم منشئو هذه الإشاعة ومروجوها ، وأن عملاءهم ، والمسلمين السذج ، والمعوقين حملوها عنهم ، وأشاعوها لهم في المجتمع الإسلامي ؛ لإشعال الفتنة فيه وتخليده .

وأية ذلك :

1 - أن اليهود بطبيعتهم خبيثاء ، يحاربون معركتهم بكل سلاح استطاعوه.. فكري .. أو عسكري .. أو اجتماعي .. ومن أسلحتهم الخبيثة : سلاح الخداع والحيلة ، والشائعات التي يحققون بها ما يريدون من تخذيل في أعدائهم ، وتمزيق في صفوفهم .

عرفنا هذا عنهم من قديم ؛ فضي غزوة بدر غاظهم نصر المسلمين على المشركين ، وقبل مجيء بشير المسلمين من بدر بالنصر يادروا بترويج إشاعات تنبأت بهزيمة المسلمين هزيمة ساحقة ؛ جعلت المسلمين في المدينة يقضون أوقاتاً عصيبة في انتظار أخبار إخوانهم ، ثم جاء زيد بن حارثة . رضى الله عنه . بشيراً بالنصر على ناقة النبي P ، فأشاعوا أن النبي P قد قتل ، وهذه ناقتة ، وأن زيدا يخفى الحقيقة ، ولعله أول الناجين من القتل ، والذين يصلون إلى المدينة

.. لكن وصل جيش المسلمين بعد ذلك يقود أسراه ، والبشر يملاً وجوه جنوده ، فتهلل بنور ربهما ، الذي نصرهم على عدوهم ، فسقط في أيدي اليهود ، ولم يجدوا ما يقولونه ، إلا أن الحقد غمر قلوبهم وأنطقهم ، فقالوا للنبي ρ : لا يقرنك ما لقيت من نصر ، فلئن حاربتنا لتعلمن أننا نحن الناس .

هذا حدث قديماً ، وحدث حديثاً ما هو أكثر ..

ففي معركة فلسطين عام 1948 م بين المسلمين واليهود ، كان اليهود يأمرن جنودهم بارتداء الزي العربي ، لإيهام المجاهدين المسلمين أن عرب فلسطين يقاتلونهم في صفوف اليهود ، وهم الذين جاءوا لتصرتهم .

قال الأستاذ كامل الشريف : ولقد حدثني أحد الإخوان الذين اشتركوا في معركة (اللد) قال : إن هذه الطريقة بالذات اتبعت ضد الجيش الأردني المسلم ، إذ هجمت القوات اليهودية على المدينة ، والجنود اليهود يضعون على رؤوسهم العقال العربي ، وتعلوه شارة الجيش الأردني ، فخرج الناس يقولون : إن الجيش الأردني يقاتل مع اليهود جنباً إلى جنب (1) .

وتكرر مثل هذا كثيراً ؛ حتى أصبح ظاهرة أو سلاحاً يستخدمه اليهود ضد العرب الذين انخدعوا به ، وأصابتهم بسببه فتنة كبيرة .

وكان اليهود في ذات المعركة يروجون بين المسلمين أن فلاناً من كبار عرب فلسطين عميل أو جاسوس يعمل لحساب اليهود ، للإيقاع بإخوانه العرب والمسلمين .

(1) الإخوان المسلمون في حرب فلسطين ص 84 . كانت هذه الحوادث تتكرر كثيراً بصور شتى ، وأساليب مختلفة ، فقد ثبت أن دوائر الاستخبارات اليهودية كانت تبث رجالها في ديار العروبة ، وهم يرتدون الملابس العربية ويتحدثون اللغة العربية .. وقد ألفت القوات المصرية القبض على اثنين منهم بلباس البدو في قطاع غزة ، وكانا يعضان ميكروب الكوليرا في المياه ، وظن أنها عريان ثم ثبت أنها جاسوسان يهوديان .. ودخلوا بلدة جنين أثناء قتال عام 1948 م وهم يتحدثون اللغة العربية واللهجة العراقية ، وظنهم الناس من جيش العراق المنتظر بل إنهم دخلوا الناصرة في 16 / 7 / 1948 م يرتدون ثياباً عربية ، وفرح بهم أهل فلسطين وراح الرجال يصفقون ، وتعال زغاريد النساء ورفعت السيدة راضية المهدي أم فؤاد العبوطى صوتها هاتفة : (حاج أمين يا منصور) فصب اليهود عليها رصاصهم وقتلوا ، وتكرر ذلك كثيراً .. راجع جهاد شعب فلسطين ص 329 .. ولا يزال هذا يتكرر كثيراً بين الفلسطينيين ، ولهذا يتعجب الناس : كيف يستطيع اليهود قتل المجاهدين بالقنص المتربص ، وربما نسوا هذا إلى الخيانة .. ربما .. لكن الجاسوسية اليهودية كما ذكرناه لها دور كبير في هذا .

وراجت هذه الشائعات كثيراً بين الجيوش العربية المقاتلة ، حتى علل كثير من الضباط هزائمهم أمام اليهود بهذه التهمة المزورة ، فلا تمر معركة من المعارك ضد اليهود حتى تسمع هذه الجملة من الجنود العائدين ، يقولونها بلهجة الواثقين : يا عم ، إذا كان العرب يحاربوننا مع اليهود .. ثم يمضون في حبكة القصص الخيالية ، مؤكدين أن عرب فلسطين كانوا يهاجمون مؤخرتهم ، ويطلقون عليهم الرصاص من حدائق البرتقال .

وحكى الأستاذ كامل الشريف قصة ذلك الأعرابي الذي جاءه ليقول له : إن شيخ العرب (فلان) حملته رسالة إلى الإخوان مؤداها أن فلاناً " م " - وهو شخصية عربية كبيرة، تحتل مركزاً مدنياً هاماً في المنطقة - جاسوس لليهود ، وأنه (اي : م) متصل بقيادة القوات الإسرائيلية في الجنوب ، وأنه يخبرهم الأخبار أولاً بأول ؛ نظير وعود قطعوها له بتعيينه حاكماً عسكرياً للمنطقة في حالة استيلائهم عليها .

قال الأعرابي الناقل عن فلان هذا : إن هناك اتصالاً سوف يتم بعد يومين في مكان كذا - حدده الناقل - قال الأستاذ كامل : استجلت الأمر ، وذهبنا إلى المكان المحدد ؛ في الموعد المحدد ؛ نراقبه ونقبض على الشخصية العربية الكبيرة المتهمة متلبساً بالخيانة ، فلم نجد شيئاً ، بل اختفى الناقل للأعرابي ثم علمنا بوجوده في إحدى المستعمرات اليهودية .. أي أنه كان يهودياً مستتراً بزي الأعراب (1) .

وأعجب ما في الأمر أن هذه الشائعات المختلفة .. كانت تلاقى أذناً صاغية في القيادات العربية العليا ، وقبلتها عقول المسئولين على أنها حقائق واقعة لا تقبل الشك ؛ وترتب على ذلك شعور بعدم الثقة ، يتزايد يوماً بعد يوم حتى انقلب إلى هوة سحيقة ، استحال معها التعاون بين أهل البلاد والجيوش المنقذة التي جاءت لتنجدها والنود عن كياناتهم (2)

ومن ذلك أن أحد المجاهدين المتطوعين وقف بجوار الأسلاك الشائكة عندما رأى رجلاً في زي أعرابي يقول له : تقدم .. فظن أنه مع المجاهدين ، ولكن اتضح أنه جاسوس مختوم بخاتم عصابات الهجانة الصهيونية ، وتقدم المجاهد ، فأطلق اليهود عليه دفعة من النيران في جسده ، فسقط مضرجاً في دماؤه ، وقام من بجواره بسحبه إلى الخلف ، حيث كانت سيارة الإسعاف تنتظر ، وبها طبيب يداوى الجرحى. (3)

(1) نفسه ص 84 ، ص 85

(2) نفسه ص 82 ، 83 .

(3) راجع : جهاد الإخوان المسلمين في القناة وفلسطين لحسن الجمل .

قال الأستاذ كامل الشريف وهو أحد شهود المعركة : وأشهد أن الدعاية اليهودية قد أدت دورها ، ونجحت أبلغ نجاح ، حين أخذت أبواقها تدبّع في كل مكان : إن شعب فلسطين راض عن بقاء اليهود ، وليس ثمة خلاف بينه وبينهم ، وأنه يعارض فكرة الحرب .

والأخطر في الأمر ان الصحف العربية - وخاصة المصرية - حملت هذه الشائعات في حملات صحفية ، تطوعت بنشرها وترويجها في المجتمع الإسلامي ولم تفكر يوماً أن تتحرى الحقيقة في الأمر، مما زاد الشائعات انتشاراً ، والفتنة اشتعالاً ، فازداد الطين بلة كما يقال .. فلا زال الناس يذكرون ما كانت تنشره مجلات : الهلال والأهرام وأخبار اليوم وغيرها من الصحف المصرية عن الجواسيس العرب ، وكيف أن الحراس المصريين اليقظين (كذا) قد قبضوا على أعراب داخل الخطوط المصرية ، فوجدوهم مختومين بختم مصابة (الهجاناة) اليهودية . وكيف أن الجيش المصري وجد أعراباً مقتولين ضمن القتلى اليهود في إحدى المعارك ..

هذه الأنباء وأشباهاها كان لها أكبر الأثر في إيهام الجنود المصريين وغيرهم من المسلمين أنهم يحاربون في أرض معادية ، ويساعدون أقواماً خونة ، باعوا أرضهم وديارهم ، ثم امتشقوا السهام دفاعاً عن اليهود .

وهكذا نجح اليهود في بث الفتنة والاضطراب في صفوف المسلمين المقاتلين وشعوبهم ، وإيقاع التخذيّل بينهم ، وإضعاف روحهم المعنوية بهذا السلاح الخطير مما كان له أبلغ الأثر على سير المعركة ونتيجتها السيئة (1)

ولهذا ليس بغريب أن تنطلق المنظمات الصهيونية من الأقطار الأوروبية مؤكدة أن العرب هم الذين قاموا ببيع أراضيهم لليهود في فلسطين (2) وليس بغريب أيضاً أن يشيع اليهود عن طريق إذاعتهم أن الأموال اليهودية قد اشترت أراضي العرب في الضفة الغربية عام 1975 م وتبلغ حوالي 5. (خمسين) كيلو متر بين (رام الله والخليل) (3)

(1) نفسه .

(2) اليهود والدولة العثمانية ص 87 .

(3) راجع : الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي ص 143 سلسلة عالم المعرفة رقم 71 صفر 14.4 هـ - يناير 1983 م وأنا لا أبرئ الفلسطينيين ، ولا أزعم أنهم أنبياء معصومين ، فقد يوجد في صفوفهم ضعفاء ممن يؤدرون لليهود خدمة من الخدمات - صغرت أو كبرت - لكنهم قلة .. قلة .. يعدون على الأصابع من لا تخلو منهم أمة ، لكن لم يكن الفلسطينيون كذلك أبداً ، ولن يكونوا كذلك أبداً إن شاء الله .

كل هذا يؤكد لنا أن اليهود هم مصدر هذه الشائعة - وهم مروجوها، ليقولوا للمسلمين عامة، وللقيادات منهم خاصة: علام تقاتلون؟ وعمن تنودون؟.. ولئن ترهقون قواكم البشرية والاقتصادية والحربية؟.. على أناس باعوا أرضهم وديارهم لنا؛ ورضوا أن يتركوها لنا؟.

وبهذا يقول المسلمون السنج: صحيح، إذا كان الفلسطينيون باعوا أرضهم لليهود طوعاً، وأخذوا منهم ثمنها، وأنفقوه على شهواتهم في خمر اليهود ونسائهم.. فلم نتعب أنفسنا، ونرهب أعصابنا، ونفقد قواتنا البشرية والاقتصادية والحربية؟.. لا داعي لكل هذا، وليذهب الفلسطينيون إلى الجحيم كما اختاروا.

(3)

ثانياً: الفلسطينيون لم يبيعوا أرضهم

ومع هذا نقول ونحن مطمئنين: إن عرب فلسطين لم يبيعوا أرضهم لليهود ولا لغيرهم، إنما أخذت منهم قهراً وظلماً، وطُردوا منها عنوة، بكل الوسائل الإجرامية القسرية، وسلّمت لليهود جهازاً نهاراً، وهذا ما أكدته الوقائع، والوثائق التاريخية الثابتة.

وحتى تتضح لنا هذه الحقيقة نقسم التآمر اليهودي على فلسطين في العصر الحاضر إلى ثلاث مراحل، لترى هل باع الفلسطينيون أرضهم أم لا؟

المرحلة الأولى:

وتبدأ منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي (1) وأواخر عصر السيادة العثمانية على فلسطين حتى انتهائه، ودخول فلسطين تحت الاحتلال البريطاني في 1917 م.

(1) حددنا هذه المرحلة بهذه الحدود التاريخية كي لا نطيل الحديث، وإلا فإن أطماع اليهود في فلسطين وسيناء وغيرها من النيل إلى الفرات قبل هذا بكثير. فقد لمس السلطان العثماني سليم الأول (924 هـ - 1571 م) طمع اليهود في سيناء، ورأى سعيهم للهجرة إليها واحتلالها، فأصدر فرماناً بمنعهم من الهجرة إليها لئلا يسد عليهم الباب، ويحفظ الأرض الإسلامية من خطرهم.

وجاء بعده السلطان سليمان (927 هـ - 973 هـ) (152 م - 1566 م) فأصدر فرماناً يؤكد فرمان والده بمنع اليهود من الهجرة إلى فلسطين وسيناء، لكن اليهود استطاعوا التسلل إلى سيناء بطرق ملتوية، وبعبداً عن أعين الدولة العثمانية التي تكبر شئون العالم الإسلامي وتكتد، واختاروا الطور في سيناء بداية، باعتباره ميناءً بحرياً على الساحل الشرقي لخليج السويس، مما يمكنهم من الاتصال بالعالم الخارجي، وكان بالإمكان ألا يكشف أمر هذه الهجرات الخفية لولا شكايات رفقها رهبان دير (سانت كاترين) إلى الدولة العثمانية، يشكون فيها من الأذى الذي تعرضوا له على أيدي اليهود.

ولهذا السبب أصدر الوالي العثماني على مصر من قبل السلطان العثماني "مراد" الثالث ثلاث فرمانات متتالية: 989 هـ (1581 م) - 991 هـ (1583 م) - 993 هـ (1585 م) تآمر المسئول بإخراج (إبراهيم)

1 - قضي عام 1282 هـ (1882 م) أراد اليهود اثناء حكم السلطان العثماني (عبد الحميد) الثاني الهجرة إلى فلسطين واحتلالها .. وتدخل كبار اليهود لدى القنصل العثماني العام في " أوديسا " (ببلاد اليونان) إلا أن حكومة السلطان العثماني كان ردها حاسماً بالمنع ، وعلق القنصل العثماني في أوديسا رد السلطان (عبد الحميد) على دار القنصلية في 1882/4/8 م (13 .. هـ) وهو الآتي :

" إن الحكومة العثمانية تبلغ جميع اليهود الراغبين في الهجرة إلى الدولة بأنه ممنوع عليهم الاستقرار في فلسطين ، وأن الدولة تسمح لهم بالإقامة في أي إقليم آخر من اقاليم الدولة بشرط أن يكونوا رعايا عثمانيين ، ويخضعوا لقوانين الدولة " (1) .

وتدخل السفير الأمريكي في الأستانة لدى وزير الخارجية العثماني ليضغط على السلطان ، ليسمح لليهود بالهجرة إلى فلسطين ، إلا أنه تلقى تأكيداً بمنع ذلك تماماً .

وامعناً من السلطان العثماني في منع اليهود من الهجرة إلى فلسطين واستيطانها أرسل إلى متصرف القدس (2) والسلطات العثمانية في " بيروت " و " اللاذقية " و " حيفا " بقرقيات بمنع أي يهودي من روسيا وأوروبا وأمريكا وغيرها من أن تطأ قدمه أرض فلسطين ، وكان ذلك في (13 .. هـ) (1882م).

وفي العام التالي 1883/1/22 م (13.1 هـ) قرر مجلس الوزراء العثماني هذا المنع يحزم ، وتم إبلاغ البعثات الدبلوماسية في الأستانة بذلك .

اليهودي وزوجته وأرلاده ، وسائر اليهود من سيناء ، ومنعهم من قابل الأيام منعاً باتاً من العودة إليها ، بما فيها مدينة " الطور " ، أو الإقامة أو السكن فيها .

ونبهت الفرمانات الثلاثة على أرباب الوظائف بضرورة تنفيذها فوراً راجع الطريق إلى بيت المقدس ص 18

ومن الملاحظ أن "هرتزل" اليهودي المعروف أطلق على سيناء اسم "فلسطين المصرية" . راجع اليهود والدولة العثمانية ص 114 .

ولم يخف اليهود تغلثهم بسيناء وطمعهم فيها ، فحينما غدرت قواتهم بالقوات المصرية المرابطة في جنوب فلسطين في ديسمبر 1948 م ، ووصلت إحدى كتائبهم إلى حدود سيناء نزل الضابط والجنود من سياراتهم وقبلوا التربة باعتبار سيناء - في نظرهم - أرضهم المقدسة .

وحيثما وقع العدوان الثلاثي على مصر في 29/1/1956م ، ووصلت القوات اليهودية إلى حدود سيناء كان في طلبية القوات الزاحفة سيارة "جيب" تحمل كتاباً ضخماً هو التوراة ، ومن خلفه وقف حاخام يخطب في الجنود ويقول : يا أبناء إسرائيل ، إنكم تدخلون الآن الأرض المقدسة حيث تعلم موسى الشريعة ، فهيا لتطهيرها من الأعداء . (راجع خطر اليهودية ص 369 عن مجلة التايمز الأمريكية ، عدد نوفمبر 1956) (1) الطريق إلى بيت المقدس 19/2 .

(2) متصرف القدس : إدارة خاصة بالقدس ، أنشأها السلطان عبد الحميد حينما وضحت له أطماع اليهود في فلسطين ، وجعلها تتبع الباب العالي مباشرة ، وعين لها مسئولاً خاصاً ، إمعاناً في الحفاظ على فلسطين من أطماع اليهود .. راجع خطط الشام .. كرد على 236/3 .. وسياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين .. د/ حسن الخولي 47/1 ، 48 .

ثم سمح السلطان العثماني في 1884 م بزيارة اليهود فلسطين على الا تزيد مدة الزيارة عن ثلاثين يوماً .. واحتجت الدول الأوروبية على هذا القيد ، فمد السلطان العثماني المدة في 1887 م إلى ثلاثة اشهر ، يفادرون بعدها فلسطين .

نعم ، استطاع بعض اليهود التسلل إلى فلسطين بطرق ملتوية بمساعدة بعض القناصل الأوربية ، وقبل بعض الموظفين العثمانيين الرشا ، لكن عرب فلسطين فطنوا إلى هذا التسلل ، فأرسل اعيان القدس ائتماساً إلى الباب العالي في تركيا في يونيو/ 1891 م (1309 هـ) لاتخاذ إجراءات فعالة كضمانة لمنع تزوج اليهود الأجانب إلى فلسطين ، وشراهم الأرض (1) ، وكان العرب قد أدركوا ان القيود المفروضة على اليهود الأجانب قد خفت بعد أن ترك (محمد شريف رؤوف) باشا ، الذي كان يتولى متصرفية القدس منصبه (سنة 1889 م - 137 هـ) ، وكان هذا المتصرف يؤيد تأييداً حاراً سياسة السلطان عبد الحميد الثاني ، في منع اليهود من الإقامة في فلسطين، وكان يسارع إلى طرد اليهود منها بالقوة بمجرد انقضاء المدة المسموحة بها لهم ، كما كان يمنع قدر استطاعته بيع الأراضي لليهود ورفض كل مساومة منهم لبيع الأرض قائلين في شأنه : إنه الضائقة التي حلت بنا نحن اليهود والمستوطنين ؛ لأنه نظيف الكفين لا يقبل الرشوة(2) .

وقد استجاب الباب العالي للائتماس الذي رفعه إليه اعيان القدس ، وجدد القيود المفروضة على إقامة اليهود في فلسطين ، وعلى بيع الأراضي لهم ، وفي سنة (1892م - 131 هـ) صدر قانون يحرم بيع أراضي الحكومة إلى جميع اليهود بما فيهم رعايا الدولة العثمانية اليهود (3) ولا يتكر أحد أن الشيخ محمد طاهر الحسيني مفتي القدس يومئذ ترأس عام 1897م هيئة محلية ذات صلاحيات حكومية ؛ للتدقيق في طلبات نقل الملكية في متصرفية بيت المقدس ؛ فحال دون انتقال أراضي كثيرة لليهود .

ب - وعندما أدرك الفلسطينيون أن اليهود يشترون أرضاً بطرق غير مشروعة عن طريق بعض الموظفين العثمانيين الذي يقبلون الرشا ، وخاصة في أرض "مرج بنى عامر" أرسلوا إلى السلطان عبد الحميد مذكرات بذلك ، فأرسل السلطان لجنة تحقيق في ذلك ، فقامت بفصل كل موظف من عمله حامته حوله شبهة - ولو صغيرة - بأنه ساعد على بيع أرض

(1) لا نستبعد أن يكون اليهود المتسللين إلى فلسطين في هذه الفترة قد اشتروا أرضاً منها ، فقد كانوا رعايا الدولة العثمانية ، ولم تكن أهدافهم قد ظهرت للمسلمين بعد ، فقد كانوا حريصين على إخفاء أهدافهم ، ومع هذا لم يكن هذا الشراء ظاهرة منتشرة بين الفلسطينيين ، بل كانت حالات فردية معدودة قام بها بعض البسطاء من الفلاحين الذين لم يدركوا أطماع اليهود . ومع هذا قاوم الفلسطينيون هذه المخالفة ومنعواها .
(2) تاريخ الصهيونية 1.8/1 جريس صبرى ، لليهود والدولة العثمانية ص 83 .
(3) راجع الطريق إلى بيت المقدس ، 23/2 .

لليهود . وأرسل السلطان رجلاً معروفاً بحرصه على حماية فلسطين . هو توفيق بيك . ليكون متصرفاً على القدس .. فقام منذ توليه عمله بحملة ، جمع من خلالها كل يهودى اشترى أرضاً بطرق غير مشروعة ، وأعادته من حيث أتى .. (1) بل قامت الحكومة العثمانية بإلغاء كل مستوطنة يهودية اشترت أرضها بطرق غير مشروعة(2)

ج- وحدث أن ذهب اليهودى " مزراحى قراصو " ثالث ثلاثة من اليهود ليقابل السلطان " عبد الحميد " ويطلب منه إباحة دخول اليهود فى فلسطين للزيارة فى أى يوم من أيام السنة ، ثم السماح لهم بإنشاء مستعمرة .. ينزل بها أبناء جلدتهم قرب القدس أثناء الزيارة ، فى مقابل سداد ديون الدولة ، وتيسير القروض لها ، وتقوية جيشها .. إلى آخره .

وحيثما سمع السلطان عبد الحميد هذه المطالب من رئيس كتّابه قال له : قل لهؤلاء الثلاثة الواقحين:

إن ديون الدولة ليست عاراً عليها ، لأن غيرها من الدول كفرنسا مدينة ، ولا يضيرها ذلك

إن بيت المقدس الشريف افتتحه للإسلام أول مرة " عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - " ولست مستعداً أن اتحمل وصمة بيع الأراضى المقدسة لليهود ، وخيانة الأمانة التى كلفنى المسلمون بالحفاظ عليها .

ليحتفظ اليهود بأموالهم ، فالدولة العليا لا يمكن أن تحتمى وراء حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام .

وأخبرهم أن يخرجوا ، وألا يحاولوا مقابلتى ، أو الدخول فى هذا المكان بعدها . (3)

وكان من كلمات السلطان عبد الحميد التى سجلت عنه قوله :

أعدى أمانى اليهود وأطماعهم فى فلسطين .. وقوله : لماذا نترك القدس .. إنها أرضنا فى كل وقت ، وفى كل زمان ، وستبقى كذلك ، فهى من مدننا المقدسة ، وتقع فى أرض إسلامية ، لا بد أن تظل القدس لنا . (4)

ج- وفى عام 1314 هـ (1896 م) استطاع الصحافى اليهودى (ثيودور هرتزل) مقابلة السلطان عبد الحميد فى الآستانة ، وطلب منه بصفقة غريبة التنازل عن فلسطين لليهود ،

(1) عن الأستاذ زياد أبو غنيمة - فى قناة ANN الفضائية وهو متخصص فى دراسة التاريخ العثمانى .

(2) راجع اليهود والدولة العثمانية ص 88 .

(3) راجع صحوة الرجل المريض ص 216 - لموفق بنى المرجة .

(4) راجع مذكرات السلطان عبد الحميد ص 12 .. اليهود والدولة العثمانية ص 148 ، 149 ،

ليؤسسوا عليها دولة لهم ، مقابل أن يسبغ عليه اليهود العطايا المالية لجيبه الخاص ، ولخزائنة الدولة ، وسداد دينها إلا أن السلطان عبد الحميد رحمه الله رفض هذا العرض بشدة وكتب قائلاً :

انصح دكتور "هرتزل" بالألا يتخذ خطوات أخرى في هذا الطريق ، فإننى لا أستطيع أن أتنازل عن قدم مربعة واحدة من هذه الأرض - أى فلسطين - لأنها ليست أرضى - إنما هي أرض شعبى الذى حارب فى سبيل هذه الأرض ورواها بدمه ، دع اليهود يحتفظون بملايينهم ، فإذا تفككت إمبراطوريتى ، فإن اليهود قد يحصلون على فلسطين بدون مقابل ، ولكنهم لن يصلوا إليها إلا على أشلاء أجسامنا بعد تمزيق أوصالها ، إننى لا أستطيع أن أوافق على إجراء هذه التجارب الجراحية على أجسام أبناء شعبى الأحياء(1)

لكن "هرتزل" واصل الإلحاح والضغط على السلطان العثمانى إلا أن السلطان العثمانى واصل الرفض، وعرض على "هرتزل" حلاً للمشكلة : أن يتجنس اليهود بالجنسية العثمانية، وأن يوزعوا على جميع الولايات العثمانية فى أسيا عدا فلسطين، بمعدل خمس أسر لكل ولاية.. ورفض الصهاينة هذا العرض طبعاً .

د - وهنا تأكد لليهود أنه لا أمل فى الخلافة العثمانية وسلطانها ، وأنها عقبة كثود أمام مآريهم فى فلسطين (2)، فماتوا إلى الصليبيين فى أوربا لإسقاطها، وتوزيع تركتها عليهم، على أن تكون فلسطين لليهود ، فكادوا كيدهم عن طريق الجمعيات السرية التى يحركونها فى تركيا لهذا الغرض، وقادوا انقلاباً عسكرياً، رأسه اليهودى المعروف "مصطفى كمال أتاتورك" وخلعوا السلطان عبد الحميد الثانى فى "9 مارس عام 1909م"، وأوفدوا له عن طريق مجلس النواب العثمانى ثلاثة من أعضائه ، الذين لهم نشاط فى جمعية (الاتحاد والترقى) (3) على رأسهم اليهودى الأسبانى "مزارحى قراصو" ليسلموه صك خلعه من الخلافة ، وكان الذى سلمه الصك هو اليهودى "مزارحى قراصو" الذى سبق أن طرده السلطان العثمانى عبد الحميد من مجلسه فى "يلدز" حين حاول التأثير عليه لإسكان اليهود فى فلسطين .

(1) راجع الطريق إلى بيت المقدس ، 32/2 .
 (2) وقيل هذا نبيه مستر "تروخ" - متصل أمريكا الأسبق فى تونس - على ذلك فى خطابه فى حفل افتتاح أحد معابد اليهود بنيويورك بأمريكا عام 1818 م قال : إن القضاء على السيطرة التركية فى أوربا سترتب عليه تحرير اليهود ، وسيكون فى استطاعتهم السير مرة أخرى لامتلاك سوريا تحيط بها هالات النصر ، وبذلك يظهرهم مكانتهم بين دول العالم . راجع أمريكا مستعمرة صهيونية ص20 - صلاح السوقى - جهاد شعب فلسطين ص 298 .
 (3) هى جمعية ماسونية يهودية الهوى والهدف تعمل تحت اسم وطنى تركى .

وقد كشف السلطان عبد الحميد هذا كله في رسالة وجهها إلى شيخه قال فيها :

إننى لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبباً ما سوى أننى بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد والترقى باسم (جون ترك) وتهديدهم ، اضطرت وأجبرت على ترك الخلافة .. إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا على بأن اصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة (فلسطين) ، ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف ، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية .. وأجبتهم بهذا الجواب القطعى الآتى :

إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً ، فضلاً عن 150 (مائة وخمسين) مليون ليرة انكليزية ذهباً فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعى ، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة ، فلم أسود صحائف المسلمين آيائى وأجدادى من السلاطين والخلفاء العثمانيين ، لهذا لن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعى .

ويعد جوابى القطعى اتفقوا على خلعى، وأبلغونى أنهم سيبعدوننى إلى " سلاويك " فقبلت هذا التكليف الأخير (1)

وإلى هنا نرى فى هذه المرحلة الأولى :

- 1- أن الخلافة العثمانية يوم أن كانت تدير أمر فلسطين وترعاها لم تضطر فيها يوماً ، ولم تبع من أرضها شبراً لليهود ، ولا تغيرهم ، وحافظت عليها من كيد اليهود .
- 2- أن عرب فلسطين لم يضطروا فى أرضهم ، ولم يبيعوا منها شيئاً لليهود ، ولا تغير اليهود ، وخاصة بعدما وضحت لهم اطماعهم فيها.

(1) راجع مذكرات السلطان عبد الحميد ص 1 . ، 11 طدار الأنصار بالقاهرة سنة 1978 م .
ولعل السبب فى نجاح اليهود فى جمعية الاتحاد والترقى فى القيام بانقلاب على الخلافة العثمانية وسلطانها " عبد الحميد " الثانى هو اختراقهم حكومة الخلافة العثمانية وسيطرتهم عليها ، فكان منهم المدير والوزير ، ونحو ذلك ؛ مما مكّنهم من زمام السلطة فى حكومة الخلافة العثمانية ، وهذا ما لاحظته السفير البريطانى فى استانبول ، وذكره فى مذكرته لحكومته فى بريطانيا فى أغسطس - آب - 1910م (1328 هـ) ، وكان مما جاء فيها : إن لجنة (الاتحاد والترقى) تبدو فى تشكيلها = الداخلى تحالفاً يهودياً تركياً مزدوجاً ، فالأتراك يمدونها بالمادة العسكرية الفاخرة ، ويمدها اليهود بالعقل المدبر ، وبالمال والنفوذ الصحفى القوى فى أوروبا .. إن اليهود الآن فى موقف الملمهم والمسيطر على الجهاز الداخلى للدولة . (راجع الطريق إلى بيت المقدس 34/2 ، نقلًا عن أحد الباحثين) . وبهذا استطاع اليهود السيطرة على الحكومة العثمانية .

(4)

المرحلة الثانية :

وتبدأ منذ احتلال بريطانيا فلسطين في ديسمبر 1917 م وأوائل عام 1918 م حين دخل الجيش البريطاني بقيادة اللورد " اللنبي " القدس (1)

وفي هذه المرحلة وهنت الدولة العثمانية ، ولم تستطع حماية أراضيها ، وخاصة بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني عام 1909 م ، وحينئذ زحف الصليبيون على أراضيها باعتبارها في نظرهم تركة الرجل المريض ، واقتسموها ، فكان لبريطانيا نصيب كبير ، ولفرنسا نصيب ، ولإيطاليا جزء ، وهكذا ..

وهنا اتفق اليهود والبريطانيون أن تحتل بريطانيا فلسطين لحساب اليهود ، وتعمل على تقوية يد اليهود فيها ، وشل أي حركة عربية ضدهم حتى تسلمها لهم الوقت المحدد .

أو بتعبير آخر : اتفقوا أن تكون فلسطين محتلة احتلالاً يهودياً تحت حماية بريطانيا ورعايتها ، فتكون بريطانيا منتدبة على فلسطين لحمايتها من أية قوة إسلامية تحررها ، ولتقوية يد اليهود فيها ، حتى يتسلموها علانية ، وتعهدت بريطانيا بذلك .

وقد صرح بهذا الزعيم اليهودي المعروف " وايزمان " في مؤتمر صهيوني بلندن في 16 مايو 1917 م قال :

إن الدول يجب بناؤها ببطء ، وبالتدرج ، وبانتظام وبصبر ، ومن ثم نحن نقول : إنه بينما هدفنا النهائي هو خلق دولة يهودية ، فإن الطريق لتحقيق ذلك يكون على عدة مراحل متداخلة ، وإحدى هذه المراحل التي أرجو أن تكون نتيجة نهذه الحرب (العالمية الأولى) هي أن فلسطين اليهودية سوف تتمتع بحماية قوة ضخمة وكبيرة مثل بريطانيا ، وتحت جناح هذه القوة يصبح اليهود قادرين على إقامة جهاز إداري وتنفيذي ينجز أهدافنا الصهيونية ، بينما لا

(1) ووقتها قال جورج الخامس ملك بريطانيا عن دخول الجيش البريطاني فلسطين بأنه الحرب الصليبية الأخيرة ..

وقال " اللنبي " : الآن انتهت الحروب الصليبية . أ ه . . ووصف انتزاع القدس من أيدي المسلمين بأنه هدية الكريسماس للعالم المسيحي . وأعلن جنوده انكسار الهلال ، ورفعوا الصليب على بيت المقدس ، وبنقت أجراس الكنائس في برلين " ألمانيا " فرحاً بدخول الجيش البريطاني القدس ، بل إن بابا روما (إيطاليا) قد دعا أتباعه في العالم بأسره أن يقدموا الشكر لله بمناسبة احتلال بيت المقدس .. (راجع جهاد شعب فلسطين 65، 66 .. السعوديين والحل الإسلامي 476 .. سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين 169/1 ، 17 .. الطريق إلى بيت المقدس 5/1 .

نزع أنفسنا بالمصالح المشروعة للأهالي من غير اليهود ، وإننى فخور بأن أعلن فى هذا الاجتماع موافقة الحكومة البريطانية على هذه الخطة. (1)

وفى عام 1917 م أعلنت بريطانيا على لسان وزيرها " بلفور " أنها تعهدت بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين على انقاض اهلها الشرعيين (2) ، ووافقت عليه أمريكا قبل صدوره ، وبذلك أصبحت شريكاً فيه .

وفى عام 1922م أكدت بريطانيا تعهداتها السابق على لسان وزيرها (تشرشل) ، فيما سُمى بالكتاب الأبيض ، الذى أشاد بدور اليهود وتاريخهم فى فلسطين ، وقرر أنه من الضرورى أن نعتبر عودتهم إلى فلسطين حقاً ، وأن هذا هو السبب فى إعطائهم ضماناً دولياً لوطنهم القومى ، ولم يشر إلى العرب إلا أنهم طائفة فى فلسطين .

ولهذا قال المسلمون : من لا يملك أعطى من لا يستحق ..

أو بتعبير آخر إن المغتصب الكبير أعطى ما اغتصبه لغتصب آخر ..

ولم تتراجع بريطانيا عن تعهداتها ، بل قامت منذ احتلالها فلسطين على تنفيذها عملاً بخير كليل ولا ملل :

أ - فقررت عصابة الأمم - بإيعاز من بريطانيا واليهود - جعل بريطانيا منتدبة على فلسطين لحراستها كما قلنا من أى قوة عربية تحررها ، وتفسد على اليهود هدفهم فيها ، وأيضاً لتقوية يد اليهود حتى يتسلموها .

ب - فتحت بريطانيا أبواب فلسطين واسعة أمام اليهود .. فتوالى هجراتهم إليها من كل دول العالم ، وعملت على تمكينهم من اغتصاب فلسطين ، وطرد أهلها الشرعيين منها بكل الوسائل الإجرامية.

(1) ممنوع من التداول 4/1 .

(2) وما هو نص الوعد المشنوم :

عزيزى اللورد "روتشيلد" زعيم الطائفة اليهودية الإنجليزية ، يسرنى أن أنقل إليكم باسم حكومة جلالة الملك هذا التصريح المتضمن عطفها على الأمانى الصهيونية ، التى عرضت على الوزارة وحازت قبولها : " إن حكومة جلالة الملك تنظر بين العطف إلى إنشاء وطن قوى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل كل مساعيها لتسهيل الوصول إلى هذا الهدف ، على أن يكون مفهوماً أن لا = يتخذ أى شىء من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين ، ولا يحق لليهود أو بمركزهم السياسى الذى يتمتعون به فى غيرها من البلاد . " وأكون شاكراً لو تفضلتم بإبلاغ هذا التصريح إلى اتحادات الهيئات الصهيونية .. أ هـ : توقيع / (آرثر جيمس بلفور) 1917/11/2 .

(راجع الطريق إلى بيت المقدس 48/2 .. وخطر اليهودية ص 38)

وفي عام 1945 م قدم خمسة آلاف قسيس بروتستانتى أمريكى طلباً إلى حكومتهم طابئين إباحة الهجرة إلى فلسطين دون قيد .. وأسرع الرئيس الأمريكى وقتئذ "ترومان" بإرسال كتاب إلى رئيس الوزراء البريطانى "تلى" يطلب إدخال مائة ألف يهودى دفعة واحدة إلى فلسطين، وأن تفتح فلسطين أبوابها للهجرة اليهودية بعد ذلك دون قيد، وتم له ما أراد .

وقد قنن صك الانتداب الذى أقرته عصبة الأمم (1) خطوات تمكين اليهود من اغتصاب فلسطين وطرد أهلها منها على النحو التالى :

فى المادة الثانية منه : تكون الدولة المنتدبة - بريطانيا - مسؤولة عن جعل البلاد (فلسطين) فى أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومى اليهودى .

وفى المادة السادسة منه : على حكومة فلسطين - البريطانية - أن تسهل هجرة اليهود إلى فلسطين فى أحوال مناسبة ، وتُنشط بالاتفاق مع الهيئة اليهودية استقرار اليهود فى الأراضى الأميرية ، والأراضى الموات غير المطلوبة للأعمال العمومية .. " تأمل " (19)

وفى المادة السابعة منه : على حكومة فلسطين - البريطانية - أن تسن قانوناً للجنسية يتضمن نصوصاً بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً دائماً على الرعية الفلسطينة .

ولتحقيق هذا الهدف أصدرت حكومة الاحتلال الإنجليزى بفلسطين قانون المهاجرة ، لإغراق فلسطين باليهود (2) ومنحت الوكالة اليهودية بفلسطين حق استخدام من تشاء من اليهود إلى فلسطين وتوطيتهم فيها . (3)

وأن تعتمد الحكومة البريطانية - تشكيل وكالة يهودية ترعى شؤون اليهود فى فلسطين ، وفى أنحاء العالم ، وتشرف على بناء الوطن القومى اليهودى .

وأن تُفضل الوكالة اليهودية عند منح امتيازات المشاريع لاستثمار الثروة الطبيعية فى فلسطين (4)

(1) ينبغي أن يُعلم أن عصبة الأمم ، ومجلس الأمن ، والأمم المتحدة كلها ابتداءً يهودى ، للسيطرة على العالم .. قال الزعيم اليهودى " جسى سامتر " فى كتابه " الدليل إلى الصهيونية " : إن عصبة الأمم فكرة يهودية قديمة .. راجع تفصيلاً لهذا فى كتاب خطر اليهودية للكولونيل عبدالله التل ، ص 212 : 221 .

(2) راجع الطريق إلى بيت المقدس ط 214 ط ثانية - جهاد شعب فلسطين ص 465 ، 131 .
وينبغي أن يُعلم أن واضع صك الانتداب البريطانى على فلسطين الذى أقرته عصبة الأمم هو اليهودى (بنيامين كوهين) مع سكرتير اللورد (كريزون) وزير الخارجية البريطانى ، واتفقا على نصوصه .. راجع جهاد شعب فلسطين ص 113 .

(3) جهاد شعب فلسطين ص 141

(4) خطر اليهودية ص 24 .

(ب) - وحتى يضمن اليهود سير ما أرادوه بدقة عينت بريطانيا مندوبيها السامى على فلسطين يهودى الديانة ، هو " هربرت صموئيل" (1) .

وبالتالى أنشأ "هربرت" الإدارة العامة لحكومته على فلسطين وجعلها كلها من اليهود، وأنصاف اليهود (2) ، كما أسند الوظائف الإدارية الأخرى لليهود .

(ج) - اخضعت بريطانيا المدارس العربية لإشراف المفتشين الإنجليز ، الذين لم يكونوا إلا يهوداً ، لمراقبة المناهج التعليمية ، وتعجيز المسلمين عن إيجاد قيادات وأجيال إسلامية حرة ، بينما أعطت اليهود حق الاستقلال الثقافى والتربوى ، فصارت لهم إدارة خاصة بالتربية والتعليم .

(د) - عملت على تجريد أهل فلسطين من السلاح ، ومنعهم من إحرازه، والتدريب عليه ، بينما أطلقت يد اليهود فى حمل السلاح واستيراده ، وتخزينه وتكديسه، وتدريبهم عليه فى صفوف الجيش البريطانى (3) . حيث وضعت عدداً كبيراً منهم فى ورش الجيش البريطانى ، وفى مراكز القيادة فيه ، وجندت الألوف من شبابهم فى صفوف الجيش ، ودربتهم على حمل السلاح ، وخوض المعارك ، وأشركتهم فى العمليات الحربية ، واعتمدت بعض المصانع اليهودية لإنتاج السلاح والذخائر ، وسائر احتياجات الحروب ، وبذلك ألفت فيلقاً يهودياً ، كان نواة للجيش اليهودى فيما بعد .

وحينما خاف المارشال "وايغل" - أحد قادة الجيش البريطانى فى فلسطين خلال ثورة 1937 م ، 1938 م - من ثورة العرب عليهم إذا علموا بهذا ، فتحدها رئيس الوزراء البريطانى "ونستون تشرشل" وذكر أن العرب لن يتحركوا وأثبت ذلك فى مذكراته قال : لقد تحدثت "وايغل" وكتبت إلى الدكتور "وايزمان" سامحاً بتأليف ذلك الجيش ولم يتحرك كلب عربى واحد . (4)

(1) ذكر المؤرخون : أن "هربرت" هذا كان يدفع بريطانيا لاحتلال فلسطين وتسليمها لليهود ، وكان رئيس الوزراء البريطانى (أسكويت) يوجهه ، ويرى أن الوقت غير مناسب ، حتى حل محله " لويد جورج " رئيساً للوزراء ، ومعه (آرثر بلفور) وزيراً للخارجية فى ديسمبر 1916 م ، وهما متحمسان لليهود ، فتعاوننا معه ، ونفذاً له ما أراد اليهود .. راجع سياسة الاستعمار الصهيونية تجاه فلسطين 1871 . ويذكر وايزمان أن اليهود هم الذين جعلوا صموئيل هذا مندوبهم البريطانى فى فلسطين قال : إن صموئيل نتاج يهوديتنا ، ونحن الذين عيناه مندوباً سامياً ، أنا المسئول عن تعيين "هربرت صموئيل" فى فلسطين ، إن صموئيل هو صديقنا ، ولم يقبل أن يقوم بهذه المهمة العسيرة إلا نزولاً عند رغبتنا ، نحن حملناه هذه الأعباء ، إن صموئيل هذا هو صموئيلنا .. راجع جهاد شعب فلسطين 119 .

(2) نصف يهودى : أى غير يهودى متزوج من يهودية .

(3) خطر اليهودية .. الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين 35 .

(4) جهاد شعب فلسطين ص 29 ، 291 .

(هـ) مكنت - بريطانيا - اليهود من إحكام قبضتهم القوية على الاقتصاد الفلسطيني . وبالتالي عملوا على خنق الشعب الفلسطيني اقتصادياً بكل الوسائل التي تمكنهم من اغتصاب أرضه .

فعملوا على فرض الضرائب الباهظة على الأراضي التي ربما فاقت ثمن الأرض، حتى عجز الفلاح الفلسطيني عن سدادها ، فتراكمت عليه ، وازداد عجزاً عن سدادها ، وبالتالي اغتصبت بريطانيا أرضه وباعتها أو أعطتها لليهود .

وكانت حصيلتها تصرف لصالح اليهود ومستوطناتهم ومنشآتهم ، مثل مد الطرق والجسور ووصلها بالسكك الحديدية ونحوها ، وربما لشراء السلاح لقتل الفلسطينيين أصحاب الأرض الشرعيين دافعي الضرائب (1) (15)

وإذ حدث أن قاوم الفلسطينيون الظلم والاعتداء الواقع عليهم وعلى أرضهم فرضت بريطانيا عليهم الغرامات الفادحة ، والعقوبات القاسية ، كما حدث في انتفاضة الشعب الفلسطيني عام 1929 م ، حيث اختار المندوب البريطاني على فلسطين يهودياً فاجراً هو " إبرامسون " ، وأوكل إليه تحديد الغرامات على القرى العربية المهيضة الجناح التي أثقلتها الضرائب والغرامات ، وهددتها الرهونات فصب جام غضبه عليها بغراماته الفادحة مرة أخرى ، فعجزوا عن سدادها بطبيعة الحال ، وبالتالي اغتصب أرضهم وديارهم(2) .

بل زادت على ذلك فأعلنت أن كل قرية أو مدينة تقاوم الاحتلال والاعتصاف اليهودي سيعين فيها مجموعات من البوليس على حسابها . ونفذت ذلك في "جنين" التي رشق أهلها بعض السيارات البريطانية بالحجارة . وكان هذا لإرهاب الشعب الفلسطيني وإكراهه على الاستسلام .

كما أعلنت أن للسلطة البريطانية أن تضع يدها على أي منزل أو بناء تقتنع أن رصاصة أو قنبلة أو مواد متفجرة قد أطلقت منه ، وللمندوب السامي البريطاني أن يأمر بهدم ذلك المكان أو التصرف فيه كيفما شاء . (3)

(1) جهاد شعب فلسطين ص 301 .. ومن كلمات تشرشل في شأن أصدقائه العرب عندما واجهه بعض أعضاء البرلمان البريطاني الذين قالوا له : إن مساعدة اليهود وتوطينهم سيثير العرب ، فقال قولته المشهورة : إن العربي مثل الكلب ، كلما رفسته بقدمك قام بلعق حذائك .. وقال مثل ذلك صديق العرب المفدى (اليهودي الأمريكي : كيسنجر) ، كما في الحديث الذي نقلته جريدة المدينة السعودية في (2 رجب 1401 هـ) مع السفير الأمريكي السابق (إيكندر) وهو يوضح موقف كيسنجر من العرب الذين كانوا يستقبلونه بالأحضان ، قال : إن لكيسنجر وجهة نظر محددة تجاه العرب .. وقد قال في جلسات خاصة بأنهم مثل الكلب ، كلما ضربتهم لحسوا أيديك (راجع : تبه العرب وتبه بني إسرائيل 79،218 د محمد علي البار) .

(2) الطريق إلى بيت المقدس 8/2 ليس هذا إذلالاً وقهراً قبل أن يكون إبادة ؟

(3) نفسه ص 2..

(و) أصرت بريطانيا على تحصيل الضرائب الباهظة التي تراكمت زمن الحرب، بينما كان الفلاح الفلسطيني يعاني من شظف العيش، والفقر المدقع، والضرائب والغرامات المفجعة التي عجز عن سداها، وبالتالي اغتصبت بريطانيا أرضه وداره أيضاً وأعطتها لليهود، وفوق هذا كله كانت بريطانيا تحمل القرى الفلسطينية النفقات اللازمة للقوات البريطانية التي تتصدى لمقاومة حركة الجهاد الفلسطيني. (1) 111

(ز) وأغلقت البنوك لزراعي العثماني الذي كان يُقرض الفلسطينين قروضاً ميسرة بدون فوائد؛ لتساعدهم على حياتهم وزراعة أرضهم، وأمرت بتحصيل معظم ديونه منهم قسراً، بل حجزت على أراضيهم دون إتاحة فرصة للسداد؛ لتضيق الخناق عليهم، ويضطروا إلى بيع أراضيهم لسداد الديون، ويقترضوا من البنوك الربوية التي أنشأها اليهود والإنجليز بفوائد ربوية كبيرة، حتى إذا تراكمت عليهم الديون وفوائدها الربوية، وعجزوا عن سداها اغتصبت بريطانيا أرضهم عنوة وأعطتها لليهود.

وعندما أسس بعض العرب المخلصين، ويدعى (عبد الحميد شومان) بنكاً برأس مآل ضئيل سماه البنك العربي (عام 1933 م) لمساعدة الفلسطينيين في أزمته عرقلته بريطانيا، بمساعدة اليهود حتى أغلقوه وأذاقوا صاحبه مر السجن، وهوان التعذيب.

(ج) وحجبت - بريطانيا - عنهم الثقافة الزراعية، ووضعت العقوبات الصعبة أمام بيع منتجاتهم الزراعية، فما يكاد الفلاح الفلسطيني يحصد زراعته حتى تُوقف التصدير إلى الخارج، فيهبط سعر الإنتاج، أو يفسد الإنتاج نفسه، وما يحصد الفلاح الفلسطيني القمح حتى يُصدّر اليهود وبريطانيا إلى فلسطين الدقيق الأجنبي بكميات كبيرة، فتُضرب المحاصيل الفلسطينية في مقتل. (2)

ولذا كتب الزعيم الفلسطيني عوني عبد الهادي (3) إلى "آرثر واكهورب" المندوب السامي البريطاني في فلسطين لعام 1931 م قال له: إنه بسبب السياسة التي اتبعها "صموئيل" (4) بمنع تصدير الزيتون، والزيت، والحبوب، وهي المحاصيل الرئيسية في فلسطين فقد تكدّست هذه المحاصيل في الأسواق، وأصبحت قيمتها رخيصة، ولم يستطع الفلاح مواجهة هذه

(1) نفسه 245/2 ط ثانية.

(2) خطر اليهودية ص 254 .. الطريق إلى بيت المقدس 68/2.

(3) عوني عبد الهادي عضو حكومة عموم فلسطين برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي التي تكونت في 23 أيلول 1948م (راجع صفحات من حياة الحاج أمين الحسيني لعوني العبيدي ص 173).

(4) يهودي ولاه الإنجليز على فلسطين كما مر ذكره.

السياسة المخطط لها، فاضطر بعضهم إلى بيع أرضه لكي يعيش ، وكان المشتري الوحيد في تلك الفترة هو اليهودي.(1)

(ح) قدمت - بريطانيا - لليهود الأراضي الأميرية التي كانت تحت يد الحكومة العثمانية ، وأراضي الأوقاف الإسلامية بثمن بخس أو هبات ، وهي كثيرة جداً ، وكان بعض القرويين عبر العصور التاريخية قد سجلوا أراضيهم هدية لخليفة المسلمين، ويقى الفلاحون يفلحونها ، ويدفعون خمس محاصيلها للحكومة العثمانية ، وكانت الحكومة تسامحهم في دفع الأعشار ، وقد سُجلت بعض هذه الأراضي للحكومة ، وعرفت بالمدورة ، وعندما احتل الإنجليز أرض فلسطين أهدوا هذه الأراضي لليهود(2) والمعروف أن قسماً كبيراً من فلسطين أراضي وقفية ، بل كانت هناك (340) قرية فلسطينية تعتبر وقفاً كلياً أو جزئياً مثل قرى "يورين" ، "بيت فوريك" ، "وشطا" ، "وسحس" وغيرها ..(3) وفضلاً عن ذلك فإن مفتي فلسطين الشيخ محمد أمين الحسيني رحمه الله كان يطلب من الفلسطينيين الذين وضع اليهود أعينهم على أراضيهم أن يسجلوا أراضيهم وقفاً إسلامياً ؛ لكي لا يستطيع اليهود شراءها ، بالإضافة إلى أنه كان يجمع الأموال ويشتري الأراضي التي يضطر أصحابها إلى بيعها ، ويسجلها وقفاً إسلامياً ويتركها لهم يفلحونها ..(4) إلا أن الإنجليز اعتبروا هذه الأراضي الموقوفة ملكاً لهم فاغتصبوها وأعطوها لليهود ، وسنت لهذا الاغتصاب دستوراً ، قالت في إحدى مواده :

إنه ما دام الشرع الإسلامي يبيح لسلطان تركيا حق التصرف في الأرض ، ومادام المندوب السامي البريطاني حل محل السلطان فإن من حقه أن يتصرف كيف شاء في أرض فلسطين.(5)

وجاء في إحدى مواده رقم (13) :

للمندوب السامي أن يهب أو يؤجر أية أرض من الأراضي العمومية أو أي معدن أو منجم .. وله أن يأذن باشغال مثل هذه الأراضي بصفة مؤقتة وبالشروط ، وتلמד التي يراها ملائمة(6).

ثم سنت قانوناً آخر لنزع الملكية قالت في إحدى مواده رقم 7 :

- (1) الحاج محمد أمين الحسيني لتيسير جبارة ص 210 .. نقلا عن أرشيف وزارة المستعمرات البريطانية .
- (2) الحركة الوطنية الفلسطينية من عام 1917م : 1936م لعادل حسن الزعيم ص 271 ط 1974م القاهرة .. الحاج محمد أمين الحسيني - تيسير جبارة ص 209
- (3) فلسطين . د محسن صالح 8.
- (4) الحاج محمد أمين الحسيني ص 220 ، 223 .
- (5) جهاد شعب فلسطين ص 12
- (6) نفسه ص 593

إذا رفض أصحاب الأرض أو مشغلوها " عرب فلسطين " السماح للمنتشئين اليهود "بوضع يدهم على الأرض فلرئيس محكمة الأرض أن يقضى بتسليم الأرض للمنتشئين (اليهود)(1)

وقام المندوب البريطاني على فلسطين صموئيل (وهو يهودى) بتسليم اليهود اراضى " الغور " التى كانت باسم السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى فى إبريل عام 1920 م.(2)

كما أعطاهم اراضى الأوقاف الإسلامية (وهى كثيرة .. كثيرة) مثل قرية "عين كارم" وما حولها ، وهى من أوقاف الصوفى المعروف أبى مدين الفوث (3) . علماً بأن هذه الأرض يزرعها ويقوم عليها فلاحون فلسطينيون ، فقام البريطانيون بطردهم منها عنوة ليهيموا على وجوههم فى العراء ، وهم مئات الأسر .

قال اليهودى "إتنجر" فى المؤتمر الصهيونى المتعقد فى "سيدنى" باستراليا فى مايو 1929 م: ويالنسبة للأراضى يتساءل الكثيرون : لماذا لم تعطنا حكومة الانتداب الأراضى الأميرية ؟

وجوابى عن هذا التساؤل هو : أننا قد حصلنا على اقسام كبيرة من الأراضى ، بيد أننا لا نرغب فى الإعلان عن ذلك ، وكلما حافظنا على السرية متعنا احتجاج جيراننا العرب . إن الحكومة البريطانية متفاهمة مع المنظمة الصهيونية ؛ فمحتنا أجزاء كبيرة من الأراضى بأثمان رمزية .. وأنا أعلن ذلك هنا فى " استراليا " ؛ لأن العرب ليس لهم مندوبون يرأسلون جرائدهم من " استراليا " .. وسوف نواصل طلب المزيد من المنافع والامتيازات (4)

بل كان المندوب البريطانى يعطى اليهود اراضى الأفراد الفلسطينيين بعد طردهم منها بقوة السلطة البريطانية ، فمثلاً أعطى اليهود اراضى فى "مرج" بنى عامر 200 ألف دونم ، بعد أن طرد 900 أسرة عربية يملكونها .. كما أقطع اليهود اراض "الكبارة .. وعلتيت ، وتلال قيسارية" وهى مملوكة لعائلات فلسطينية ، ونحو هذا كثير .. كثير . (5)

وقد سنوا قانوناً لهذا الاغتصاب سموه قانون نزع الملكية .

وجاء فى المادة السابعة منه : إذا رفض أصحاب الأرض أو مشغلوها فى فلسطين السماح للمنتشئين (أصحاب المشاريع من اليهود) بوضع يدهم على الأرض فلرئيس محكمة الأرض أن يقضى بتسليم الأرض للمنتشئين اليهود(6)

(1) نفسه 603

(2) جهاد شعب فلسطين ص 121 .

(3) بيت المقدس فى الإسلام د/ عبد الحلیم محمود ص 85 راجع الملاحق .

(4) راجع خطر اليهودية ص 246 .

(5) نفسه ص 116 .

(6) نفسه ص 451

بل أباحت لكل يهودى أن يختصب من أرض فلسطين ما شاء ، فقالت فى إحدى مواد القانون المذكور أنفاً : إن أصحاب المشاريع من حقهم الاستيلاء على أى أرض تخص مشاريعهم وإن لم يوافق مالكها على بيعها ، ولصاحب المشروع أن يودع الثمن فى المحكمة بأمر المندوب السامى . ولا يجهل أحد أن أصحاب المشاريع كلهم يهود ، وأن أصحاب الأرض كلهم عرب مسلمون(1).

وكان من مواد القوانين التى سنتها : منع كل عربى أو فلسطينى من التنقيب فى الأرض الموات أو إصلاحها وفرض عقوبة على كل من نقب أو أصلح مواتاً .. بينما أباح القانون لليهود ذلك ، وجعل لهم حرية التنقيب فى الأرض وإصلاحها وتملكها ، وبيعها لهم بالمزاد العلنى بأثمان زميدة ..(2)

وقبل هذا وبعد هذا كانت بريطانيا تعمل بهذا القانون الذى سنته ، وفيه يشترط ألا يطبق التشريع العام ومبادئ العدل والإنصاف فى فلسطين إلا بقدر ما تسمح به ظروف فلسطين ، وأحوال سكانها ، وأن تراعى عند تطبيقها التعديلات التى تستدعيها الأحوال العامة .(3)

وبطبيعة الحال لم تسمح الظروف لتطبيق العدل والإنصاف لشعب فلسطين قط.

قال أحد الشهود : كانت قوانين الإجتياز فى فلسطين تحرم الحلال ، وتحلل الحرام فى سبيل انتزاع الأرض ، والإضرار بالعرب - أصحاب الأرض - الذين قاوموا إلى أبعد حدود المقاومة ، وأقدموا على أعمال فوق طاقة البشر ! ليصونوا تراث آبائهم ووطنه.(4)

(ط) سنت - بريطانيا - القوانين الجائرة التى تؤدى إلى اغتصاب أرض فلسطين ، وطرد أهلها منها وتسليمها لليهود كما ذكرنا .

ومن هذه القوانين ما أسمته : قانون نزع الملكية ، وسنته فى أغسطس عام 1926 م .

ونظرة سريعة فى موادها ترىنا كيف اغتصبت بريطانيا فلسطين .. وكيف طردت أهلها منها وأعطتها لليهود .. جاء فى بعض موادها ما يلى :

"المادة 3 : يحق لمنشئ أى مشروع أن يتفاوضوا ويتفقوا مع صاحب أية أرض يحتاجون إليها لشروعهم .

(1) جهاد شعب فلسطين من 13

(2) نفسه من 465 ، 466 .

(3) نفسه من 451 .

(4) نفسه من 166 ، 167 .

المادة 5 : (١) : إذا عجز منشئو أى مشروع عن الاتفاق مع صاحب أو أصحاب أرض يحتاجها المشروع فيجوز لهم أن يرفعوا إلى المندوب السامى لأجل موافقته إعلان المفاوضة المشار إليها .. الخ.

(3) : يطلب فى إعلان المفاوضة من الشخص المبلغ إليه تقديم تفاصيل خطية بما له من حقوق فى الأرض ، والادعاءات التى يدعيها بشأنها ، ومقدار التعويض أو بدل الإيجار الذى يقبل به .. الخ.

المادة 7 : إذا قصر الشخص الذى بلغ إعلان المفاوضة فى تقديم ادعائه بالأرض المبحوث عنها خلال خمسة عشر يوماً من إبلاغه الإعلان ، أو تخلف عن المفاوضة مع المنشئين بشأن مقدار التعويض ، أو إذا لم يتفق هؤلاء مع الأشخاص (المالكين) على التعويض خلال خمسة عشر يوماً :

(1) فيحق للمنشئين أن يضعوا يدهم فى الحال على الأرض المشار إليها فى الإعلان المذكور ، وإذا رفض أصحاب الأرض أو مشغلوها السماح للمنشئين بوضع يدهم على الأرض فيقدم المنشئون طلباً إلى رئيس المحكمة (محكمة الأراضى) الذى إذا اقتنع بحق المنشئين فى وضع يدهم على الأرض بمقتضى هذه المادة يصدر قراراً بتوقيعه ، يقضى فيه بتسليم الأرض للمنشئين ، ويشترط فى ذلك إذا كان الاستملاك لشخص أو هيئة غير حكومية فللرئيس أن يأمر بإيداع المبلغ الذى يستصوبه " .

وتحت طائلة هذا القانون تم إنتزاع آلاف من الدونومات من تحت يد أصحابها العرب ، وهو قانون واضح العبارة ، وكان سيفاً مسلطاً على كل مالك يرغب اليهود فى أرضه ، فهو إما أن يخضعها لمشروعاتهم وإما أن تؤخذ منه عنوه وغصباً .

ونلق النظر على مثال من تطبيقات ذلك القانون البريطانى فى خبر نشرته جريدة الشباب القاهرية (1) . يقول : " حضر إلى إدارة جريدة الدفاع "بحيفا" بعض أهالى قرية "الريحانية" وأخبروها أن عدداً من اليهود حضروا إلى القرية منذ ثلاثة أيام ، ومعهم "موتور" ماء ، وأخذوا يحضرون بئراً فى قطعة أرض تزيد مساحتها عن (800) دونم ، وهى أرض مشاع لا يصلح إلا جزء صغير منها للفلاحة والزراعة ، والجزء الباقى مرعى لمواشيهم ، وعرب تلحك الأراضى يحملون أوراقاً تثبت ملكيتهم لها" .

وتضيف جريدة "الشباب" بذات التاريخ الخبر التالى : " استأنف القاضى البريطانى اليوم فى "يافا" النظر فى قضية محاجر "مجدل الصادق" المختلف عليها بين العرب واليهود ، فردّ

(1) جريدة الشباب العدد 16 من يونيو 1937 .

دعوى العرب المرفوعة بملكية الأرض لعدة أسباب ، رآها قانونية، ومنها أن أراضي المحاجر غير داخلة في حدود القرية" .

على أن بريطانيا صاحبة الانتداب في فلسطين لم تصبر طويلاً بعد إصدارها لقانون نزع الملكية ، فقد تبين لها أنه لا يكفى ، لأن كثيراً من الأراضي ليست ملكاً لأفراد يفرض عليهم الإتفاق أو يرغمون على قبوله ، ولكنها ملك مشاع لأسر ولقبائل ، وبذلك عمدت إلى سن قانون جديد في 3. مايو (ايار) 1928م وأسمته قانون "تسوية حقوق ملكية الأراضي ، ولقد استهدفت بهذا القانون نزع الملكية العربية بطريق آخر ، واستلام الدولة لتلك الأراضي ، توطئة لتسليمها لليهود ، ولعل اطلاعاً على بعض مواد ذلك القانون يوضح لنا طرق الحكم البريطاني ، والأفعال التي عايناها عرب فلسطين .

" المادة 3 : إذا ظهر للمندوب السامي أنه من المستحسن تسوية حقوق الملكية في الأراضي الواقعة في أية منطقة وتسجيلها فينشر في الوقائع الفلسطينية أمراً أو مرسوماً ، ويعرف في هذا القانون بأمر التسوية .

ولم يكن قانون نزع الملكية أو قانون التسوية ، أو الصلاحيات التي أعلنتها بريطانيا لمندوبيها السامي كافية في تنفيذ برنامج التهويد ، بل اتجهت بريطانيا إلى المناطق المليئة بالأشجار الكثيفة ، فرأت أنه من اللازم لبرنامجها أن تصدر قانوناً اسمه (قانون الغابات) وسلطته أيضاً على رقاب الملاك العرب ، تصاد به أراضيهم ، وتضع سلطانها عليها ، وعلى سبيل المثال لا الحصر نثبت هنا نموذجاً من تطبيقات ذلك القانون :

" أنا السر "هارولد مكمايكل" المندوب السامي لفلسطين ، استناداً إلى الصلاحية المخولة لي في المادة الثالثة من قانون الغابات ، أعلن الأراضي المبينة أوصافها في الذيل التالي مناطق غابات محفوظة تحت إشراف الحكومة وإدارتها" ، ثم يذكر المندوب السامي كشافاً بيانياً بتلك الأراضي وملاكها ، فيتبين أنهم جميعاً من العرب الذين وصفهم بأنهم ادعاء تملك . وبالجمع لتلك المساحات العربية المستولى عليها يتبين أنها 38188 دونماً .

ولعمري أن تلك القوانين والأوامر التي أثبتناها آنفاً ، وإثبتنا معها نماذج من طرق تنفيذها لمعطية شواهد لا ريب فيها ولا شك على أن شعب فلسطين العربي كان يكابد متاعب لا حدود لها من الدولة التي حكمت سلاحها وقانونها في أرضه ، وأنه لم يبيع أرضه لليهود كما يشاع .

وهذا الذي أوضحناه سبيل واحدة من السبل العديدة التي سلكتها بريطانيا ضد أراضي الأمة العربية في فلسطين ، والواضح أن مساحات عديدة اغتصبت من العرب وسلمت لليهود

تحت طائلة تلك القوانين الجائرة ، وإذا كان بحثنا يهدف إلى إيضاح الحقيقة عن مصير الأرض في فلسطين ، فإننا بما اثبتناه آنفاً ، إنما نقدم صورة لا تموض فيها للجزور البريطاني الجائر على شعب عربي صغير، لوضاعت كل أراضيها وسط تلك الأثقال البريطانية لوجود له المؤرخون أعداداً وأسباباً ، أما إذا ثبت أنه مع كل هذا كان صلباً عنيداً عنيفاً متمسكاً بأرضه ذالداً عنها ، كان معنى هذا أن تاريخ الوجود يزين صدر ذلك الشعب في وسط الأمة العربية بأوسمة المجد التي لا تبيد . (1)

(ي) وتعاونت مع أقطاب الصهيونية ، والوكالة اليهودية بقيادة " وايزمان" ، وسمحت لها أن تكون حكومة داخل الحكومة ، لها حق الإشراف على كل ما يتعلق باليهود من مسائل اقتصادية وإدارية وسياسية وعسكرية .

(ك) وفوق هذا كله فرضت بريطانيا على الفلسطينيين الأحكام العرفية ، أو العسكرية ، أو قانون " الطوارئ الاستثنائية" التي تمنعهم من الاجتماعات والمظاهرات ، وتفرض الرقابة على الصحف ، وذلك لتكميم أفواههم ، وتكبيل أيديهم وأرجلهم بالأغلال ؛ حتى لا يدافعون عن أنفسهم وأرضهم باللسان أو بالحركة والعمل .

(ل) وسخرت بريطانيا المال البريطاني والجندي البريطاني لخدمة الأهداف والمطامع اليهودية ، وحماية اليهود من رد الفعل العربي المسلح ، بل وقضت مع اليهود ضد المسلمين في كل صدام عسكري بينهما ، وبالتالي رجحت كفة اليهود في اعتداءاتهم المتكررة على المسلمين .

ونتيجة لهذه السياسة البريطانية المتعمدة ما جاء في تقرير مؤفدها إلى فلسطين "سميسون" قال : ونتيجة لسياسة الحكومة في موضوع الأراضي اضطر قسم كبير من الفلاحين إلى أن يفقدوا عملهم وأرغموا على ترك أرضهم .. ويرزح الفلاح العربي تحت عبء الديون مثقلاً بالضرائب التي يتعذر عليه دفعها إلا إذا عمد للاستدانة بفائدة كبيرة لا تكاد تصدق ، وقد تناقصت الأراضي التي يملكها الأفراد تناقصاً مضطرباً حتى أنني سمعت في كل قرية شكوى حول هذه النقطة ، هو أن بعض الأهالي اضطروا إلى بيع أرضهم إما لتسديد ديونهم وإما لدفع الضرائب الحكومية ، أو للحصول على ما يسد به رمق العائلة .(2)

(1) راجع جهاد شعب فلسطين 469 : 477 .

(2) قاله حبيب جاماتي في مجلة المصور في سبتمبر 1961 .. جهاد شعب فلسطين 451

(5)

وفى عام 1947 م تظاهرت بريطانيا بالعجز التام عن إيجاد حل لمشكلة فلسطين ، وقررت إحالتها إلى الأمم المتحدة التى بحثت المشكلة وانتهت إلى تقسيم فلسطين بين اليهود المفتصبين والعرب أصحابها الشرعيين فى 29/11/1947 م .

وكانت أمريكا شريكة فى هذه الجريمة .. فقد كتب وايزمان فى مذكراته، قال :

طلبت من ترومان - رئيس أمريكا - أن يقسم النقب بيننا وبين العرب على أساس خط عمودى ، فأمر ترومان مندوبه بأن يكون النقب كله لنا (1) (19)

قال "جون كلوب" الذى خطط لهذه النكبة وأسهم فيها : إن أفضح ظلم فى مشروع التقسيم الذى أقرته الأمم المتحدة هو أن النقب الذى يمتد من بئر السبع إلى العقبة مسافة مائتى ميل أعطى لليهود ، ولم يكن فيه يهودى واحد ، وتم يسكنه اليهود عبر التاريخ قط. (2)

وأعطى التقسيم لليهود الأراضى الخصبة وخاصة المتصلة بالمياه - ظاهرة وباطنة - كالنقب ، والعقبة ، وأم الرشراش وغيرها ، والتى بلغت مساحتها 56.74 بالمائة من مجموع مساحات البلاد، واليهود يومئذ قلة ، بينما ترك التقسيم للأكثرية العربية أصحاب البلاد الشرعيين أراضى صحراوية جدياء بعيدة عن المياه ، بلغت مساحتها 42.88 بالمائة من مجموع مساحة البلاد ، وجعل المساحة المتبقية - القدس وبيت لحم "65ر .." بالمائة منطقة دولية ، تحت إدارة الأمم المتحدة ؛ نظراً لحساسيتها الدينية (3) وبهذا التقسيم أعطت بريطانيا وحلفاؤها - عن طريق الأمم المتحدة - لليهود مساحات واسعة هائلة من فلسطين هبة ، ورغماً عن أهلها الشرعيين .

(6)

وحيثئذ رفض العرب هذا التقسيم الجائر ، وقام الفلسطينيون بحركات جهادية ناجحة هزّت العالم ، وزعزعت الكيان البريطانى واليهودى فى فلسطين ، فاستعانت بريطانيا بعملائها من الحكام والسياسيين العرب فى إخماد جذوتها من جهة - وتم لها ما أرادت ... ومن جهة أخرى تعاونت مع اليهود وساندتهم فى اعتداءاتهم الدموية ضد الفلسطينيين المقهورين العزل، وسلمت لليهود أرضهم وديارهم بعد أن أشرفت على طردهم منها :

1 - فسلمت لليهود مدينة "حيفا" وضواحيها .

(1) جهاد شعب فلسطين ص 293

(2) جندى مع العرب ص 64 - جهاد شعب فلسطين ص 496 .

(3) راجع خطر اليهودية 290 وما بعدها .. الصهيونية وحقوق الإنسان العربى 152/2 .

وقدمهدت - بريطانيا - لذللك من قبل ؛ حيث منعت الفلسطينيين من عمل التحصينات اللازمة للدفاع عن مدينتهم ، كما منعتهم من إحضار التجهيزات العسكرية ، بحجة أنها مدينة واقعة تحت الاحتلال البريطاني ، بينما تركوا عصابات اليهودية تهاجم المدينة ، والأحياء المحيطة بها ، ثم باعوا المدينة كلها لليهود ، وسلموها لهم في 1948/4/21 م ، وأشرفوا على طرد أهلها الشرعيين منها ، وهم أكثر من مائة ألف عربي (100,000) .

2 - وسلمت مدينة "يافا" وضواحيها لليهود أيضاً .

حيث كان لبريطانيا في (يافا) مواقع عسكرية مسيطرة على العرب ، وآلات حربية متطورة ، لا يملك العرب مثلها ، وترك البريطانيون مواقعهم والآتهم العسكرية هذه لليهود ، وبالتالي دارت معركة غير متكافئة بين العرب واليهود ، فتكت فيها عصابات اليهود بالعرب فتكاً ، مما اضطرهم إلى النزوح من مدينتهم وضواحيها إلى المدن المجاورة ، فاغتصبها اليهود كما خطط البريطانيون واشتهوا ..

3 - كما سلمت بريطانيا لليهود مدينتي (صفد ، وطبريا) وغيرهما من المدن الفلسطينية.

4 - ومن ذلك منبحة "ديرياسين" في 1948/4/9 م وفيها استخدم اليهود السلاح البريطاني في الفتك بالفلسطينيين ، والتمثيل بأجسامهم - رجالاً ونساءً وأطفالاً ، وألقوا بهم في بئر القرية .. وبقروا بطون الحوامل من نسائهم .

نعم بلغت القسوة بأولئك السفاحين أن جمعوا النساء الحوامل في ساحة القرية ، ووقف ضابط العصابة وجنودها يتراهنون على ما في بطون النساء الحوامل من الأجنة ، هل هم ذكور أم إناث ، ثم يعمد الجندي فيبقر بحريته بطن المرأة الحامل ، ويخرج الجنين على سن الحرية ؛ ليروا هل هو ذكر أو أنثى ، فيأخذ رابح الرهان دراهم بخسة معدودة ، وعمدوا إلى قطع آذان النساء ؛ للاستيلاء على الحلوى الصغيرة.

وذكرت إحدى الشاهدات أنها رأت يهودياً ينحر جازها بما يشبه السيف حتى أخمص قدميه ، ثم يكرر العمل ذاته مع ابن عمها .

والجدير بالذكر أن هذه العصابة كانت تضم بين أفرادها عدداً من رجال الدين اليهودي من حاخاميين وأحبار من جماعة " اغودات إسرائيل" الدينية ، الذين يتقربون إلى إله إسرائيل بمثل تلك الفضائع .

وطافوا بالأسرى رجالاً ونساءً في شوارع القدس حفاة عراة ، وعذبوهم أمام ذويهم ، وأمام اليهود ، وأجبروهم على أن يدوسوا جثث قتلهم الشهداء (1) .

كل هذا بعد ما اغتصبوا حلى النساء وامتعة الأسر .. (2) فكان الأمر إذلالاً وقتلاً ، واغتصاباً للأرض والمال .

وكذلك فعلوا في مذبحة قرية "ناصر الدين" وغيرها من مدن فلسطين ، مما اضطر أهلها إلى النزوح عنها إلى القرى الأخرى .. وبالتالي اغتصب اليهود فلسطين قرية بعد قرية ، ومدينة بعد مدينة.

وبهذه السياسة البريطانية المجرمة اغتصب اليهود مساحات كبيرة من فلسطين، وكثرة عددهم فيها ، حتى بلغوا عند نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين (650,000) خمسين وستمائة ألف يهودي بعد أن كان عددهم عند بداية الانتداب البريطاني لا يزيد عن (50,000) خمسين ألف يهودي فقط (3).

وهذا كله تنفيذاً للخطة اليهودية البريطانية الخفية والمعلنه ، وهى إخلاء فلسطين من أصحابها بالقتل أو بالطرد ، ليتسلمها اليهود ..

قال اليهودي " بن زفي" - ينادى عام 1921 م .:على اليهود أن يظهروا وطنهم فلسطين من المغتصبين ، وأن على سكانها المسلمين المغتصبين أن يرحلوا إلى الحجاز والصحراء ، والمسيحيين إلى لبنان .

وقال القاضى الأمريكى اليهودي "برانديز" مستشار الرئيس الأمريكى "ويلسون" عام 1916 م : إن القصد من طلب اليهود تسهيل الهجرة إلى فلسطين أن يصبح اليهود أكثرية السكان فيها ، وأن يرحل العرب عنها إلى الصحراء ..

وقال الزعيم الصهيونى "وايزمان" : لقد تعهدت لنا بريطانيا حين وعدت بمساعدة الصهيونية في فلسطين أن تسلمها لنا خالية من سكانها العرب ، وكنا على وعد بتنفيذ ذلك عام 1934 م غير أن ثورات العرب العديدة التى ثم تكن في الحسينان أجلت ذلك التنفيذ . (4)

وحاصل هذه المرحلة الثانية :

(1) نكة فلسطين ص 305 و 306 .

(2) جهاد شعب فلسطين ص 438 .

(3) راجع خطر اليهودية ص 284 .

(4) نفسه ص 445 .

أن بريطانيا حين اغتصبت فلسطين عام 1918 (1) عملت على تسليمها لليهود بالوسائل الآتية :

سلمت لليهود الأراضي الأميرية والمرافق العامة التي كانت تحت يد الإدارة العثمانية ، وأراضي الأوقاف الإسلامية وهي كثيرة جداً ، فمعظم أراضي القدس وقفية .

عملت على خلق المسلمين - أهل الأرض الشرعيين - اقتصادياً وحرياً وسياسياً بالضرائب والغرامات الباهظة ، والقوانين والعقوبات الجائزة التي تبرر لها اغتصاب أرضهم وديارهم ، وتسليمها لليهود .

دعمت اليهود اقتصادياً وحرياً وبشراً وسياسياً ، وخاصة في كل صدام بينهم وبين العرب ، حتى رجحت كفتهم ، ومكنتهم من اغتصاب فلسطين قرية بعد قرية ، ومدينة بعد مدينة .

ساومت أهل فلسطين نيابة عن اليهود : لتسليم الأرض لليهود .. حتى ذكر مفتى فلسطين الكبير محمد أمين الحسيني - رحمه الله - أن رسالاً بريطانيين اتصلوا به وبغيره من الفلسطينيين عام 1934م ، وعرضوا أن يُنقل عرب فلسطين إلى شرق الأردن على أن يُعطوا ضعف مساحة الأراضي التي كانوا يملكونها ، وأن يقدم اليهود جميع الأموال المطلوبة لذلك ، إلا أن المفتى - رحمه الله - (2) أبى إباء لا تردد فيه .

وبعد هذا كله نتساءل : هل باع الفلسطينيون أرضهم في هذه المرحلة الثانية أيضاً ؟

المرحلة الثالثة :

وتبدأ من 1948/5/15 م تاريخ انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين ، وإعلان دولة اليهود .

وفي هذا العام دخلت سبعة جيوش عربية فلسطين (3) للدفاع عنها ، ولكن كان خلفها قادة غير أمناء ، باعوا فلسطين لليهود ، لقاء دراهم معدودة ، ومناصب موقوتة ، واستسلاماً لكفار بريطانيا وغيرها ، ولذا حينما دخلت تلك الجيوش فلسطين بادرت بحل المنظمات العسكرية الفلسطينية .. ونزعت السلاح تدريجياً من أيدي الفلسطينيين ، وأبعدتهم عن المعركة (4) ،

(1) ولذا قالت الكاتبة الإسرائيلية " بريارة توخمان " في كتابها " الثورة والسيوف " : رهكذا دخل الجنرال " اللبني " إلى القدس عام 1918 م فنجح حيث كان " ريتشارد قلب الأسد " قد أخفق في "حطين" ، ولولا ذلك الانتصار ما كانت إسرائيل حقيقة واقعة . ا هـ . راجع الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستخزاء ص 282 .

(2) جهاد شعبين فلسطين ص 19 .

(3) هي جيوش : مصر ، وسوريا ، وشرق الأردن ، ولبنان ، والسعودية ، واليمن ، والعراق .

(4) راجع خطر اليهودية ص 3.5 .. الوجيز في القضية الفلسطينية ص 31 .

كما أمرت بإلغاء جيش الإنقاذ وجنوده من المجاهدين المسلمين المتطوعين ! بدعوى أن الجيوش النظامية أهدر على الحرب وتحرير الأرض من الشعب .

ثم ظهر أن ذلك كان مؤامرة حاكها اليهود والإنجليز ، ونفذها القادة العرب (سحقاً.. سحقاً) فقد اثبت مؤرخ عريى أن إبعاد الفلسطينيين ، وحل فرقهم كان الشغل الشاغل لقيادة "جلوب" القائد الإنجليزي للجيش العريى الأردنى" (11)

وهذا صحيح ، فإن العقلاء يرون أن المجاهدين الفلسطينيين وغيرهم من المسلمين لو ثرکوا وتم تسليحهم لكانوا ردةً للجيوش العربية ، فهم أحرص الناس على فلسطين ، وأخبر بها ، وأعرف بطبائع اليهود منهم .

.. ولكنها المؤامرة التى ظهر زفرها أكثر حينما أعطت القيادات العربية الحاكمة لجيوشها العربية أسلحة فاسدة تقتلها ولا تصل إلى اليهود .

ولذلك كانت خطة تلك الجيوش دفاعية جامدة ، تكتفى بتلقى الضربات مما لا يفيد صديقاً ، ولا يضر عدواً .

ولهذا كان الفلسطينيون يقولون : إننا كبدنا اليهود خسائر فادحة حين كنا وحدنا فى الميدان ، قبل دخول الجيوش العربية أرض فلسطين ، وكان اليهود يخشوننا ، فهم دائماً مدافعون ، ونحن دائماً مهاجمون ، فكيف يصح أن نتقبل خطة الدفاع والجيوش العربية معنا؟(1)

وقبلت القيادات العربية الهدنة الأولى فى مايو ، والثانية فى يوليو 1948 م وفرضت الالتزام بها حتى على الفلسطينيين ، بينما لم يلتزم بها اليهود قط ، واستمروا فى اغتصاب أرض فلسطين ، وقتل وطرد أهلها منها .

والذى يقرأ نصوص الاتفاقات بين اليهود والعرب يجد فيها اعترافاً بدولة لليهود فى فلسطين ، وإقراراً بأن لهم فيها حقوق .. ففى اتفاقية رودس عام 1949 م نجد النص التالى :

يتعهد كل من الفريقين بمقتضى قرارات مجلس الأمن بعدم القيام بأى عدوان ضد الآخر ، ويوافقون على إقامة خطوط الهدنة .

يتعهد الطرفان بعدم السماح لقواتهما باجتيازها مهما كانت الأسباب ، كما لا يجوز تسفن إحدى الطرفين اجتياز المياه الإقليمية المحاذية لشواطئ الطرف الآخر . (2)

(1) جهاد شعب فلسطين ص 22 .

(2) القضية الفلسطينية .. أكرم زعبي ص 241 ، 242 .

ومما يجدر تسجيله هنا أن القادة العرب التزموا بهذه الاتفاقات ، فالتزموا بعدم المساس باليهود ، وحدود اليهود ، وأمن اليهود ، وفرضوا هذا على جيوشهم والشعب الفلسطيني .

ولذلك كان دخول هذه الجيوش السبعة كارثة كبرى على فلسطين ، فقد هزمتها عصابات اليهود ، ورجعت الجيوش إلى حيث أتت ، تجر أذيال الخيبة والهزيمة والعار ، وكانت تمثيلية حبكها الحكام العرب لصالح اليهود ، ليتقرر في العقل العربي والعالمي أن اليهود أخذوا فلسطين بانتصارهم على الدول العربية مجتمعة ، وبسببها توسع اليهود في اغتصاب المدن والقرى الفلسطينية ، قرية بعد قرية ، ومدينة بعد مدينة ، وطرد أهلها منها ، مثل الجليلين : الشرقي والغربي ، و"الشونة" ، و"اللد" ، و"الرملة" و"رودس" ، وغيرها .

وفي أول إبريل عام 1949 م اغتصب اليهود أراضي "النقب" من بئر سبع إلى خليج العقبة .. ومساحتها كبيرة تزيد على مساحة ما اغتصبوه قبل ذلك .

ولا ننسى أن الجنرال الإنجليزي جلوب (1) رئيس الجيش العربي الأردني (19) هو الذي سلم لليهود الجزء الجنوبي من النقب ، ويقع رأسه الجنوبي على خليج العقبة، حيث ميناء " أم الرشراش " فانشأ اليهود عليه ميناء " إيلات " المعروف (2) .

ويكفي أن تعلم أن تلك الجيوش السبعة حين دخلت فلسطين كان بيد عرب فلسطين اثنان وعشرون مليون " دونم " من مجموع مساحتها .. ولما تولت تلك الجيوش الدفاع عنها وعن أهلها اغتصب اليهود سبعة عشر مليوناً مما بيد العرب كما ذكر أحد الفلسطينيين ، ولم يبق للفلسطينيين إلا الضفة الغربية من الأردن ، وما يسمى بقطاع غزة في الجنوب (3)

فكيف لا يكون دخول تلك الجيوش العربية فلسطين كارثة عليها وعلى أهلها ؟

(1) أرايتم ، كيف كانت خيبة العرب ؟ .. رضوا بأن يكون رئيس جيشهم في الأردن إنجليزياً صليبياً ، ابن الدولة التي احتلتهم ، وسلمت فلسطين لليهود .. أليس من الطبيعي أن يضرب العرب ، ويسلم أرضهم لليهود ؟
 (2) راجع خطر اليهودية ص 304 .
 (3) الطريق إلى بيت المقدس 321/2 : 323 ط . ثانية .. جهاد شعب فلسطين 427

اغتصاب الأرض بالقانون (119)

أدت المجازر التي أقامها اليهود والبريطانيون ضد الفلسطينيين في "دير ياسين"، و"حيفا"، و"بافا"، وقرية "ناصر الدين" وغيرها مع خذلان إخوان العروبة والإسلام إلى فرار الفلسطينيين إلى دول الجوار، تاركين أراضيهم وديارهم وأمتعتهم، وهي كثيرة .. كثيرة .. فأغتصبها اليهود سهلة باردة ؛ حتى قال "مناحم بيجين" رئيس عصابة الأرجون، ورئيس وزراء اليهود الأسبق في كتابه "الثورة" ما نصه :

لقد خلقنا جواً من الرعب المجنون، جعل أكثر من (750,000) خمسين وسبعمئة ألف عربي يفرون، تاركين وراءهم كل شيء (الأرض والديار والأموال .. الخ) ، الأمر الذي كان له أهمية سياسية واقتصادية لا حدود لها (1)

وقال اسحق رابين : إن الاستراتيجية التي كانت تُعلم للجنود اليهود لتلخص بعدم ترك حجر على حجر في القرى العربية، وتشريد سكانها ؛ لكي يضمن عدم عودتهم بعد أن تكون قراهم قد أصبحت أنقاضاً. (2)

وهنا رأت السلطة اليهودية تنظيم اغتصاب مدن وقرى وأراضي وأمتعة الفلسطينيين بالقانون 11 ، فأصدروا عدة قوانين لهذا الغرض ، مثل :

قانون الغائبين (1950 م) : وبه وضعوا قرى ومدن العرب الفارين وأملاكهم تحت حراسة السلطة اليهودية ، وللسلطة اليهودية الحراسة حق بيع أراضي الغائبين ، وأملاكهم لليهود التي أتت بهم من دول العالم لقاء ثمن تحدده ، أو تهيبها لهم .

قانون استملاك الأراضي (1952 م) : وبه تغتصب السلطة القضائية اليهودية الأراضي العربية ، بحجة استخدامها في أغراض التعمير ، والاقتصاد ، والأمن ، وغيرها .

قانون التصرف (1953 م) : وبه لا يتصرف المالك إلا بملكه هو تصرفاً فعلياً بشخصه هو مباشرة ، فلا يتصرف بملك غيره ؛ وبالتالي اغتصب اليهود أملاك العرب الفارين ، والمطرودين من ديارهم .

قانون تقادم العهد (1957 م) وبمقتضاه لا يحق للمالك الاحتفاظ بأرضه وبيته إلا إذا قدم إثباتاً يؤكد تصرفه فيه (25) خمسة وعشرين سنة ، فإذا تعذر عليه ذلك يبطل تملكه لما يملك ويكون ملكاً أميرياً ، ويصبح ملكاً للدولة اليهودية .

(1) راجع : يا مسلمون اليهود قادمون ص 77 .

(2) نكبة فلسطين ص 177 لحسن جرار .

ويطبيعة الحال عجز أكثر الفلسطينيين عن إثبات تملكهم لأرضهم وديارهم هذه المدة ، حيث كانت دولة الاحتلال - (بريطانيا) - لا تسمح بهذه الإثباتات ، أو لم تكن تحرص على إيجادها ، ولم يكن الشعب العربى على علم بخطة اليهود وفكرهم ؛ وبالتالي اغتصب اليهود أراضى وأملاك كثير من الفلسطينيين .

وغير ذلك من القوانين التى اغتصبت بها الدولة العبرية قرى ومدن وأراضى الفلسطينيين ، وأعطتها لليهود هبات ، أو باعتها لهم بأثمان رمزية .

(9)

ومن جهة أخرى ضيقت الحكومة اليهودية الخناق على المسلمين الواقعين تحت نفوذها ، ففرضت عليهم العقوبات والغرامات الجائرة ، كما فرضت على أرضهم وديارهم الضرائب الباهظة التى أعجزتهم عن سدادها ، حتى تراكمت وغدت أكبر من قيمة الأراضى ، وبالتالي اغتصبت الحكومة العبرية كثيراً من أرضهم وديارهم يوماً بعد يوم ، فلا يمر يوم دون أن تطرد الحكومة العبرية عربياً من داره ، أو تبعده عن أرضه ، وتقطع شجرها وزرعها ، وتضمها إلى أملاك الدولة العبرية التى تتبعها بدورها لليهود المهاجرين من دول أوروبا وغيرها ..

(10)

ولم تكتف الدولة العبرية بهذا ، بل دمّرت المدن والقرى واغتصبتها ، وطردت أهلها منها ، ليهيئوا على وجوههم فى العراق ، حيث لا يجدون المأوى ولا الأمان ، مثل :

قرية " أقرت " القريبة من لبنان .. دمرها اليهود ، وهدموا كنيستها ، واغتصبوها فى ديسمبر 1952 م .

وقرية " الريحانية " دمرها أيضاً وهدموا مسجدها ، واغتصبوها فى ديسمبر 1953 م .

وعشيرة (الشبلى) التى كانت تقطن فى جهات جبل (طابور) وكان عددهم يومئذ خمسمائة وألف نسمة (1500) ، اغتصبت الدولة العبرية أراضيها الزراعية التى كانت تعيش عليها ، ثم قضت قوانين الحاكم العسكري بمنع تنقل أفرادها طلباً للرزق ، مما أدى إلى أن يفترق بهم الجوع ، والمرض ، والبطش ، والتعذيب ، والسجن ، والتشريد حتى نقص عددهم إلى خمسمائة نسمة فقط ..

ويلغ ظلم اليهود بهم حداً ألجا شيخ العشيرة إلى أن يطير البرقيات إلى الفاتيكان طائياً
اعتناق النصرانية، مقابل حمايتهم من الاضطهاد اليهودى القاتل (1) (111)
ولم يجبه احد بطبيعة الحال.

أرايتم هذا الظلم والإجرام اليهودى الواقع على مسلمى فلسطين كيف ادى بهم إلى طلب
النجدة من الفاتيكان ، ولو كان الثمن تغيير دينهم ؟ ..

ولم يدر شيخ العشيرة المقهورة أنه يستجير من النار بالجحيم ، أن اليهود تغفلوا فى
الفاتيكان نفسه ، وحركوه وفقاً لمصالحهم .

وقرية (الجملة) العربية اغتصبها اليهود فى أغسطس 1953 م ، وطردوا أهلها، ونسفوا
بيوتها بالديناميت ، وقطعوا أشجارها ، ومن الطريف أن محكمة الدولة العبرية حكمت لصالح
أهلها ، ولكن الدولة العبرية رفضت تنفيذ حكم المحكمة ، فأرسل عمدة القرية (محمد النداف
(برقية إلى رئيس الدولة العبرية هذا نصها :

يوم 11 أغسطس سنة 1953 م نسف رجال " كيبوتس لهفات جيب " بيوتنا بالديناميت
بالجملة ، وسبق أن قطعوا الوفاً من أشجارنا المثمرة .. والمحكمة العليا حكمت لنا ، وسلطتكم
أدخلت المعتدين وساعدتهم ، شكونا إلى السلطات - اليهودية - (111) (2) وليس من مجيب
.. أنحن فى دولة أم بين عصابة ؟ .. اقتلونا ، فقد كرهنا البقاء تحت ظلمكم .. ها أنذا عمرى
ثمانون سنة ، ولم أسمع ولم أر أفلح استبداداً وظلماً منكم ، ادفعوا ثمن أموالى لأخرج ، أو
اقتلوني لأرتاح .. أشكوكم إلى الله .

التوقيع / محمد النداف (3)

هذه الشكوى الأليمة ترينا عمق المأساة ، وشدة الضغط الخائق ، الذى لاقاه عرب فلسطين
على يد حكومة اليهود ، مما اضطرهم إلى الفرار ، وترك أرضهم وديارهم أو بيعها ، بل طلب
النشاكى القتل ليرتاح من هول المأساة (111)

وهكذا دمر اليهود واغتصبوا حتى سنة 1955 م (ثمانية وسبعين ومائة) مدينة وقرية تقريباً
، بل أكثر ، وكلما دخلوا قرية أو مدينة أعدموا عدداً غفيراً من خيار شبابها ، وطردوا ما تبقى
منهم ، مثلما حدث فى قرية " عيلبون " (1) فى قضاء الناصرة وغيرها .

(1) خطر اليهودية ص 323 .

(2) التعجب من عندنا .

(3) راجع خطر اليهودية ص 316 .

(11)

وظل اليهود على هذا الحال ، يغتصبون مدن وقرى وأرض فلسطين بعد أن يقتلوا ويطردوا منها أهلها حتى جاءت النكبة العربية الكبرى عام 1967 م فتوسعوا في اغتصاب الأراضى والديار الفلسطينية ضمن خطة مرسومة ومنظمة ، فدخلوا القدس الشرقية ، واستوطنوها بعدما دخلوا القدس الغربية من قبل .

واغتصبوا أراضى أخرى فى الضفة الغربية ، بعد أن طردوا منها أهلها ، ودمروا آبارهم ، وهدموا بيوتهم بدعوى أمن إسرائيل ، كما أخذوا حزام طويل على نهر الأردن من العرب الذين كانوا يقيمون فيه ..

ولا تزال تلح الخطة موضع التنفيذ إلى اليوم ، فلا زلنا نرى ونسمع عن هدم بيوت العرب وطردهم منها ، بدعوى أنها بنيت بغير تراخيص .

وأين آلاف المساجد المنتشرة فى قرى ومدن فلسطين ؟ .. إن اليهود صادروها وحولوها إلى مساكن لليهود ونوادى وملاهى وبارات واسطبلات للخيول ، ومتاحف للأثار اليهودية ، ومكاتب سياحية .. مثل مسجد "ياقا" الكبير (السكسك) ، فقد حوله اليهود إلى نادى ، وحولوا مسجد "قيسارية" إلى بار وخمارة ، ومسجد الظاهر "بيبرس" فى المجدل إلى مطعم ، واستخدموا المسجد الصغير "بحيفا" مكاناً للتحشيش والدعارة ، وحولوا مسجد "صفد" إلى متحف للأثار اليهودية ، وصادروا مسجد "الحسين" ومقامه بعسقلان ، وأنشأوا مكانه مستشفى لليهود ، وصادروا معظم مساحة المسجد الإبراهيمى، وجعلوها كنيسة ومزاراً لليهود .

وصادروا حائط "البراق" وهو الحائط الغربى للمسجد الأقصى ، ويسمونه حائط المبكى ، كما صادروا حارة المغاربة الملاصقة له ، وهى أراضى وقف ، وجعلوها ساحة لزلزرى حائط ميكاها (2) ، وقد لاقت مساجد فلسطين كلها هذا المصير وإلا فأين هى ، وهى تبلغ عشرات الآلاف ٩٩

حتى النكبة العربية عام 1967 م التى حدثت بتقصير القادة العرب فى مصر وسوريا والأردن وغيرها ، وسواء كان هذا التقصير بقصد أو بغير قصد ، فقد مكنت - هذه النكبة -

(1) أحرقوا فى تلك القرية عائلة "أل زريق" فى داخل بيوتهم ، إرهاباً لساكن السكان ، وترويعاً لهم ، وحملهم على الفرار من البلاد .. وحدث هذا فى قرية "شرفات" ، "وقبية" ، "وشاطيء" "طبرية" ، وغيرها ..
(2) راجع فلسطين - د . محسن صالح .

اليهود من اغتصاب المزيد من الأراضي الفلسطينية ومقدساتها وقراها ومدنها ، بل واغتصاب اراضي عربية اخرى في مصر وسوريا والأردن . (1)

- (1) هناك من المؤرخين من يرى أن وراء هذه النكبة رائحة خيانة ، أو هي هي ، أية ذلك عندهم :
- 1- أن الحكومة المصرية التي أتت بانقلاب عسكري في 23 يوليو 1952 لم تغسل عار الهزيمة والاحتلال لم يكن من اهتماماتها فلسطين ، وتحريرها من دنس اليهود .. فلم يأت ذكر لفلسطين ومقاتلة اليهود في بيان قادة الانقلاب ، ولا في بيانهم المعلن الذي جاء فيه محاربة الفساد ، والقضاء على الإقطاع ، وبناء جيش وطني قوى .. إلى آخره ، ولا في الميثاق الوطني الذي وضعه ، بل قال الزعيم قائد الانقلاب : إنما بنيت هذا الجيش من أجل السلام أ هـ . أي لم يبن الجيش لتحرير فلسطين ، إنما للتسليم باغتصابها باسم السلام ، مما جعل المحللين يقولون : إن تحرير بيت المقدس لم يكن في بؤرة اهتمامهم ، بل لم يكن الإسلام ذاته في دائرة اهتمام بعضهم (الطريق إلى بيت المقدس 413/2 ط . ثانية) .
 - 2- لم يفكر قادة الانقلاب في القتال ضد اليهود لتحرير فلسطين قط .. بل لم يصدر منهم ضد اليهود إلا الشعارات الجوفاء ، والخطب الخرقاء ، والقرارات الفرزقية التي لم تزد اليهود إلا سخرية بهم ، أما اليهود فهم الذين بدأوا القتال ضد العرب في كل مرة عام 1956 م ، 1967م .. أروني يا قوم ، معركة بدأها أي حاكم عربي ضد اليهود لتحرير فلسطين ؟ .. حتى معركة العاشر من رمضان 1393 هـ (1973 م) خاضتها مصر لتحرير سيناء من الاحتلال اليهودي ليس إلا .
 - 3- ولذا لم يُعد قادة الانقلاب العدة لمواجهة اليهود يوماً ما ، حتى بعد أن ضرب اليهود مصر والعالم العربي في 1956 م ، 1967 م .. قال الزعيم قائد الانقلاب في 1968/2/5 م (1388 هـ) : لسنا مستعدين للهجوم لتحرير الأرض ، وذلك بسبب النقص في الطيارين (الكتاب السابق 430/2) .
يا للهول !!! .. بعد أحد عشر عاماً من اعتداءات اليهود في 1956 م ، وبعد عام من نكبة 1967م لم يستعد سعادة الزعيم ، ولم يعد العدة لقتال اليهود !! هل هذه حنكة أم سذاجة .. أو وطنية أم خيانة ؟ !
 - 4- إن الزعيم قائد الانقلاب منذ أن تولي السلطة يادر إلى ضرب التيار الإسلامي في مقتل .. التيار الإسلامي الذي قاتل اليهود في فلسطين بصدق ، واستهدف تحرير فلسطين ومتنساتها بصدق ، عمل جمال "عبد الناصر" على واده ، فوضع أتباعه في السجون ، وصنع لهم مطحنة رهيبه سحقّت اللحم ، وطحنّت العظم ، وعلق المجاهدين على أعواد المشائق ، مثل الشيخ "محمد فرغلي" رحمه الله قائد المجاهدين في فلسطين ، و"يوسف طلعت" ، و"هنداوى دوير" ، وغيرهم ممن دوخوا الأنجليز واليهود في فلسطين ، وقتلهم قتال المؤمنين ، فزلزلوا أركانهم ، وكادوا أن يزيلوا وجودهم من فلسطين ، ولو أخلى الطريق بينهم وبين اليهود لتحررت فلسطين ، ولما استطاع اليهود اغتصابها . لم يستطع اليهود أن ينالوا من هؤلاء المجاهدين منالاً مثلما نال منهم "جمال عبد الناصر" ، فخدمهم "جمال عبد الناصر" بذلك خدمة ما كانوا يستطيعونها قط .
 - 5- إن الزعيم نما إلى علمه أن اليهود سيحتنون على مصر صباح يوم 1967/6/5 م ، وكان الوقت كافيًا للاستعداد والدفاع ، أو لرد الاعتداء وحماية البلاد من كيد اليهود ، لكن الزعيم تقاعس ، لم يتخذ رداً ذا بال ؛ حتى حدث الاعتداء اليهودي الغادر ..
- قال "سعد جمعة" وزير الدفاع الأردني أيام هذه النكبة : سمعت الملك "حسين بن طلال" ملك الأردن يقول للرئيس عبد الناصر : إن المعلومات التي تسربت إلى الأردن من مصادر كثيرة ، بعضها اجنبي يشير إلى أن إسرائيل ستفاجيء المطارات المصرية بغارة صباح 5 أو 6 يونيو 1967 م (راجع المؤامرة ومعركة المصير 176) ..
- وضابط فرنسي .. خبير دولي .. في الطيران كان يعمل مع قائد الطيران اليهودي "عزرا وايزمان" في عام 1967م ، وقد حضر اجتماعات الإعداد والتخطيط لضرب مصر جويًا ، وألقى عقده في إسرائيل في مايو 1967م ، فذهب هذا الخبير بعد خروجه إلى "عز الدين شرف" سفير مصر المفوض في باريس ، وقدم له معلومات عن خطة إسرائيل في ضرب الطيران المصري ، ووصلت المعلومات بدورها إلى الرئيس "جمال عبد الناصر" ، وذلك يعني أيضا أن الخطة اليهودية في ضرب مصر في يونيو 1967 م كانت معدة من قبل اتخاذ عبد الناصر قراره بسحب قوات الطوارئ المصرية ، وعلق خليج العقبة .. فماذا يعني ذلك ؟ .. هل يعني أن القيادة السياسية قد قامت بعمل استفزازي يتيح للعدو أمام المجتمع الدولي تنفيذ خطته وتدمير أممتنا في حرب 5 يونيو 1967 م .
- وفي نفس الوقت قيد الزعيم القوات المسلحة ، ومنعها من الحركة حتى تتلقى الضربة القاضية (راجع لعبة الأمم 314 ، 315) ، ورغم علم القيادة المصرية أن اليهود سيضربون مصر في 5 يونيو 1967 م فقد

صدرت أوامر القيادة العامة للطيران مساء 4 يونيو 1967 م بتخفيض تحميل الطيران من الذخيرة بنسبة 25 % ، والسماح بإجازات للطيارين بنسبة 15 % من قوة الطيران المصرى ، وهو المعدل العادى ، على أن ينفذ من صباح 5 يونيو 1967 م ، وهو اليوم الذى كانت تعلم القيادة المصرية أن اليهود سيضربون فيه ضربتهم الأولى والقاضية ..

وهناك شىء أكثر غرابية : هو أنهم سرحوا الاحتياطى قبل بدء العمليات وقبل ميعاده .. وقد قرر الزعيم القائد وأتباعه أن تتلقى مصر الضربة الأولى ، ونشروا ذلك علناً فى جريدة الأهرام ، لإخطار اليهود بذلك رسمياً .

- ألغوا بند تغطية الطائرات فى ميزانية عام 1966 م / 1967 م ، وبالتالي تركوا طائراتنا فى العراء جاهزة ليتمروا اليهود بسهولة ..

- أصدروا الأوامر إلى قوات الدفاع الجوى بعدم إطلاق النار على أى طائرة ، لأن طائرة المشير فى الجو لحظة الهجوم الإسرائيلى ..

لعل المشير فعل ذلك تأميناً لطائرات اليهود حتى ترجع إلى قواعدنا سالمة ، أو ليشاهد ثمار جهود اليهود وثمار خيانتهم ..

ونكر الفريق صلاح الدين الحديدى أن تغييراً كبيراً للقيادة العسكريين الأكفاء حدث فى صيف عام 1966 م وفى مايو 1967 م أى قبل النكبة بشهر ، وحل محلهم ضباط غير أكفاء ، لأسباب غير مفهومة ، مما كان له أسوأ الأثر على تدريب وحدات الجيش وقرته (راجع شاهد على حرب 1967 م ص 61 ، 156) وبهذه الإجراءات التى لا تتفق مع الاستعداد الحقيقى والجاد لمواجهة عدوان إسرائيل تلقت مصر الضربة الأولى والقاضية (راجع لعبة الأمم وعبد الناصر 317 ، 325) ..

بل الأنكى من ذلك أن القائد العام قد علم بخروج الطائرات الإسرائيلىة من قواعدنا فى إسرائيل لضرب مصر ، وكان ذلك البلاغ قد وصل إلى غرفة العمليات فى الاسماعيلية عن طريق اتصال مباشر من قيادة الدفاع المشترك فى الأردن ، الذى كان قائدها فى ذلك الحين الفريق " عبد المنعم رياض " وكانت تلك الإشارة وصلت على النحو التالى : إن الرادارات قد التقطت طلعات من مطارات إسرائيل بأعداد ضخمة ، وذلك قبل وصول الطيران الإسرائيلى إلى الحدود بعشرين دقيقة فى 5 يونيو 1967 م (راجع الطريق إلى بيت المقدس 440/3 ، 441 ط ثانية) ..

ولهذا نكر هؤلاء المؤرخون أن أكثر قرارات جمال عبد الناصر وأتباعه كانت تسيير وفق الخطة اليهودية ، وتصب فى خدمتها ، وتحقق أهدافها ..

وفسروا ذلك بأن أجهزة الاستخبارات الأمريكية والبريطانية واليهودية اختارت هذا الزعيم لأنه وحدة المؤهل لذلك ، فهو تربي وهو ابن ثمانى سنوات فى حى اليهود بالقاهرة حتى وصل إلى رتبة ملازم أول بالجيش المصرى .. وفى ضوء هذه الفترة حاولوا تفسير علاقته " بإيجال يادين " ، (وإيجال يادين) أثناء حرب 1948 م (1368 هـ) فى فلسطين من خلال هذه المعلومة ..

وحينما كان الصاغ جمال عبد الناصر أركان حرب الكتبية السادسة مشاة ضمن القوات المحاصرة فى بلدة "عراق المنشية" قطاع القالوجة كان يتحدث عبر خطوط الجبهة مع اليهود المحاصرين للفالوجا ، وكان يتلقى هدايا البرتقال والشيكولاتة من " إيجال يادين " اليهودى الذى كان رئيساً لأركان حرب جنوب فلسطين ، وقد اعترف بذلك " إيجال يادين " حينما كان نائباً لرئيس وزراء اليهود على مائدة المفاوضات أثناء زيارة الرئيس السادات للقدس عام 1977 م (1398 هـ) (راجع الطريق إلى بيت المقدس 411/3 ط ثانية) ..

والحاصل أن هؤلاء المؤرخين يرون أن نكبة العرب فى عام 1967 م تمت بداية ونهاية بيد الحكام العرب . بقصد أو بغير قصد - وهم الذين مكثوا اليهود من الانتصار واقتصاب مزيد من الأراضى الفلسطينية . للمراجعة :-

- 1- لعبة الأمم .. مايلز كوبلاند .. تعريب مروان خير .. بيروت 197 . م .
- 2- ثورة يوليو الأمريكية .. علاقة جمال عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية .. محمد جلال كشك .. الزهراء . القاهرة 1408 هـ .
- 3- كلمتى للمغفلين .. للمؤلف والناشر السابق .
- 4- لعبة الأمم وعبد الناصر .. محمد الطويل ، المكتب المصرى الحديث .. القاهرة .
- 5- لعبة الأمم والسادات .. محمد الطويل .. الزهراء .. القاهرة .
- 6- الطريق إلى بيت المقدس د. جمال عبد الهادى .. دار التوزيع والنشر .. القاهرة 1422 هـ .

ثم جاءت نكبة الاستسلام المشهورة في "كامب ديفيد" في سبتمبر 1978 م (1399 هـ) ، حيث اتفق فيها الرئيس المصري (محمد أنور السادات) مع أمريكا واليهود على التسليم لليهود باغتصاب فلسطين رسمياً ، وإقرارهم بإقامة دولتهم على ترابها ، وعلى أشلاء أصحابها الشرعيين .

كما اتفقوا على أن لا تقوم مصر بأية حرب ضد اليهود لتحرير فلسطين ، بل لا تقوم مصر بأى تهديد ضد اليهود .. وهاكم بعض موادها :

في المادة الأولى : تنتهى حالة الحرب بين الطرفين - مصر واليهود - ويقام السلام بينهم عند تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة ..

وفي المادة الثالثة : يقر الطرفان ويحترم كل منهم سيادة الآخر ، وسلامة أراضيهِ واستقلاله السياسى ..

يتعهد الطرفان بالامتناع عن التهديد باستخدام القوة ، أو عن استخدامها ضد بعضهم بعضاً على نحو مباشر أو غير مباشر ، وتحل كافة المنازعات التى تنشأ بينهما بالوسائل السلمية ..

وبهذا أقرت مصر أن فلسطين أرض لليهود ، لهم الحق فى الاستقلال بها والسيادة عليها .. كما تعهدت مصر بإلغاء الجهاد المسلح فى سبيل الله ضد اليهود بل تعهدت بإنهاء مجرد التهديد به ..

بل اتفق الطرفان - كما جاء فى الوثيقة - بجعل العلاقات طبيعية بين شعبيهما .

ونحا هذا النحو حكام العرب فى (مدريد) ، (وواي ريفر) ، و (واي بلانتيشن) وغيرها .

وحاصل هذه المرحلة الثالثة :

أن اليهود بعدما أصبح لهم قوة ودولة ، وتساندهم الدول الكبرى ، ووقوف الفلسطينيين وخدمهم أمامهم توسعوا فى اغتصاب أرض فلسطين قرية بعد قرية ، ومدينة بعد مدينة ، بعدما قتلوا من قتلوا من أهلها ، وطردوا ما تبقى منهم إلى دول الجوار .

فهل يا قوم ، باع الفلسطينيون أرضهم فى هذه المرحلة أيضاً ؟

المرحلة الرابعة :

منذ معاهدات الاستسلام المذكورة آنفاً إلى اليوم .. عام (1431 هـ . 2010 م)

وبعد هذا الاستسلام والذل العرى فردياً وجماعياً هل قنع اليهود بما احتلوه من فلسطين ؟

والجواب : كلا ، فخطتهم السرية والمعلنة هي احتلال فلسطين كلها ، والامتداد داخل الدول العربية المجاورة واحتلالها .. ومنذ أن أقام اليهود حكومة لهم في فلسطين وهم ينفذون هذه الخطة بالقوانين الجائرة التي يسنونها حيناً ، وباجتياح المدن والقرى الفلسطينية وذبح أهلها وطرد ما تبقى منهم حيناً آخر .

فبالقانون اليهودي لا يستطيع الفلسطينيون بناء منازلهم على أرضهم وفي قراهم إلا في الحدود التي حددها لهم الإسرائيليون ..

وفي هذه الحدود لا يبنى الفلسطينيون منازلهم إلا بترخيص من الإدارة اليهودية المختصة، وهي لا تعطى أى فلسطينى ترخيص لبناء منزله ، وإذا استعجل وتجرأ وبنى منزله بغير ترخيص قامت بهدمه وإزالته .

وبالقانون اليهودي الجائر تقوم الإدارة اليهودية بمصادرة الأرض الفلسطينية ، وخاصة في التلال والصحراء حول القرى والمدن الفلسطينية بدعوى أنها أراضى أميرية، حتى يضيق عليها الخناق ولا تتوسع .

بل تقوم بمصادرة بيوت الفلسطينيين وقراهم .. ففى قرية "سلوان" العربية الواقعة على حدود القدس الشرقية يتحركون من منزل إلى آخر ، يحتلونه بوضع اليد ، ويمنعون أهله من أخذ أمتعتهم وأموالهم أى يغتصبونها أيضاً ، مثلما حدث للفلسطينى "موسى عباس" ؛ حيث احتلوا منزله ومنعوه من أخذ أمتعته .

وكندلك حدث فى حى "الشيخ جراح" وفى منازل بجوار مبنى "بيت الشرق" فى القدس الشرقية حيث طرد اليهود الفلسطينيين من منازلهم ومنعوه من أخذ أمتعتهم وأموالهم ، بدعوى أنها واقعة على أرض موقوفة .. وقد حدث هذا عام 2002 م .

وصادروا فى عام 1978 أراضى قرى عربية هي "الحبيب" ، "ويبدو" ، "وبيت اجزى" وبنوا عليها مستوطنة "جيبون حداشاه" وهكذا فعلوا ، ويفعلون فى فلسطين وهكذا فعلوا ، ويفعلون فى فلسطين كلها .

ذكر المحامى الفلسطينى "رجا شحاده" طريقة اليهود فى اغتصاب أراضى وبيوت الفلسطينيين على النحو التالى :

الخطوة الأولى : تعطيل الطريقة التى يستطيع الناس بها إثبات ملكيتهم للأرض بالنسب القانونية المعتادة .. ثم تعلن الإدارة اليهودية من جانبها فقط بأن الأرض هي أرض حكومية أو أميرية .

وذكر مراسل جريدة "معاريف" اليهودية : انه منذ احتلال القدس وتوحيدها عام 1967 م انتقل للسكن في الأحياء العربية (130) عائلة يهودية.. (كذا) ولكن بعد عدة اشهر سينضم اليهم (130) عائلة اخرى ، سيقومون في حي "راس التين" ، وقد سمى الموقع اليهودي "حي الزيتون" ، وبالتالي تصبح ملكاً لهم .

الخطوة الثانية : ثم تعلن ان ما كان بيئة مقبولة لإثبات ملكية الأرض لم يعد مقبولاً . وبالتالي فإن إيصالات الضرائب على الأرض ليست مقبولة ، وحجج البيع ليست دليل ملكية ، ومستندات تسجيل الملكية من أيام الاحتلال البريطاني ، بل من أيام الحكومة العثمانية لم تعد مقبولة ؛ وبالتالي أصبح من المستحيل إثبات ملكية الأرض ، ومن هنا يفتصبها اليهود .

وخطوة أخرى : وأراضى صحراوية يعلم اليهود صعوبة زراعتها لندرة الأمطار وتعذر وجود الماء فيها فتتندر الإدارة اليهودية أصحابها الفلسطينيين إن لم يزرعوها تصبح أميرية ، وبالتالي يفتصبها اليهود أيضاً ..

وطرق أخرى كثيرة ملتوية وجائرة لاغتصاب الأرض والبيوت.

وفي عام 2002 م زحف اليهود على ما تبقى للفلسطينيين من أرضهم وحاصروهم وقتلوا رجالهم ونساءهم وأطفالهم وخاصة المذتبيين منهم ، وهدموا منازلهم بصورة وصفها غير المسلمين بأنها مجزرة فظيعة ، تفوق كوارث الزلازل والبراكين مثلما حدث في مخيم "جنين" و "رام الله" وغيرهما. حيث هدموا البيوت على أهلها ومنعوا عنهم الطعام والشراب حتى أكلوا أوراق الشجر، وشربوا مياه أبوالمهم :

كما منعوا عنهم العلاج وسيارات الإسعاف من نقل الجرحى والنساء الحوامل من العلاج والولادة في المستشفى ، لأجل القتل وحشية ، حتى كثر عدد الشهداء ، وتعفنت أجسادهم في الشوارع ، وتحت أنقاض منازلهم .

ولا يزال اليهود إلى يوم الناس هذا يصادرون الأراضي- زراعية أو صحراوية- ويصادرون البيوت، ويطردون أهلها منها ويغتصبونها .

وابسط ما يقال للذين يزعمون أن الفلسطينيين باعوا أرضهم :

هذا الجدار الذي يقيمه اليهود فوق المساحة الصغيرة المسموح بها للفلسطينيين من أرضهم، ويمتد عليها كثعبان وحشى ضخم يتلوى عليها؛ ليلتهم الأرض والقرى والزراعات .

صادر اليهود بهذا الجدار- في مرحلته الأولى وحدها - من أراضي الضفة الغربية وغزة مئات الآلاف من الدونمات من الأرض ، كما اغتصبوا أراضي (17) قرية فلسطينية، وعزلوا

أهلها عن أراضيهم ، فلم يستطيعوا الوصول إليها لزراعتها ، كما جرفوا ما مساحته (11ر005) دونم من أرض الفلسطينيين ، وقلعوا (883) ألف شجرة ، وصادروا (30) بئر مياه من محافظتى قلقيلية وطولكرم وحدهما ، وهى آبار معروفة بطاقتها التصريفية العالية ، ودمروا البنية التحتية لقطاع المياه من مضخات وشبكات الأنابيب ؛ مما يؤدي إلى فقدان بعض القرية الفلسطينية لمصادرها المائية بالكامل .

هذا فى مرحلة الجدار الأولى وحدها ، فكيف بمراحله التالية ؟ :

إن هذا الجدار لم يبته اليهود لأنهم كما يزعمون ، بل بتوه خصيصاً لإتمام مسلسلهم وخطتهم فى مصادرة أرض فلسطين كلها وطرده أهلها الشرعيين منها . (1)

وقد أعلن المسئولون أن ذلك كله تنفيذاً لخطة اليهود السرية التى تقضى بطرد الفلسطينيين من أرضهم بطريقة القتل ، والإبادة ، وهدم المنازل والطرده إلى دول أخرى وغيرها. (2)

ذكر اليهودى "ماكسيم ماجلان" سكرتير عام الحركة الدولية للسلام فى محاضرة ألقاها بمعهد الدراسات الفلسطينية فى واشنطن (أمريكا) : إن الهدف من ذلك اغتصاب ما تبقى من أراضى الفلسطينيين "الضفة الغربية وقطاع غزة" وطرده أهلها الفلسطينيين إلى دول الجوار كالأردن.. تمهيداً لتحقيق حلمهم "إسرائيل الكبرى" من الضرات إلى النيل ، ومن الأرز إلى النخيل . وذكر : أن الأمريكيين بقيادة الصليبي "جورج بوش بن جورج بوش" يؤيدون هذه الخطة لإحكام السيطرة على الدول العربية ، وخاصة دول البترول فى الجزيرة العربية وبلاد الشام ، وضم ما استطاعوا من أراضيها إلى إسرائيل. (3)

وفي السنتين الأخيرتين ذكرت الأخبار أن الكنيسة اليونانية باعت ممتلكات لها ، وكانت فضيحة ارتكبتها المسيحيون .. أليس بعضهم أولياء بعض .

وحاصل هذه المرحلة الرابعة :

إن الفلسطينيين لم يبيعوا أرضهم ، ولم يقرطوا فيها قط ، بل اغتصبت منهم بشتى ألوان الاغتصاب والإجرام كما رأينا .

(12)

(1) راجع الصحف العربية عام 2003 م وما بعدها ، ومنها : جريدة الأهرام المصرية فى 2003/8/19 م .
 (2) الأخبار المصرية 2002/4/26 م راجع فى هذا كله الصحف الصادرة فى الدول العربية فى هذا التاريخ 2002 م
 (3) أخبار اليوم 1423/2/7 هـ - 2002/4/20 م .

هل قصر الفلسطينيون في حماية أرضهم ؟

ولا يحسب الناس أن الفلسطينيين قصروا في حق أرضهم أو تركوها فريسة سهلة لليهود ، بل جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم للحفاظ عليها وحمايتها ، وطرد اليهود منها منذ أن أدركوا ما يدبره اليهود لهم إلى يوم الناس هذا، فلا زالوا إلى اليوم يروونها بالأموال والشهداء ، بما يثبت صمودهم ، وصدق تضحياتهم .

فمنذ أن أدرك الفلسطينيون أطماع اليهود في أرضهم ، ووقوف الدول الكبرى بجوارهم قاموا بالحركات الجهادية العارمة التي انطلقت من المساجد في القدس ويافا وحيقا وغيرها ، وقدموا فيها من الأموال والشهداء الكثير، رغم قلة إمكاناتهم الحربية والمالية ، مثلما حدث في عام 1929 م حتى يوم الناس هذا (1431هـ . 2010 م).

وفي إحداهما عام 1935 م استشهد شيخ مسجد حيفا الإمام عز الدين القسام رحمه الله. (1)

وفي أخرى عام 1936 م اضطرت اليهود تحت ضربات المجاهدين إلى حجر مستوطناتهم إلى مدينة (القدس) التي ضاقت بهم ، وأصبح أمر إقامتهم فيها عسيراً، كما نشرت برقيات الصحف يومئذ .

وإن ننسى فلن ننسى أحد شهداء هذه المعركة ، وهو الشيخ " قاسم محمد الشايب " من علماء الإسلام الذي استشهد في " بلعا " ، ولم يجدوا في ثيابه إلا مصحفاً كريباً ، و12 ملبماً مصرياً لا غير ، كان هذا كل رأس ماله (2) !!!

قال الأستاذ عارف العارف متحدثاً عن معركة "بيت سوريك" الفلسطينية :

رايت بأم عيني ، وأنا أستنصر الفلسطينيين لتصرة إخوانهم . ابناً يتوسل إلى أبيه الشيخ كي يسمح له بالذهاب إلى ميدان الجهاد بدلاً منه ، وأبى الشيخ الأب إلا أن يذهب هو ، ثم عاد واستجاب لرجاء ابنه وسلمه بندقيته وقال : اذهب يا بني وعين الله ترعاك .

(1) هو الشيخ محمد عز الدين عبد القادر القسام .. ولد في بلدة جبلة .. ؛ اللاذقية بسوريا في 1288 هـ (1871 م) .. درس بالأزهر وتولى التدريس بالجامع الكبير ببلدته .. جاهد الفرنسيين حين احتلوا سوريا ؛ فحكموا عليه بالإعدام .. وهاجر إلى فلسطين وسكن في ضاحية " البياجور " "قرب حيفا" .. وتولى أعمالاً دينية بها ، أهمها : الخطابة والتدريس بجامع الاستقلال ، وفيه أسس حركته الجهادية سراً حتى نضجت ، ورفعت راية الجهاد ضد اليهود .. وهي أول حركة فلسطينية سرية مسلحة تقاتل اليهود ، أسسها وقادها شيخ أزهرى ، وانطلق بها من المسجد .. ولما قال له الحاكم الإنجليزي لحيفا : يا شيخ ، إنك متحرك ، وذو نشاط مناوئ لنا .. قال الشيخ بعد أن أخرج المصحف من جيبه : إن هذا الكتاب العظيم يأمرنا بالجهاد ولا نخالفه .

(2) جهاد شعب فلسطين ص 2.3 ، الطريق إلى بيت المقدس ص 97 .

قال الأستاذ عارف : وإنى لأقسم غير حائث أنه لم يتخلف عن القتال سوى الضعفاء والمرضى والذين لم يجدوا دابة تحملهم أو سيارة تنقلهم .(1)

ووقفت بريطانيا بقواتها الحربية والبشرية مع اليهود كعادتها في كل صدام بين اليهود والعرب ، فحشدت خمسين ألف جندي بريطاني لضرب الفلسطينيين وتأديبهم . وعقدت لهم المحاكم العسكرية ، وسنت لهم قانون الطوارئ ، واتخذت إجراءات وعقوبات إجرامية ضد المجاهدين ، فأحرقت القرى ، والأحياء من المدن ، ودمرت المنازل ، ونهبت ما فيها ، وأعطت لنفسها الحق في اغتصاب كل بيت ، أو بناء ترى أن رصاصة ، أو قنبلة انطلقت منه ، أو تامر بهدمه ، أو تتصرف فيه كيفما شاءت .. وذكر المراقبون أنها نسفت أكثر من خمسة آلاف منزل ، ليعيش أهلها بدون مأوى .

واعتقلت المجاهدين والمدنيين العزل من أهل فلسطين ، وسأقت الكثير منهم إلى الإعدام على أعواد المشانق ، وخاصة من وجدت لديهم طلقة رصاص ، أو ذخيرة ولو فارغة . وبلغ عدد الذين أعدموا شنقاً في سجن عكا وحده (148) شهيداً ، وعدد المحكوم عليهم بالمؤبد أكثر من ألفين ، وعدد المعتقلين خمسين ألفاً . ووافق هذا كله التعذيب الشديد كالكي بالانثيران ، وخلع الأظافر ، وحرق اللحى والشوارب.. الخ(2)

وشردت القيادات الفلسطينية خارج فلسطين ، مما اضطر مفتى فلسطين الكبير الشيخ محمد أمين الحسيني رحمه الله إلى اللجوء إلى لبنان ، ثم إلى غيرها .

لكن إخواننا الفلسطينيين صمدوا صمود المؤمنين ، ولم تستطع بريطانيا مع قوتها الحربية الكبيرة واعتداءاتها الإجرامية المتكررة عليهم أن توقف حركاتهم الجهادية إلا عن طريق الخداع حيناً ، واستخدام عملائها من الحكام العرب حيناً آخر ، وللأسف المخزي استجاب لها الحكام العرب ، فأذاعوا نداءهم للمجاهدين في أكتوبر 1936 م بوقف جهادهم ضد بريطانيا واليهود (11) على النحو التالي :

القدس .. بواسطة رئيس اللجنة العربية العليا :

لقد تأمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين ، فنحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب ، والأمير عبدالله ، ندعوكم للإخلاق إلى السكينة ، حقناً للدماء ، معتمدين على حسن نوايا

(1) نكبة فلسطين 259 ، 26 .. فلسطين الأم وأبنا البار ص 316 - عيسى خليل نقلا عن نكبة بيت المقدس لعارف العارف .

(2) الوجيز في القضية الفلسطينية ص 24 ، 25 ، القضية الفلسطينية ص 125 أكرم زعيتر .

صديقتنا الحكومة البريطانية ، ورغبتها العلنة في تحقيق العدل . (1) (11199) ، وثقوا اننا ستواصل السعى في سبيل مساعدتكم (2) .. أ هـ

وحينئذ نجح الخداع البريطاني وأثمر ثمرته ، فتوقف المجاهدون تلبية لنداء الحكام العرب الذين خانوهم ، استجابة لصديقتهم بريطانيا ، بينما اليهود لم يتوقفوا عن كيدهم ومطامعهم ، فهجراتهم إلى فلسطين مستمرة ، واعتداءاتهم على الفلسطينيين لا تزال قائمة .

(13)

ولم يجد الفلسطينيين مفرًا من استمرار الجهاد في سبيل الله ، وكانت لهم بطولات إيمانية رائدة ، رغم قلة عددهم ، وضآلة عتادهم وتدريبهم ، ولا زالوا إلى اليوم يقدمون الشهداء تلو الشهداء ، فداءً لدينهم ووطنهم ، ولازلنا نسمع أنباء عملياتهم الاستشهادية التي أزهبت أعداءهم ، وأبهرت العالم .

ومما يشرح الصدر أن المجاهد قبيل أن يذهب للشهادة في سبيل الله يحاوره قادته محاورة مسموعة ومرثية ، يبائع فيها ربه على الموت في سبيله ، ويحث إخوانه على الصبر والثبات ، وقد علق على جبهته لوحة من القماش مكتوب عليها " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ثم يودع أباه ، وأمه ، وأقاربه ، وإخوانه ، ويذهب ليموت في سبيل الله !!! مثل الشهيد "محمد فرحات" من كتائب عز الدين القسام ، وغيره كثير .. كثير .

ويلغ من إقبال رجال ونساء فلسطين على الاستشهاد أن تبهم صبيانهم - دون البلوغ - فتسابقوا هم الآخرون على الاستشهاد ، حتى اعترضهم المسئولون الفلسطينيون ومنعواهم ؛ حفاظًا على الثروة البشرية للمجاهدين ، وإدخالها ليوم آت لا ريب فيه .

قال رئيس المخابرات الفلسطينية اللواء أمين هنيدي : إن قوات الأمن اعترضت سبيل (20) صبياً كانوا في طريقهم لتنفيذ هجمات على مستوطنات اليهود في القطاع ، وبين هؤلاء خمسة أطفال التقطوا صوراً لأنفسهم أمام ملصق لقبة الصخرة ، وتركوا رسائل لذويهم تفيد بأنهم ذاهبون للشهادة ، وقد أعادتهم قوات الأمن إلى بيوتهم .

هذا مما جعل حركة حماس تصدر بياناً تصف هذه الظاهرة بالخطيرة ، قالت : إن دماء شهدائنا يجب أن تصان ليوم يشتد فيه عودهم ، ودورهم في الجهاد لم يأت بعد .. الخ . (3)

(1) الاستفهام والتعجب من عندنا .

(2) الطريق إلى بيت المقدس 102/2 ، جهاد شعب فلسطين 208 ، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين

. 23

(3) جريدة الأهرام القاهرية 2002/4/30 م .

والملفت للتظاهرة كلما نال منهم أحد الشهادة أقاموا الأفراح ، وتتحول سرادقات العزاء إلى سرادقات للتهاني ، واستقبال المهنيين ، كأنها حفلات أعراس. مثلما حدث عندما استشهد اللواء أحمد مفرج أبو حميد قائد الأمن الوطنى الفلسطينى فى جنوب قطاع غزة . (1)



المرأة فى صف الجهاد والاستشهاد

وقد ضريت المرأة الفلسطينية - أم الشهداء - أروع الأمثلة فى الصبر والفداء ، فوقفت بجوار الرجل فى صف الجهاد والاستشهاد ثابتة صابرة .

فهذه عروس شابة لاحظت حزن زوجها حين لم يجد بندقية يشارك المجاهدين بها أمجادهم ، فباعت بيتها التى ورثته عن أبيها ، واشترت بثمنه ذخيرة وسلاحاً ، وشجعت زوجها "محمود شحادة النابلسى" على اللحاق بالثورة ، وأسهم بشجاعة وبطولة حتى استشهد فى معركة "وادي الطواحين" يوم 13 يوليو 1936م (1) .

وهذه الأم التى أعادت فى عصرنا الحاضر (القرن الخامس عشر الهجرى) ذكريات الخنساء - رضى الله عنها - ، فعملت أولاً على تربية ابنائها(2) تربية إسلامية جهادية ؛ حيث أروضتهم كراهية اليهود وأطماعهم فى فلسطين ، وغرست فيهم روح الجهاد والاستشهاد ، لتحرير الأرض من دنسهم .

وبذلك أعدت الجيل الجهادى لتحرير فلسطين من اليهود .. والأمثلة على ذلك كثيرة ، نذكر منها :

أ - ذكرت إحدى النساء أن أمها كانت تقول لها : إن الفتى لا يكون زَلَمَةً (أى رجلاً) حتى يعتقل أكثر من مرة أو يستشهد ، وذكرت أن أمها قالت للجنود الصهاينة يوماً : نحن وإياكم فى حرب إلى يوم الدين ، ولم يعد لدينا ما نخاف عليه .

قالت : هكذا ربتنا أمنا ، وهكذا نربي أبناءنا .

وأم فلسطينية أخرى أطلقت على ابنها اسم (حاجز) بعد أن حال الحاجز اليهودى الاحتلالى بينها وبين أن تضع مولودها هذا فى المستشفى ، فأطلقت عليه ذلك الاسم . كما تقول هى . لكى يتذكر عندما يكبر كيف كانت تعاني الأمهات من العدو الصهيونى . (3)

ب - هذا من جهة ، ومن جهة أخرى قامت المرأة الفلسطينية بتقديم أولادها - أفلاد أكبادها - ذكوراً وإناثاً للجهاد والشهادة فى سبيل الله فرحة بذلك .. فهى أعدتهم لهذه الغاية .

(1) جهاد شعب فلسطين ص 221 .

(2) كما قامت المرأة الفلسطينية الصابرة بتكثير نسلها لإعمار الأرض ، وتكثير الجند والمجاهدين ، ومقاومة العدو الصهيونى بهذا السلاح الخطير ، الذى يربع اليهود ويتحدثون عنه وعن خطره عليهم حيناً بعد آخر . وهذا نوع من الجهاد فى سبيل الله ، وخاصة فى مثل هذا الحال الجهادى .

(3) راجع جريدة أفاق عربية 2002/3/27 م .

فهذه أم استشهاد أبنائها الثلاثة فقال لها الناس : لقد استشهدوا ولم تتحرر فلسطين ..
فقالت لهم : أنا لا أقدم أبنائي للأرض ، بل لله .. وفلسطين سيحررها الله إن وقينا حقه . (1)

ج - بل الأم تودع أبنها الذاهب للشهادة في سبيل الله مزعومة ، فإذا بلغت نبأ فوزه بالشهادة
في سبيل الله زغردت أكثر ، ووزعت الحلوى مستبشرة ، وأخريات يهنئنها على هذا الشرف
العظيم !!

فهذه "أم نضال فرحات" ظهرت مع أبنها الاستشهادي محمد فتحى فرحات في شريط
فيديو قبل تنفيذه للعملية وهى تودعه ، ثم كتبت رسالة نشرتها الصحف تناشد فيها أمهات
فلسطين "ألا يبخلن على الله بفلذات أكبادهن ، فوالذى نضى بيده لهو أرحم منا عليهم، فلا
تبخلن على أبنائكن بالجنة " .

وتهدد رئيس الحكومة الصهيونية "رئيل شارون" قائلة : يا شارون إن وراء محمد الأفاً مثله ،
ينتظرون بفاغ الصبر ويتحرقون شوقاً للجهاد في سبيل الله . (2)

وهاهى أم فلسطينية أخرى لديها ثلاثة أبناء فقط ، وقد أتوا لها بأكبرهم سنأ (أربعة عشر
عاماً) شهيداً فزغردت وتمنت أن يستشهد باقى إخوته ، وخلال شهرين فقط استشهد ولدها
الثانى (اثنا عشر عاماً) فصارت تهلل وتبارك وتوزع الحلوى ، لأن الله استجاب دعاءها . (3)
ونحو ذلك كثير .. كثير ..

❖ وهذه امرأة قروية تصف إلى جانب جثث الشهداء ، فتشير بيدها إلى إحدى الجثث : إنه
يشبه ابنى ثم تترك الجثة لتدخل القرية وهى تزغرد ، فقد تبين لها أن الشهيد كان ابنها!! (4)
❖ وأم الشهيد " سعيد عريضة " عندما رأت النساء يبكين ، وهن يبلغن نبأ استشهاد أبنها
قالت : الحمد لله الذى شرفنى باستشهاده ، لقد اختار سعيد العيش مع الملائكة (5)

❖ وأم الشهيد " سليم رمضان " رفضت لبس السواد قائلة : الأسود ٩٩ .. ولماذا لبس السواد ؟
.. لقد قضى ابنى شهيداً ، والشهداء عند ربهم يرزقون ، فهم لا يموتون وإن اختفت صورهم (6)

(1) أفاق عربية 2002/3/28 م .

(2) راجع جريدة أفاق عربية فى 14/1/1423 هـ . 2002/3/28 م .

(3) راجع الجريدة السابقة .

(4) الطريق إلى بيت المقدس 98/1 .

(5) راجع الكتاب السنوى لحركة فتح 469 .. الثورة الفلسطينية ، محاولة للفهم 64 ، 65 .

(6) الكتاب السنوى لحركة فتح 740 .. الثورة الفلسطينية ، محاولة للفهم 65 .. محمد جلال كشك .

ولن ننسى موقف أم الشهيد على ابو شاويش- وهو طفل لم يبلغ العاشرة من عمره واكبر ابنائها الأربعة - الذى أصابته رصاصة فى قلبه أمام عينيها ، فحزنت ظناً منها أنها مجرد إصابة ، وعندما علمت أنها الشهادة هللت وكبرت ، ونشرت فرحتها بين ربوع الحى كله ، وهى تتمنى استشهاد باقى ابنائها. (1)

وكانت النساء يقفن بجوار المجاهدين ، يمدونهم بالذخيرة ، ويقفن فى صف المعركة يقاتلن اليهود مثلما حدث فى (دير ياسين) حيث ثبتت المرأة بجوار المجاهدين ، ولم تهدأ معركتهم ضد اليهود حتى نفذت ذخيرتهم ، وعندئذ تمكن اليهود منهم ، واستحلوا القتل والتمثيل بأجسامهم رجالاً ونساءً ، وكان بين النسوة خمسة وعشرون حاملاً قتلن اليهود كلهن بالرصاص بعد أن بقروا بطونهم .

ومما حدث فى هذه المعركة التاريخية أن " محمد الحاج عايش " قاتل بشجاعة حتى استشهد ، وكانت والدته السيدة " حلوة زيدان " ترقبه وتجاوره ، فلما استشهد ، زغردت لاستشهاده ، فاستلم والده الحاج عايش بندقيته ، وقاتل حتى استشهد ، وهناك لم يعد فى بيتها احد ، فتسلمت البندقية وقاتلت حتى استشهدت (2) .

❖ وفى " نابلس " ارتدت المجاهدات الفلسطينيات - من طالبات الجامعة - الأكفان البيضاء ، وسرن فى مسيرة مشهودة عبّرن فيها عن استعدادهن للقيام بالعمليات الاستشهادية كالمجاهدين من الرجال .

❖ وقامت المجاهدة " إيمان غزاوى " (عمرها 24 عام) بعد ظهر الجمعة 2001/8/3 بمحاولة تفجير حقيبة تحتوى على عبوات ناسفة فى أحد مواقف الحافلات فى " تل الربيع " (الذى أطلقوا عليه تل أبيب) إلا أن اليهود اعتقلوها قبل أن تفجر الحقيبة .

قامت إيمان بهذا مع أن لديها طفلين أحدهما : جهاد وعمره ستة أعوام ، وسماح وعمرها (أربعة) سنوات.

قال زوجها " شاهر بركات " : إن إيمان تركت أولادها لتقوم بهذه العملية بعدما شاهدت جنازة الشهداء الفلسطينيين الثمانية فى مدينة " نابلس " فى الأول من أغسطس عام 2001م(3)

(1) راجع أفاق عربية فى 14/1/1423 هـ . 28 /3/2002 م .

(2) الطريق إلى بيت المقدس ص 179 .

(3) راجع جريدة العربى الناصرى فى 21 جماد الآخر عام 1422 هـ 9/9/2001 م .

وسارت فتيات فلسطين المسلمات فى طريق الجهاد والاستشهاد فضرين أزوع الأمثلة التى اكدت انهن اكثر رجولة من حكام العرب القابعين فى أبراج شهواتهم .

فهذه "وفاء إدريس" طالبة كلية الطب عملت من خلال جمعية الهلال الأحمر لمساعدة أبناء وطنها فى جهاده ضد العدو الصهيونى ، إلا أنها لم تحتمل الإجراء اليهودى ضد أبناء وطنها الأبرياء ، فلبست جلباباً من المتفجرات ، وفى واحد من أشهر مطاعم القدس ، والذى ازدحم بالرواد فجرت وفاء نفسها ، ودوى صوت انفجار هائل تطايرت معه أشلاء الفتاة الفلسطينية "وفاء" ، وذهبت إلى ربها شهيدة ، وأملاحت معها بعدد كبير من اليهود (1) .

وفتاة استشهادية أخرى "دارين أبو عيشة" طالبة الجامعة فى "نابلس" ، استشهد أخوها وخطيبها برصاص العدو الصهيونى ، قامت هى الأخرى بعملية استشهادية ، وقضت ليلتها فى قراءة القرآن ، وخرجت من بيتها وهى صائمة ، وكتبت فى وصيتها التى أذاعتها قبل استشهادها :

إنها وهبت نفسها رخيصة فى سبيل الله ، لكن يعلم كل جبابرة الصهاينة أنهم لا يساؤون شيئاً أمام عظمة الله ، ومزة إصرارنا وجهادنا ، وليعلم الجبان اليهودى شارون (2) بأن كل امرأة فلسطينية ستنجب جيشاً من الاستشهاديين ، وإن حاول وأدهم فى بطون أمهاتهم على حواجز الموت ، وإن دور المرأة الفلسطينية لم يعد مقصوراً على بكاء الزوج والأخ والأب ، بل إننا سنتحول بأجسادنا إلى قتابل بشرية تنتشر هنا وهناك ؛ تدمر وهم الأمن الإسرائيلى " (3) .

وقالت أيضاً : إن عمليتها جاءت فى سبيل الله ، وانتقاماً لأشلاء إخواننا الشهداء ، وانتقاماً لحرمة ديننا ومساجدنا ، وانتقاماً لحرمة الأقصى ، وبيوت الله التى حولت إلى بارات ، يمارس فيها ما حرم الله ؛ نكاية فى ديننا وإهانة لرسالة نبينا (صلى الله عليه وسلم) (4) .

والطالبة الفلسطينية الأخرى: "آيات محمد لطفى الأخرس" طالبة الفلسطينية التى لم تكمل عامها (الثامن عشر) من عمرها ، لم تحتمل مجازر العدو الصهيونى ضد وطنها وأبناء وطنها ، فلبست أحزمة المتفجرات ، واقتحمت مركزاً تجارياً ، قد اكتظ باليهود فى مستوطنة "كريات يوفيل" بالقدس ، وفجرت جسدها الذى تطايرت أشلاؤه مع الانفجار ، وقتلت اثنين وأصابت ثلاثة وعشرين يهودياً .. (5)

(1) راجع جريدة أخبار الحوادث المصرية فى 1423/1/21 هـ الموافق 2002/4/4 م .

(2) أرئيل شارون - رئيس الوزراء اليهودى فى ذلك الوقت .

(3) الأهرام القاهرية 1423/2/10 هـ الموافق 2002/4/23 م .

(4) راجع جريدة أفاق عربية 1423/14 هـ الموافق 2002/3/28 م .

(5) راجع أخبار الحوادث المصرية 21 محرم 1423 هـ - 2002/4/4 م .

وقد رأيت وسمعت هذه الفتاة الشهيدة على شاشة تلفزيون "الجزيرة" القطرية الفضائي، تتلو نداءها ووصيتها قبل تنفيذ عملياتها، فنكرت أنها قامت بعمليتها في سبيل الله، تلبية لنداء فلسطين، وتلبية لنداء الأقصى الشريف، وقالت: أقول لحكام العرب: كفاكم تخاذلاً وتقاعساً عن أداء الواجب تجاه فلسطين، وخسئت الجيوش العربية النائمة التي تنظر عبر شاشات "التلفاز" على بنات فلسطين وهن يقاتلن، وهم في غفلتهم نائمون.

وأقول صيحتي هذه ليسمعها كل عريى مسلم أبى: واقصاه، واقصاه.. وافلسطين، وافلسطين.. الله أكبر.. والله أكبر على الظالمين، وإنها لانتفاضة حتى النصر. أهـ

واستشهادية أخرى "متديب خليل" بنت العشرين عاماً، تمتمقت حزاماً ناسفاً، وفجرت نفسها بعد ظهريوم الجمعة عند مدخل سوق "محنى يهودا" أكبر سوق شعبية لليهود في القدس الغربية، فقتلت ستة من اليهود وجرحت عشرات، وكادت تقتل رئيس بلدية الاحتلال اليهودي بالقدس، وهو المتطرف "يهود أولرت".

خرجت هذه الفتاة من بيتها في قرية "بيت فجار" شمال مدينة الخليل، ثم عادت إلى أمها وعلى وجهها ابتسامة عريضة وقالت بصوت مبهج: هذا المساء سيأتى أناس لكى يطلبوا يدى منك، فأرجو أن تحتفى بهم بما يليق بمنزلتى عندك، وابتسمت الأم وتم تأخذ كلامها مأخذ الجد، وحثتها على الإسراع لتلحق بزميلتها التي تنتظرها على باب المنزل؛ ليذهباً سوياً إلى مشغل الخياطة الذى تعمل به قرب بيت لحم.

لكن الأم أدركت ماذا تعنى ابنتها بعدما علمت فى المساء أنها فجرت نفسها، وذهبت إلى ربهها شهيدة.. لتكون عروساً فى الدار الآخرة. (1)

واستشهادية أخرى "إلهام الدسوقي" التي فجرت نفسها أثناء اقتحام قوات الاحتلال اليهودي لمنزلها فى مخيم "جنين" فقتلت ضابطين إسرائيليين، وجرحت عشرات الجنود الذين أذهلتهم المفاجأة. (2)

واستشهاديات أخريات سرن فى طريق الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله، وفزن بالشهادة فى سبيل الله، وفضحن خذلان الرجال فى وطننا العربى والإسلامى، رحمهن الله وأمثالهن من بنات الإسلام رحمة واسعة.. اللهم آمين.

(1) جريدة الأهرام فى 1423/2/10 الموافق 2002/4/23 م.

(2) الأهرام فى 1423/2/10 هـ الموافق 2002/4/23 م.

(14)

أجل ، كان دفاع الفلسطينيين عن أرضهم حامياً ، وقتالهم اليهود كان شديداً ، ولم يعجزهم أمام اليهود إلا نقص السلاح والذخيرة ، وخذلان العرب لهم ، حتى قال "مناحم بيجن" قائد عصابة الأرغون التي اشتركت في مجزرة "دير ياسين" يتحدث عن دفاع العرب عن قريتهم : إن نارهم كانت حامية ، قاتلة ، وقد اضطر اليهود أن يحاربوا العرب من شارع إلى شارع ، ومن دار إلى دار (1)

وهامو الجنرال البريطاني " ولسون " وكان قائداً في بعض معارك فلسطين يشهد قائلاً عن خمسمائة من ثوار عرب فلسطين يقومون بحرب العصابات : لا يمكن التغلب عليهم بأقل من فرقة بريطانية كاملة التسليح .

ووجه القائد الألماني " هتلر " رسالة إلى ألمان السويد عام 1936 م قال فيها :

اتخذوا يا ألمان " السويد " من عرب فلسطين قذوة لكم ، إنهم يكافحون إنجلترا واليهودية العالمية معاً ببسالة خارقة ، وليس لهم في الدنيا نصير أو مساعد ، أما أنتم فإن الدنيا كلها من ورائكم (2)

وقال الرئيس المصري جمال عبد الناصر في خطابه لأهل فلسطين :

إنى أريد أن تعرفوا أن كل ما قيل من أن أهل فلسطين لم يحسنوا الدفاع عن وطنهم كلام قصد به الخداع والتضليل ، لقد جربتمكم بنفسى ، وأنا أعرف أكثر من غيرى حقيقتكم ، إن الذين قاتلوا منكم معى قاتلوا بشرف ، كذلك عرفت أهل فلسطين بنفسى ، ورايتهم بعينى ، وليس ذنبهم أنهم لم يكن بأيديهم سلاح وكانت أيدي أعدائهم مليئة به. (3)

وقال شاهد المعركة اللواء الركن / محمود شيت خطاب - العراقي المعروفى - : وأشهد أن الفلسطينيين كانوا جنوداً بكل ما فى الجندية من معانى الضبط والنظام والتضحية والفضاء ، وكانوا ملئ العين قدراً وجلالاً وبطولة وشجاعة .

وقال أيضاً : ولست أنسى ما حييت منظر المجاهدين الفلسطينيين وهم يطاردون فلول الصهاينة المنسحبين عن مدينة جنين البطلة وعن قراها العربية ، لقد كانوا يسابقون رجال

(1) الطريق إلى بيت المقدس ص 180 ، 181 .. جهاد شعب فلسطين 438 - الثورة لمناجم بيجن ص 163
 (2) جهاد شعب فلسطين ص 178 .. والطريق إلى بيت المقدس ص 91 .
 (3) فى خطابه فى غزة ، عيد الفطر سنة 1956 م .. راجع جهاد شعب فلسطين ص 43.

الجيش العراقي في مطاردة شديدة جداً للعدو ، ويومها كان هتافهم يتعالى : سيف الدين الحاج أمين، نحن بالله منصورين .(1)

وفي عام 2002 م زحفت اليهود بقواتهم المسلحة بأعتى أنواع الأسلحة - دبابات ، وطائرات ... الخ - على ما تبقى للفلسطينيين من أرضهم وحاصروهم في "رام الله وجنين" وغيرها .. وواجههم الفلسطينيون بالجهاد في سبيل الله بما معهم من أسلحة بسيطة وقليلة ، وضربوا أروع الأمثلة في الصبر والثبات ، وظلوا يقاتلون ويمنعون الجيش اليهودي من احتلال مخيم "جنين" عشرة أيام كاملة ، حتى نفذت ذخيرتهم ، فقاتلوا بالأسلحة البيضاء والحجارة ، وتغصموا أجسادهم بأحزمة ناسفة وشرعوا في تفجير أنفسهم في الدبابات اليهودية .. ولم يجتاح الجيش اليهودي "جنين" إلا بعد نفاذ ذخيرة المجاهدين الفلسطينيين.

(لاحظ أن جيوش ثلاث دول عربية لم تصبر أكثر من ستة أيام أو قل ست ساعات في عام 1967م مع ما كان لديها من سلاح)

قال أحد الجنود الصهيونيين لصحيفة "بديعوت أحرثوت" الصهيونية :

الذي يحدث هنا هو حرب شعواء ، الجنود يتلقون الرصاص من كل الاتجاهات ، ويطلقون النار في كل اتجاه .. العشرات من العبوات يتم إلقاؤها على الجنود ، والرصاص يتطاير فوق رؤوس الجنود (2)

وقالت الجريدة ذاتها في 2002/4/19 م : تحول مخيم "جنين" للملاجئين الفلسطينيين في الأيام الأخيرة إلى أسطورة فلسطينية أخرى .. إلى رمز القتال الفلسطيني العتيد تحت شعار : النصر أو الموت.

فهل يقال بعد هذا : إن الفلسطينيين باعوا أرضهم ، أو فرطوا فيها ، أو قصروا في حقها ؟ . كلا ، والله .. ولا يقول هذا إلا ماجور ، أو مدخول الغرض ، أو بليد الذهن هابط المهمة.

(1) نكبة فلسطين 384 .

(2) جريدة أفاق عربية 1423/2/5 هـ - 2002/4/18 م .

(15)

وإذا قيل : إن هناك من الفلسطينيين من باع أرضه لليهود :

قلنا : لم يكن هذا ظاهرة منتشرة ، بل كان على يد عدد قليل جداً . وممن لا تخلو منهم أمة ، وكان أكثرهم من غير المسلمين وغير الفلسطينيين من أصحاب الأملاك ، وممن لم تتضح لهم أطماع اليهود ، كما في أراضي " مرج بن عامر ، وامتيازات الحولة ، ووادي الحوارث " (1) وفي أكثر الأحيان كانوا تحت ضغوط بريطانية ويهودية خانقة ، أشرنا إليها من قبل بتفصيل .

ذكر الدكتور حسن الخولي : أن اليهود طوال (ثلاثين) عاماً ، التي تولت فيها بريطانيا إدارة فلسطين لم يملكوا من أرض فلسطين أكثر من (7%) تقريباً من مجموع مساحتها ، ولم تكن تلك الأرض التي انتقلت إليهم ملكاً لمزارعين فلسطينيين ، وإنما كانت ملكاً لبعض الأسر العربية غير الفلسطينية كاسرة " سرسق " (2) التي اضطرت إلى بيع ممتلكاتها التي تزيد عن أربعين ألف دونم . في مرج ابن عامر . نتيجة لأحكام وضغوط تعسفية صدرت ضدهم في فلسطين ، أصدرتها بريطانيا ضدهم لتستعين بها على مصادرة أراضيهم ، وتسببت في تشريد 2746 أسرة عربية ، هم أهل (22) قرية فلسطينية كانت تفلح هذه الأرض منذ مئات السنين .

على أن الجزء الأكبر من هذه الأراضي التي استولى عليها اليهود تم عن طريق الحكومة البريطانية ، حين تنازلت للوكالة اليهودية عن مساحات واسعة من أراضي الدولة بفلسطين بشروط سهلة مغرية ، ولعل هذا خير هادم لما أشيع وانتشر عن قيام عرب فلسطين ببيع أراضيهم لليهود (3)

ومثل عائلة سرسق البيروتية : عائلة " سلام " ، وقد أقطعتها الدولة العثمانية أراضي واسعة في بحيرة " الحولة " شمال فلسطين لتملكها لصغار الفلاحين الفلسطينيين ، ليستصلحونها ويزرعونها بعوض تنتفع به تلك الأسرة ، لكن تلك الأسرة باعتها لليهود ولا حق لها في ذلك . ومثلها عائلات آل بيهم ، " آل يوسف " ، " آل التيان " ، حيث رهن انطون تيان أرضه في " وادي الحوارث " لرجل فرنسي ، ثم باعها الفرنسي بدوره لليهود ، بسبب الضائقة التي مرت به وبالفلسطينيين .

(1) خطر اليهودية ص 255 ، 257 .

(2) " سرسق " أسرة لبنانية .

(3) سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين 503/1 .

ومثلها عائلات "القباني ، ومدور ، وروك ، وكسار ، وخوري ، وحنّا ، والصياغ، والتويني ، وكساب ، ومطران" وكلها أسر لبنانية وسورية (1) .

ومثلها أسر سورية مثل أسر "الجزائري" ، "وشمعة" ، "والقوتلي" - التي باعت لليهود اراضى المنشية- ومثلها أسرة آل مارديني التي باعت لليهود قسماً كبيراً من اراضى "صفد" وغير ذلك وكلها عائلات وأسر غير فلسطينية (2) وأكثرها غير مسلمة ، وكان بيعها يتم كثيراً تحت ضغوط سياسية واقتصادية وقهرية صنعها اليهود بمشاركة الإنجليز ، وقد أشرنا إليها بتفصيل (3).

ومنها أن الدولة البريطانية منعت كثيراً من هذه العائلات من دخول فلسطين لاستغلال هذه الأراضى بحجة أنهم أجنب ، وذلك بعد أن تم فصل فلسطين عن سوريا ولبنان ؛ وفقاً لتقسيمات "سايكس . بيكو" - بين بريطانيا وفرنسا .

وقد تسبب هذا البيع المحرم فى تشريد الأسر الفلسطينية المسلمة التى تزرع هذه الأراضى وتسكنها ، فمثلاً تسببت عائلة سرسق حين باعت اراضيها فى مرج "ابن عامر" لليهود فى تشريد 2746 أسرة عربية هم أهل 22 قرية فلسطينية . فكيف بما نتج عن بيع باقى الأسر غير الفلسطينية وغير المسلمة لليهود .

ومع هذا قاوم جمهور الفلسطينين ، وخاصتهم من العلماء ، وأهل الراى هذه الجريمة ومن ارتكبتها ، وأوقعوا العقاب الأليم على مرتكبيها ، ونفذوا حكم الإعدام فى الكثير منهم (4) .. وقد مر بنا أنهم طلبوا من الدولة العثمانية منع هجرة اليهود إلى فلسطين ، ومنع بيع الأرض لهم ، وعندما تبين أن شخصية يهودية بارزة أثناء الاحتلال البريطانى لفلسطين راجعت بعض المسلمين بعرض نقدى لشراء حائط البراق (الذى يسمونه حائط المبكى) ، ونقل ملكيته لليهود رفض الفلسطينيون بقوة ، وهاج الراى العام لديهم ، وفى العائم الإسلامى بصورة خطيرة أخافت دولة الاحتلال بريطانيا وجعلتها تصدر تعليماتها بعدم إثارة الموضوع (5) .

(1) الحاج محمد أمين الحسينى 210 .

(2) أكثرها عائلات مسيحية مثل حنا ، وخورى ، وكسار ، وغيرها .

(3) جهاد شعب فلسطين 477 : 493 .

(4) خطر اليهودية ص 255 .

(5) جهاد شعب فلسطين ص 502 : 504 ... الحاج محمد أمين الحسينى 213

وصدرت فتاوى العلماء بتحريم وتجريم بيع الأرض لليهود ، ووجوب معاملة بائعيها
وسماستهم بأنهم كفرة ، وأشهرها هذه الفتوى التى انطلقت من القدس على يد علماء
فلسطين ووعاظها وقضاتها فى 1935/1/26 م وهاهى الفتوى (1) :



(1) وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (1919 م - 1939 م) من أوراق أكرم زعيتر - سلسلة الوثائق
الأساسية والعامّة ط ثانية .. بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية 1984 ص 288 - ص 291 .. وكذا
أوراق من الفقه السياسى حسن على دباص 100 : ص 105 ط دار البشير طنطا .

فتوى علماء فلسطين

الصادرة عن مؤتمر علماء فلسطين الأول المنعقد في يناير 1935 م

انعقد في القدس 1935/1/26 م اجتماع كبير لعلماء فلسطين من مفتين وقضاة ، ومدرسين ، وخطباء ، ووعاظ ، وسائر علماء فلسطين ، واصلوا هذه الفتوى بالإجماع ، وهذا نصها :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فإننا نحن المفتين والقضاة والمدرسين والخطباء والأئمة والوعاظ ، وسائر علماء المسلمين ، ورجال الدين في فلسطين ، المجتمعين اليوم في الاجتماع الديني المنعقد في بيت المقدس بالمسجد الأقصى المبارك حوله ، بعد البحث والتأمل فيما ينشأ عن بيع الأراضى في فلسطين لليهود من تحقيق المقاصد الصهيونية في تهويد هذه البلاد الإسلامية المقدسة ، وإخراجها من أيدي أهلها ، وإجلالهم عنها ، وتعزية أثر الإسلام منها بخراب المساجد والمعابد والمقدسات الإسلامية كما وقع في القرى التي تم بيعها لليهود (1) وأخرج أهلها متشردين في الأرض ، وكما يخشى أن يقع - لا سمح الله - في أولى القبلتين وثالث المسجدين الأقصى المبارك .

ويعد النظر في الفتاوى التي أصدرها المفتون وعلماء المسلمين في العراق ، ومصر ، والهند ، والمغرب ، وسوريا ، وفلسطين ، والأقطار الإسلامية الأخرى والتي أجمعت على تحريم بيع الأرض في فلسطين لليهود ، وتحريم السمسرة على هذا البيع والتوسط فيه وتسهيل أمره بأى شكل وصورة ، وتحريم الرضا بذلك كله والسكوت عنه ، وأن ذلك كله أصبح بالنسبة لكل فلسطيني صادراً من عالم بنتيجته راض بها ، ولذلك فهو يستلزم الكفر والارتداد عن دين الإسلام باعتقاد حله ، كما جاء في فتوى سماحة السيد أمين الحسيني مفتى القدس ، ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى .

بعد النظر والبحث في ذلك كله وتأييد ما جاء في تلك الفتاوى الشريفة والاتفاق على أن البائع والسمسار والمتوسط في بيع الأراضى بفلسطين لليهود والمسهل له هو :

أولاً : عامل ومظاهر على إخراج المسلمين من ديارهم .

(1) البريطانيون هم الذين باعوا القرى والمدن الفلسطينية لليهود ، ولاحظ أن الفتوى صدرت في عام 1935 م أي إبان الاحتلال البريطاني لفلسطين .

ثانياً : مانع لمساجد الله ان يذكر فيها اسمه ، وساع في خرابها .

ثالثاً : متخذ اليهود أولياء ، لأن عمله يُعد مساعدة ونصرة لهم على المسلمين .

رابعاً : مؤذ لله ورسوله وللمؤمنين .

خامساً : خائن لله ورسوله وللأمانة .

وبالرجوع إلى الأدلة المبينة للأحكام في مثل هذه الحالات من آيات كتاب الله كقوله

تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (27) وَعَلِمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (الأنفال : 27 ، 28) .

وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا اكْتَسَبُوا فَهَرَجُوا بِهِنَّ أَوْلَادُهُنَّ يُؤْذِنَهُنَّ) (الأحزاب : 58)

وقوله تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (البقرة : 114)

وقوله تعالى : (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (8) [8] إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (المتحنة : 8 ، 9)

وقوله تعالى في آية أخرى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) (المتحنة : 1) [1] وقوله تعالى في آية أخرى : (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ) (المائدة : 51) وقد ذكر الأئمة المفسرون ان معنى قوله تعالى : (فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) أى من جملتهم ، وحكمه حكمهم .

فيعلم من جميع ما تقدمناه من الأسباب ، والنتائج ، والأقوال ، والأحكام والفتاوى ان بائع الأرض لليهود في فلسطين سواء كان ذلك مباشرة ، أو بالواسطة وأن السمسار ، والمتوسط في هذا البيع ، والمسهل له ، والمساعد عليه بأى شكل مع علمهم بالنتائج المذكورة .. كل اولئك ينبغي ان لا يُصلى عليهم ، ولا يدفنوا في مقابر المسلمين ، ويجب نبذهم ومقاطعتهم ، واحتقار شأنهم ، وعدم التودد إليهم والتقرب منهم ، ولو كانوا ابناء ، أو ابناء ، أو اخواناً ، أو أزواجاً (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ

مَنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [23] قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَفِئُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (التوبة : 23 ، 24)

هذا ، وإن السكوت عن أعمال هؤلاء والرضا به مما يحرم قطعاً (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (24) وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (الأنفال : 24 ، 25) .

العلماء الموقعون على الفتوى

المفتون :

محمد أمين الحسيني - مفتى القدس ، ورئيس المجلس الأعلى الإسلامي .

محمد أمين العوري - أمين فتوى القدس ، وعضو محكمة الاستئناف الشرعية .

محمد أديب الخالدي - مفتى جنين .

محمد سليم بسيو - مفتى بئر السبع

حسن أبو السعود - مفتى الشافعية ، ومفتش المحاكم الشرعية .

محمد تفاعحة الحسيني - مفتى نابلس .

محمد أسعد قدورة - مفتى صفا ، وقاضيهما .

محمد ظاهر الطبري - مفتى طبريا ، وقاضيهما

القضاة :

إسماعيل الحافظ - رئيس محكمة الاستئناف الشرعية .

محمد توفيق الطيبي - عضو محكمة الاستئناف الشرعية .

سعد الدين الخطيب - مساعد مفتش الاستئناف الشرعية .

يوسف صديق طهبوب - قاضي يافا .

مطيع الدرويش أحمد - قاضي جنين .

محمد سليم الغصين - قاضى حيفا .

أحمد النحوى - قاضى الخليل .

سيف الدين الخماش - قاضى بئر السبع .

محمود الحمورى - قاضى الرملة .

سليمان السعدى - قاضى غزة .

نسيب البيطار - وكيل قاضى القدس .

رامز مسمار - قاضى عكا .

عبد الحميد السائح - وكيل قاضى نابلس .

ثم وقع على الفتوى عدد كبير من العلماء ، والأئمة ، والوعاظ ، والخطباء ، وسائر علماء الدين .

وعندما عرضت بعض الدول حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بإعطائهم تعويضاً عن أراضيهم فى فلسطين ليظلوا لاجئين مشردين فى دول العالم ، وخاصة دول الجوار رفض الفلسطينيون هذا العرض المشين ، وصدرت فتوى علمائهم على لسان مفتيهم الشيخ / عكرمة صبرى برفض هذا العرض ، واعتبار قبول التعويض عن الأرض محرم كبيعها تماماً ، وأصرت فتواه على ضرورة عودة اللاجئين إلى أراضيهم فى فلسطين مع قبول التعويض عن الأضرار التى لحقت بهم بسبب طردهم من أراضيهم وتشردهم .. وهاكم نص الفتوى :

فتوى شرعية

التعويض عن الأرض كبيعها لا يجوز شرعاً

إن التعويض عن الأرض الفلسطينية كبيعها سواء بسواء ، ولا يجوز مطلقاً شرعاً ، وينطبق على الذى يأخذ التعويض عن ممتلكاته الفتوى الصادرة من علماء فلسطين منذ الثلاثينيات من القرن الماضى والتى تنص على التحريم القطعى (1) : لأن الأرض الفلسطينية ليست سلعة للبيع والشراء ، فهى وقفية مباركة مقدسة ، كما أن علماء الأمة الإسلامية وقتئذ وحتى يومنا هذا قد أصدروا فتاوى مؤيدة لهذه الفتوى .

(1) روى الفتوى السابقة ، فراجعها لتعرف حكم الذى يقبل التعويض من الكافرين عن ممتلكاته من أرض فلسطين ، وغيرها .

وهناك فرق شاسع بين التعويض عن الأرض وبين التعويض عن الأضرار التي لحقت باللاجئين الذين هُجروا عن ديارهم بغير حق .

لذا فإن عبارة " حق العودة والتعويض معاً جائزة شرعاً ، أى أن اللاجئ له الحق فى العودة إلى دياره ، كما أن له الحق أيضاً فى المطالبة بالتعويض عن الأضرار والمعاناة والخسائر التي لحقت به وبأولاده وأحفاده .

فى حين أن العبارة التى تقول : " حق العودة أو التعويض " لا تجوز شرعاً ؛ لأن المحظور قائم فيها ؛ لأن التعويض عن الأرض محرم شرعاً .. أما الذى لا يرغب فى العودة فليس له الحق بأخذ التعويض مطلقاً ، مهما كانت الأسباب ، ومهما كانت المبررات.

وستبقى أرض فلسطين لأهلها ، ولجميع المسلمين إلى ما شاء الله ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المفتى العام للقدس والديار الفلسطينية (1)

الشيخ عكرمة سعيد صبرى

ولم يكتف العلماء والمخلصون بالفتاوى النظرية لمنع بيع الأرض لليهود، بل قاموا أيضاً بجوانب عملية لهذا الهدف : حيث قام المفتى الشيخ محمد أمين الحسينى وعلماء الإسلام بإنشاء " لجنة جمع المال لحماية الأراضى " ودعى مسلمى العالم للتبرع لها ، وأرسل الوفود إلى العالم الإسلامى لذلك ، ووضع صناديق التبرع فى مساجد فلسطين ، وحث كل زائر للمسجد الأقصى أن يتبرع بخمسة قروش ، وأوجب على جابى المال من الفلاحين أن يجمع منهم قسماً من محصولهم كل سنة لهذا الهدف .

كما أنشأ الفلسطينيون أيضاً " لجنة صندوق الأمة .. وغيرها من اللجان التى يجمعون بها المال لشراء الأراضى من الفلاحين المضطرين إلى بيع أراضيتهم ؛ نتيجة تقهر وسياسة الاحتلال الإنجليزى ، وتتركها اللجنة لهم يفلحونها بعد أن تسجلها ضمن أراضى الوقف الإسلامى ؛ حتى لا يستطيع اليهود شراءها .

ولاحظ اليهود هذا المسلك من المفتى فاتهموه بصرف أموال الأوقاف على شراء الأراضى ، وفى المسلمين سماعون لهم ، فحملوا الاتهام وأشاعوه ..!!! وكتب " ر.ف. هوبكنز " إلى سكرتير وزارة المستعمرات رسالة قال فيها :

(1) راجع مجلة القدس الصادرة عن مركز الإعلام العربى بمصر - العدد 21 سبتمبر 2000م - جمادى الثانية 1421 هـ .

"إن رئيس المجلس الإسلامي - محمد أمين الحسيني . قد اتبع سياسة جديدة في شراء الأراضى لحماية الفلاحين العرب ، واشترى (12000) دونماً وأعطائها إلى هؤلاء العرب الذين أصبحوا بلا أرض من دون أن تتكلف الحكومة دفع أى شيء" .

ووصلت رسائل كثيرة إلى المفتى طلب أصحابها منه أن يحميهم المجلس الإسلامى من المشتريين اليهود .

وكان المفتى رحمه الله يجمع العلماء والشيوخ ويطلب منهم أن يستعملوا نفوذهم لمحاربة السماسرة ، وبيع الأرض ، وقد استجاب لهم الناس إلى حد كبير، وكان المفتى من ناحية أخرى يطلب سراً من قضاة المحاكم الشرعية أن لا يعطوا للأشخاص الذين يشك فيهم أنهم يريدون بيع أراضيهم لليهود الوثيقة التى تثبت أنهم الوارثون الشرعيون لتلك الأرض ، لكى يمنعهم من بيعها لليهود ، حيث كانت هذه الوثيقة لازمة لإتمام البيع .

وبذلك أنقذ المفتى كثيراً من الفلسطينيين المقيمين من بيع أراضيهم لليهود .

واعترف الإنجليز بأن المجلس الإسلامى ورئيسه هو العقبة الرئيسية أمام اليهود لشراء أراضى من فلسطين (1) .

ومن الطريف أن الإنجليز اقترحوا على المفتى عام 1934 م أن يُرحل الفلسطينين إلى شرقى الأردن ، وأن يعطوا ضعف المساحة التى يملكونها إلا أن المفتى رحمه الله رفض هذا الاقتراح الإنجليزى بشدة ، وأبى أن يستبدل بأرض فلسطين أرضاً أخرى مهما غلت واتسعت.(2)



(1) الحاج محمد أمين الحسينى 22، ، 223 .. حقائق عن قضية فلسطين 1، ، 11 .
(2) الحاج محمد أمين الحسينى 227 - حقائق عن قضية فلسطين 27 .

(16)

من باع فلسطين ؟

الحكام العرب .. أم عرب فلسطين ؟

الواقع الذى ثبت لدينا بالوثائق الصحيحة ، والوقائع الثابتة أن عرب فلسطين لم يبيعوا ارضهم ، ولم يفرطوا فيها يوماً ، إنما باعها القادة العرب الخونة (1) حين خذلوا أهلها ، وتركوهم وحدهم من جهة ، وحين تأمروا عليهم من جهة أخرى ، فى الوقت الذى كانت المنظمات اليهودية فى العالم تدفع عصابات اليهود إلى فلسطين ، وتساندهم مالياً وعسكرياً وسياسياً ، وتشترى لهم ضمائر القادة ، وقدرات الدول إلى اليوم .

١ - وقد ذكرنا قبلاً أن بريطانيا وقفت بجوار اليهود بكل قواتها المالية والسياسية والحربية ضد الفلسطينيين العزل ، وأصدرت وعد (بلفور) الذى تعهدت فيه بإنشاء دولة اليهود ، وما ذلك إلا بعمل وضغوط المنظمات الصهيونية فى بريطانيا وغيرها .

وما من معركة نشبت بين اليهود وعرب فلسطين إلا كانت بريطانيا بجوار اليهود ، ترجح كفتهم أو تقاات نيابة عنهم ، وتضيق الخناق على الفلسطينيين لصالحهم .

« ولن ينسى التاريخ لبريطانيا إرسالها إلى حاكم الهند العام بلاغاً سرياً يأمره بوقف نشاط جمع التبرعات لفلسطين ، الذى لقى إقبالاً عظيماً وترحيباً فائقاً ، حتى أن نظام "حيدر اباد" تبرع بمليون روبية ، وتبرع "ظاهر سيف الدين" سلطان البهرة بنصف مليون روبية تقريباً ، وتوقفت التبرعات ، تلبية لأوامر بريطانيا ؛ لأنه - فى زعمها - مخالف لسياسة جلالة الملك فى فلسطين (2) .

« ولن ينسى التاريخ لبريطانيا أيضاً رفضها طلباً للفلسطينيين تحتمة الإنسانية، والأعراف الدولية ، وهو نقل الجرحى العرب إلى المستشفيات ، وكانوا عدداً كبيراً حتى استشهد عدد كبير منهم . (3)

(1) من الإنصاف أن نستثنى الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - مؤسس المملكة العربية السعودية من خيانة فلسطين ، فالرجل رحمه الله كان مخلصاً ، ولم يرض أن يكون أداة بيد أحد ، وكان كارهاً للوجود اليهودى فى فلسطين إلا أن الأمر لم يكن بيده وحده .. والله المستعان .
(2) الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين 22 ، 23 .
(3) جهاد شعب فلسطين ص 178 .

❖ ولن ينسى التاريخ لها أيضاً أنها كانت تمنح وصول الإمدادات إلى المجاهدين في ميدان المعركة ، وصادرت ما معهم من أسلحة ، حتى يكونوا فريسة سهلة لليهود (1) ... ونحو ذلك كثير .. كثير ..

ب- ولن ينسى التاريخ لفرنسا هي الأخرى أنها اعتقلت لجنة التبرعات لفلسطين بالجزائر العريى ، على حين سمحت بجمع العون المالى لليهود تحت حمايتها علناً (2)

ج- ولن ينسى التاريخ لأمريكا أيضاً مساندتها القوية لليهود مالياً وسياسياً وعسكرياً ، حتى تواتر على لسان قادتها المقولة المعروفة " إسرائيل ولدت لتبقى " .

❖ وذهبت السياسية اليهودية المعروفة " جولدا مائير " إلى أمريكا فجمعت خلال شهرين ونصف - المدة التي قضتها في أمريكا - مبلغ (500) مليون دولار (3)

"ومناحم بيجين" رئيس عصبة الأرجون " زفای لومی " سابقاً ، ورئيس وزراء اليهود الأسبق زار أمريكا في اواخر عام 1948 م ، وجمع في بضعة أيام أكثر من ثلاثة ملايين دولار ، وعاد بها إلى فلسطين ، وأعطته الحكومة الأمريكية من الضرائب .

وذهب من بعده "ابن جوريون" رئيس حكومة اليهود ، فجمع في ليلة واحدة أربعة ملايين دولار معفاة من الضرائب في الحفلة التكريمية التي أقيمت له بقاعة (مديسون سكوير جاردن) مساء 1951/5/10 م ولم يحضر هذا الحفل سوى بضع عشرات من اغتياة اليهود بأمريكا (4)

وذكر أحد الكتاب أن الشركات الصهيونية والأمريكية منحت اليهود في فلسطين خلال خمس سنوات 1948 م : (600) ستمائة مليون دولار تبرعات معفاة من الضرائب ، واستثمرت في فلسطين لصالح اليهود أكثر من (200) مائتين مليون دولار .

ووضعت المنظمات الصهيونية على أمريكا فمنحت اليهود ودولتهم إعانة سنوية ضخمة ، ولا زالت هذه الإعانة مستمرة إلى اليوم (5)

ونحو ذلك كثير .. كثير ، وكله كان بضغط وعمل وتأثير المنظمات الصهيونية في العالم .

(1) راجع الطريق إلى بيت المقدس 14/2 . .

(2) نفسه 2/ص86 ، وجهد شعب فلسطين 181 ، الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار ص117

(3) ممنوع من التداول ص 286 وحينما عادت " جولدا " إلى فلسطين قال لها ابن جوريون : حينما يدون التاريخ في يوم من الأيام سيقال : إن امرأة يهودية استطاعت الحصول على الأموال التي جعلت قيام الدولة اليهودية أمراً ممكناً . أ هـ .

(4) للصهيونية أعلى مراحل الاستعمار ص 86 .

(5) الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار ص 113 .

وفى المقابل وقف الفلسطينيون وحدهم فى الميدان أمام اليهود ومن يساندهم ، ومع أن اللجنة العليا لإعانة المتكويين أعلنت أنها تواجه الصعاب الشداد لعدم وفرة المال لديها لإعانة ارامل الشهداء وأيتامهم ، الذين تركوهم بغير عائل، ودعت اللجنة فى عام 1929 م ، 1930 م كل كريم فى ديار العروبة أن يمد لها يد العون لتخفيف الثكبة عن هؤلاء المتكويين ، ولكن لم يجبها أحد إلا من كلمات الرثاء ومصمصاة الشفاة (1).

نعم لم يجد الفلسطينيون من يمد لهم يد العون مالياً أو سياسياً أو عسكرياً ، بل كان خذلان الحكام العرب الخونة لهم واضحاً ومخزياً ، على النحو الآتى :-

1 - سمح الحكام العرب بحرية الراسمال اليهودى فى بلاد العروبة ، ومن حصيلته كانت تجمع التبرعات لليهود فى فلسطين (2) .. وذكرت الصحف اليهودية فى مصر أن يهود مصر أرسلوا إبان الاحتلال الإنجليزى ثلاثة آلاف جنيه مصرى لليهود حيفاً تبرعاً (3) وتوالت التبرعات .

بل سمحوا للصحافة اليهودية أن تعمل بحرية فى العالم العربى لصالح اليهود ، ففى مصر كانت صحيفة " الشمس " اليهودية تدعوا لاحتلال اليهود فلسطين ، ففى عددها الـ 18 الصادر فى 11/1/1935 م دعت يهود مصر والعائم العربى إلى شراء الأراضى فى فلسطين التى كان يتم بيعها بفعل بريطانيا وضغوطها .

2 - والمريب فى الأمر أن " إسماعيل صدقى " منذ أن تولى رئاسة الحكومة المصرية فى عام 193 م . صادر وأغلق من الصحف المصرية الوطنية الكثير ، وأغلق جريدة " الشورى " الفلسطينية ، وكان صاحبها (محمد على الطاهر) من مؤيدى حزب الوفد ، ولكنه فى ذات الوقت أبقى جريدة " إسرائيل " اليهودية التى أنشأها اليهودى " البرت موصيرى " منذ سنة 1920 م ، والتى كانت تؤازر أطماع اليهود فى فلسطين ومجازرهم ضد عرب فلسطين ، وتحارب كل من يتعاطف مع العرب (4)

3 - كما سمح القادة العرب لليهود فى ديار العرب بالهجرة إلى فلسطين ، وهم يعلمون أن ذلك يعنى طرد الفلسطينيين من أرضهم ليفتصبها هؤلاء اليهود .

(1) جهاد شعب فلسطين ص 181 .

(2) الاستيطان الأجنبى فى العالم العربى 126 سلطنة عالم المعرفة .. الطريق إلى بيت المقدس 86/1 .

(3) الطريق إلى بيت المقدس 236/3 ط ثانية .

(4) راجع الحركة السياسية فى مصر 1948 م إلى عام 1952 م ص 238 طارق البشرى ط 2 دار الشروق 1982 م .. وليس بغير أن تتحاز هذه الجريدة اليهودية لإسماعيل صدقى وتدافع عنه فى (1930/7/30 م) .. بينما هاجمت فى 193/7/25 . م أحمد زكى باشا الملقب بشيخ العروبة ، عندما سافر إلى فلسطين للدفاع أمام لجنة عصبة الأمم عن امتلاك المسلمين لحائط البراق ، ولخطبته هناك التى حضض فيها الشعب العربى على الثورة للدفاع عن الحائط بالأرواح .. وغير ذلك مما ذكره الكتاب المذكور .

4 - خذثوا أهل فلسطين حين لم يدربوهم على القتال ، ولم يسمحوا لهم بالتدريب في الجيوش العربية ، وإن كان تدريبها متدنياً .

- وحدث أن قررت اللجنة التابعة للجامعة العربية مد الشعب الفلسطيني بالأسلحة ، وإنشاء معسكر في "قطنا" قرب "دمشق" لتدريب الشباب الفلسطينيين ، وما كادت الدول العربية تبدأ تدريب الشباب الفلسطيني حتى تقدم الجنرال "كلايتون" باسم بريطانيا إلى الجامعة العربية ، معارضاً تدريب الفلسطينيين وتسليحهم ومعتبراً ذلك عملاً غير ودي .

وكان الأنظمة العربية كانت تنتظر تلك المذكرة لتخذل فلسطين وأهلها ، فما إن وصلتهم حتى أخذهم الرعب وأوقفوا التدريب ، وسرحوا الشباب الفلسطيني وسحبوا أسلحتهم. (1)

وفي 18/1/1949 م صدر أمر الجامعة العربية بحل جيش الجهاد المقدس ، إلا أن وحداته بقيت مرابطة في بعض الخطوط الأمامية على أمل استئناف القتال إلى أن اتاها أمر من الهيئة العربية العليا في القاهرة ، فانقطعت عن العمل نهائياً في 15 أيار 1949 م ، وانتهى بذلك دور جيش الجهاد المقدس باعتباره قوة مقاتلة في فلسطين. (2)

5 - خذثوا أهل فلسطين في معاركهم الحربية ، فلم يقدموا لهم العون المالي أو الحربي المطلوب ، بل لم يكونوا جادين في مساعدتهم بأي شيء سوى تقديم المؤتمرات الجوفاء ، والشعارات الرعناء ، والقرارات التي لم تجاوز الألسنة والورق الملقى على الأرفف ، حتى الأسلحة لم يقدموه لهم ، وإذا قدموا شيئاً منه فضئيل جداً ، وفاسد جداً ، حتى إن أهل يافا في دفاعهم عن بلداتهم لم يجدوا ما يصنعون به أسلحتهم ومتفجراتهم إلا أوعية ومواد تستعمل في إطفاء الحريق ، وفي أنابيب "البوتاجاز" ، ولما كانت المواد الخام هي الأخرى غير متوفرة اضطروا إلى طلب النجدة من اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية بدمشق . فلم تجيبهم ، وطلبوا النجدة من قناصل العرب والجيش الأردني الذي كان يرايط على بعد أميال منهم ولم يجيبهم أحد ، حتى اغتصب اليهود مدينتهم وقتلوا وشردوا أبناءها .. حدث هذا تماماً في "صغد" ، و"عكا" وغيرهما (3)

ولما قررت السعودية وليبان مد الفلسطينيين بالأسلحة مباشرة أبت الجامعة العربية ولجنتها العسكرية إلا أن تتسلمه اللجنة المذكورة ثم تعطيه للفلسطينيين ، تكن اللجنة أخذت هذا

(1) جهاد شعب فلسطين 312 .. المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين 212 .. الطريق إلى بيت المقدس 28/2 ط ثانية .

(2) نكبة فلسطين 65 .. فلسطين والحاج أمين الحسيني 358 لزهير المارديني .

(3) جهاد شعب فلسطين 390 : 400

كله ، ولم تعط الفلسطينيين إلا القليل والفاقد من السلاح .. وكلمنا الح الفلسطينيين بالطلب أصرت اللجنة وزعيمها طه الهاشمي على الرفض والصدود وعدم المبالاة .

وبهذا نزعنا الجامعة العربية السلاح من أيديهم ، وتركتهم فريسة رخيصة لليهود !!!

6- ولن ننسى البطل الشهيد "عبد القادر الحسيني" رحمه الله - قائد منطقة القدس - الذي ظن أن بطولته وانتصاراته المتكررة على اليهود حتى اضطروهم إلى الاستسلام في مواقع عديدة - ظن أن هذا - سيشفع له لدى اللجنة العسكرية العليا التابعة للجامعة العربية ، فتعطيه شيئاً من المال والسلاح الذي جمعه من كل العرب ، ولكن اللجنة العسكرية لم تجبه ، ولم تعطه شيئاً ، فرفضت الدفع ، ثم قبلت الدفع ، وماطلت في التنفيذ ، ثم تمطت ونفذت ، وكان المبلغ (37) " سبعين وثلاثمائة " جنياً مصرباً ، وتركوا له توزيعه على ثلاثة آلاف جندي كانوا معه !!! أما السلاح فقد قلبوا أيديهم منه ، وربما تركوا له شراء السلاح من هذا المبلغ أيضاً (1) (111)

وتردد البطل الشهيد على اللجنة في تنقلاتها بين مختلف العواصم حتى يئس منها بعد أن قال له أحد مسئوليه بلهجة العراقية : خلاص ، ماكو مدفعية.. ماكو مدافع.. ماكو مال .. ماكو مال . أي لا يوجد مال ولا مدافع - وبعد وساطات أعطوه كمية ضئيلة من البنادق (500 بندقية ، و110 آلاف طلقة ، و300 قنبلة يدوية ، وكمية من المتفجرات ، ومبلغ 500 جنيه مصري فقط) وأكثرها غير صالحة للاستعمال ، فهي إما خشب بغير حديد ، أو حديد بغير خشب؛ مما أهاج القائد المجاهد وقال للمفتي (الشيخ محمد أمين الحسيني) : والله يا عمه ، إنهم يريدون القضاء علينا ، ويريدون إضاعة فلسطين ، إنهم يخونوننا يا عمه ، إنه لا أمل لنا بوجودهم ، فهل يمثل هذه الأسلحة يريدون تخليص فلسطين (9) إنني قررت العودة ، وسأعود جندياً يعرف كيف يدافع عن بلاده.

(فحاول "رياض الصلح" رئيس وزراء لبنان تهدئته ، وأعطاه مسدسه الخاص ، وقال له : خذه وليكن الله معك ، كما زوده المفتي بـ 800 جنيه فلسطيني في سبيل الجهاد) .

قال : أما أنا فإني ذاهب إلى "القسطل" لأموت هناك قبل أن أرى ثمرة التقصير ونتائج التواطؤ ، وسأعود إلى "القسطل" ، وسأسترجعها من اليهود مهما كلف الثمن ، وسأموت هناك ويسقط دمي على رأس "عبد الرحمن عزام" (أمين عام الجامعة العربية) ، وطه الهاشمي ، وإسماعيل صفوت ، الذين يريدون تسليمنا لأعدائنا كي يذبحونا ذبح السفاح .

وقال للمفتى : إن احتلال اليهود "للقسطل" اكبر عار يلحق بنا فعلينا أن نمحو هذا العار باستعادة القسطل مهما كلف الأمر ، إن لدى اليهود الدبابات والمصفحات والطائرات والمدافع ، أما نحن فسنقاتل بدمائنا ولحمونا ، وليبق السلاح مكسداً في دمشق . (1)

وقدم الحسيني تقريراً إلى الجامعة العربية في 1948/4/6 م يحملها فيه مسئولية ضياع فلسطين.

وكانه قد شعر أنه أدى واجبه وانذر ، ثم استشهد البطل في معركة القسطل المعروفة في 1948/4/8 م رحمه الله رحمة واسعة.

فمن الذي باع فلسطين لليهود ؟ الحكام العرب .. أم مسلمي فلسطين ؟

7- وفي مجزرة " دير ياسين " المعروفة الذي قتل فيها اليهود رجال القرية وأطفالها وشيوخها ونساءها ، وبقروا بطون الحوامل فيها ، كان هناك بجوارها مائة مسلح من جيش الإنقاذ العربي الذي كوئته الجامعة العربية ، وأشرفت عليه لجنتها العسكرية ، يعسكرون في قرية " عين كارم " القريبة من "دير ياسين" وكان صوت الرصاص ، وصرخات النساء والأطفال يتردد في أصداء أجوائهم ، ولكن لم يتحرك منهم أحد ، لنجدة " دير ياسين " (2) .

- وفي معركة القسطل في إبريل 1948 م (1368 هـ) كان الجيش الأردني المسلم يربط بجوارها في مكان قريب منها في رام الله ، وذهب إليه "مارف العارف" يستنهض همته لنجدة "القسطل" لكن رده خائباً . (3) ، ولم يتقدم لنجرتها وإغاثة أهلها حتى نفذت ذخيرة مجاهديها ، وسقطت في أيدي اليهود فريسة سهلة .

وطلب المجاهد " عبد القادر الحسيني " - قائد منطقة القدس - من اللجنة العسكرية العليا التابعة للجامعة العربية بدمشق العون بالسلاح والمال الذي جمعه اللجنة من الشعوب العربية - كما ذكرنا قبل قليل - إلا أن اللجنة خذلته حتى سقطت القسطل بيد اليهود واغتصبوها مع أن اللجنة كان تحت يدها سلاح وفير أخذته من أهل لبنان . (4)

وحاول "جلوب" منع وصول الجيوش العربية إلى القدس بدعوى أنها أراضى دولية .

(1) راجع نكبة فلسطين ص 280 ، 281 .
 (2) راجع الطريق إلى بيت المقدس 18/2 .
 (3) جهاد شعب فلسطين ص 363 .
 (4) جهاد شعب فلسطين ص 349 .

وحيثما أمر الملك عبدالله بضرب الجامعة العبرية ومستشفى "هداسا" اليهودية بالقدس ، وإنقاذ القدس وأهلها من هجمات اليهود رفض "جلوب" بشدة وقال : إن المدافع لن تضرب "هداسا" ولا الجامعة العبرية ؛ لأن أمريكا تدخلت ، وبريطانيا توسطت للإبقاء عليها . (1)

والمريب في الأمر أن هذا الجيش الأردني الذي خذل أهل " القسطل " تدخل لمساعدة اليهود وحمائهم لما رأى انتصار مسلمي "حيفا" عليهم في 1947/12/31 م حتى رجع كفة اليهود ، وأنقذهم من موت محقق ، ومكنهم من الفتح بأهل "حيفا" قتلاً وتشريداً ونهب امتعتهم ، وألقى اليهود قتلى المسلمين أمام نساءهم ، وأدخلوا الدواب في مساجد المسلمين ، واتخذوها إسبيلات (2)

يا للهول !!! فمن الذي باع فلسطين لليهود ، وذبح أهلها وشردهم ؟

بل اتفق الحكام العرب مع اليهود سياسياً وعسكرياً ضد فلسطين وأهلها صراحة ، وبذلك زادوا الخيانة سوءاً .

1 - فما هو الأمير "عبد الله بن الحسين بن علي" (3) ملك الأردن اجتمع في 1948/4/13

م - أي قبل دخول الجيوش العربية فلسطين - مع اثنين من وزارة اليهود في "غور المجمع" ، واتفق معهما على قبول قرار التقسيم ، رغمًا عن الشعوب العربية التي رفضته .

(1) جهاد شعب فلسطين 417 .

(2) نفسه 285/2 ، 288 ط ثانية .

(3) ولا ينبغي أن ننسى أن جذور الخيانة بدأت مع الشريف حسين بن علي حين خدعه الإنجليز ، ووعدوه أن يكون ملكاً على البلاد العربية ، نظير أن يثور على تركيا ويحاربها معهم ، وقد حدث هذا كله لكن لم يف الإنجليز بوعودهم معه ، بعد أن حققوا أهدافهم ضد العالم الإسلامي :

- يذكر المؤرخون أن سبب انتصار بريطانيا على تركيا ، واحتلالها فلسطين والقدس هو هذا الشريف "حسين بن علي" وولده عبد الله ويفصل ، حيث تأمروا مع بريطانيا الكافرة ضد تركيا الإسلامية ، وأشعلوا الثورة على تركيا وحاربوها بجوار بريطانيا حتى أزالوا الوجود التركي من الجزيرة العربية شيئاً فشيئاً ، ولما وصلوا إلى حدود فلسطين أغاروا على سكة حديد الحجاز التي أقامتها تركيا الإسلامية لتسهيل حركة المواصلات والسفر بين المدينة المنورة وبلاد الشام ، لتيسير رحلات الحج والعمرة ، وكان طولها (1308) كيلو متر ، فنزعوا قضبانها ، ونسفوا قطاراتها ومحطاتها ، واشترك معهم الإنجليز المعروف "لورانس" "صديق العرب" ، ورجل المخابرات البريطاني ، بل ذلك من تدبيره ، وأسر 35 ألف جندي تركي ، وأخرج عدداً لا يُقَل عن هذا العدد من خطوط القتال ، واشترك في تمزيق شمل الجيش الرابع والسابع والثامن العثماني .. كذا جاء في اعترافات أعداء الإسلام ، (راجع جهاد شعب فلسطين ص 93) .

- واستطاع الشريف حسين أن يستميل عرب القبائل في الجزيرة العربية وغيرها لينضموا إلى الجيش العربي والبريطاني ضد تركيا الإسلامية ، وانتشرت مكاتب التطوع في الدول العربية للعمل في صفوف بريطانيا وجيشها العربي .

- وكانت القوات العربية بقيادة " فيصل بن الحسين " تحمي ميمنة الجيش البريطاني في فلسطين ، وتحمي أيضاً خطأ طويلاً من المواصلات البريطانية ضد هجمات المسلمين الأتراك .

- والملفت للنظر أن "عبد الله بن الشريف حسين" ذهب لوداع الوالي التركي بالطائف زاعماً خروجه لتأديب إحدى القبائل التي كانت عاصية .. وصدقه الوالي التركي مع أنه نما إلى علمه خيانتة ونيتة التي بيّنها لمهاجمة الجيش التركي ، إلا أن هذه الزيارة أزلت هذا الظن ، ودوعه الوالي ، وعانقه أمام الجند والضباط

وفي اجتماع آخر مع " جولدا مايرسون " سفيرة اليهود في "موسكو" اتفق معها أن يتفك الجيش الأردني والجيش العراقي عند الحدود العربية ، كما رسمها قرار التقسيم، وهو الاتفاق الذي أيده ونفذه الجيش الأردني والعراقي عملياً في عمليات حرب فلسطين 1948 م .

بحرارة ، وتفاعلت أحاسيسه بروح الأخوة الإسلامية فبكى بكاءً مرًا وهو ما زال يعانق الأمير العربي ، وكان مشهدًا مؤثرًا . إلا أن الأمير العربي حين وصل خارج الطائف بادر مسرعاً بتقطيع الأسلاك البرقية والتليفونية ثم هاجم الأتراك مساءً في نفس القشلاق (المكان) الذي ودع فيه الوالي وتبادل معه التحية والعناق - (راجع جهاد شعب فلسطين ص 7) .

- وكان الإنجليز يترقبون هذه الخيانة العربية ، ورتبوا هجومهم على فلسطين بعد اطمئنانهم على حدوثها .
- قال جمال باشا قائد الجيش التركي في الشام : إن الإنجليز لم يقرروا العبور أو بدء الهجوم على فلسطين إلا بعد أن استوثقوا من الشريف حسين وتأكدوا أن ثورته ستضطرنا إلى اتخاذ تدابير خاصة لحماية الحجاز ، وأن تسحب من فلسطين بعض قواتها . (راجع جهاد شعب فلسطين ص 92)
- وبهذه الخيانة استطاعت بريطانيا احتلال فلسطين وإزالة السيادة الإسلامية منها .

ولولا خيانة هذا الحسين وولديه للإسلام وأهله لصالح بريطانيا ما استطاعت بريطانيا أن تهزم تركيا الإسلامية ، وتغتصب فلسطين وتسلمها لليهود ، وظللت فلسطين تحت السيادة الإسلامية عزيزة الجانب ، موفورة الحماية .

وقد اعترف البريطانيون والإسرائيليون بهذا حتى قال اللورد اللنبي - قائد الجيش البريطاني وتكنز : لولا معاونة الجيش العربي ما استطعنا أن نتغلب على دولة الخلافة . (راجع واقعنا المعاصر ص 316)
وكذلك قالت الكاتبة الإسرائيلية " بربارة توخمان " في كتابها " التوراة والسيف " : وهكذا دخل الجنرال " اللنبي " إلى القدس عام 1918 م ففجع حيث كان " ريتشارد قلب الأسد " قد أخفق في "حطين" ، ولولا ذلك الانتصار ما كانت إسرائيل حقيقة واقعة . أ هـ . (راجع الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستغراء ص 282 . د . عبد المنعم النمر)

وقال كاتب تركي استشهد به صاحب كتاب "الثورة العربية الكبرى" : ولولا وجود جيش عربي وقف موقف العداء من الترك في جزيرة العرب في ساحة حربية طولها ألف كيلو متر لما تم للجيش البريطاني إحراز ما أحرزه من النصر بهذه السرعة العظيمة ، وإلى الجيش العربي يعود الفضل في بلوغ الإنجليز قلب البلاد العربية واحتلال القدس. ولولا جيش العرب لالتف الترك على الجيش البريطاني وأجبروه على التراجع . (راجع جهاد شعب فلسطين 94)

بل وصلت الخيانة حدًا أسوأ من هذا حين اجتمع " فيصل بن الحسين بن علي " والزعيم اليهودي " وايزمان " لأول مرة في 1918 م وهو الاجتماع الذي قال عنه " وايزمان " في مذكراته : إنه = الاجتماع الصحراوي الأول الذي وضع أسس صداقة طويلة بيننا . أ هـ . (وتأمل عبارة "صداقة طويلة بيننا")

بل وصل فيصل بن الحسين في الخيانة إلى أسوأ من ذلك حين اعترف في أواخر عام 1918 م وأرانل عام 1919 م بوعده بلفور لليهود في فلسطين .. وحينما ظهر منه تصريح صحفي يعارض ذلك في جريدة " الماتان " الفرنسية - ولو كان للإستهلاك الشعبي العربي - طلب منه الصهاينة أن يسجل تأييده لوعده " بلفور " كتابة ، فكتب رسالة مؤرخة في 1919/3/3 م إلى " فيليكس فرانكفورتر " قرر فيها :

إن المطالب الصهيونية في فلسطين هي اقتراحات معتدلة وصحيحة ، وأنه سينذل جهده لتحقيقها ، وعد فلسطين وحدة منفصلة عن الوطن العربي ، واستنكر كفاح عرب فلسطين ضد اليهود . أ هـ .. (غصبي) .. (راجع سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين 475/1 إلى 478) .

كل هذا فعله الشريف حسين وولده لتجعله بريطانيا ملكًا على الديار العربية ، لكن خذلتها بريطانيا وصدق الله العظيم إذ يقول (وَلَنْ نُرْضِيَ عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هَذِي سُلَّةُ الْبُذَىٰ وَلَئِنَّ الْبُذَىٰ لَكُلِّبَتْ أَهْوَاءَهُمْ بِئْسَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَكِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) [البقرة : 120]

.. فبالله عليكم من خان فلسطين وباعها لليهود ؟ ...

الحكام العرب.. أم عرب فلسطين ؟

وفى مفاوضاته المتكررة مع اليهود فى " الغور " و " الشونة " سلم لهم منطقة المثلث ، وسكة حديد جنوب القدس (1)

ورضى أن يكون قائد جيشه الأردنى المسلم إنجليزياً صليبياً صهيونياً يدعى " جلوب " ورضى عن سياسته مع أن سياسته المعادية للإسلام كانت واضحة .. فهو الذى جعل ثمانية وأربعين ضابطاً إنجليزياً صهيونياً على قيادة الجيش الأردنى العربى فى أماكن مختلفة (2) .. وهو الذى نزع سلاح المجاهدين بعد الهدنة الأولى ، ورفض إعادته لهم ، ورفض مساعدة مسلمى " حيفا " وهو على مقربة منهم ، حتى فتك بهم اليهود واغتصبوا مدينتهم ، ووقف فى وجه تنفيذ خطة الجيوش العربية باستعادة الفالوجا ، وإنقاذ قوات الجيش المصرى المحاصر فيها(3)

والغريب فى الأمران الجامعة العربية جعلت الأمير عبدالله هذا قائداً عاماً للجيوش العربية النازية لتحرير فلسطين ، فكانت القرارات العسكرية التى تصدر باسمه كان يضعها وينفذها بطبيعة الحال الإنجليزى "جلوب" بما يكفل هزيمة الجيوش العربية ، أمام عصابات اليهود ، واغتصاب اليهود أرض فلسطين . (4)

والحاصل : أن الملك عبد الله هذا مارس الخيانة العظمى ضد فلسطين والإسلام والعروبة لصالح اليهود ، وتم يدخل حرب فلسطين عام 1948 م لإنقاذ فلسطين وتحريرها ، بل لإقرار تقسيمها ، وإعطائها لليهود بعد قتل وتشريد أهلها منها ، كما ذكرت الصحف وقتئذ (5)

(1) الطريق إلى بيت المقدس 155/2 ، 156 - ط ثانية .

(2) كارثة فلسطين ص 81 ، 83 ، جهاد شعب فلسطين 4.7 .

(3) نفسه 17/2 .

(4) جهاد شعب فلسطين ص 4.6 .

(5) وها هو الجنرال الإنجليزى رئيس جيشه "جلوب" فى مذكراته " جندى مع العرب " قال : إن أبى الهدى باشا رئيس وزراء الأردن أجرى محادثات سرية مع " أرنست بينن " وزير خارجية بريطانيا فى فبراير 1948 م (1368 هـ) ، أى قبل دخول الجيوش العربية فلسطين ، واقتراح أن يدخل الجيش الأردنى فلسطين غداة انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين تحت شعار حماية فلسطين كلها ، ومحاربة اليهود ، ويحتل القسم العربى ، ويضمه إلى شرق الأردن دون أن يشترك مع اليهود إطلاقاً (!!!) .. وتعهده أبو الهدى بثلاثة أمور :

1- ألا يحتل الجيش الأردنى غزة والخليل .

2- ألا يعتدى على اليهود بأى شكل .

3- ألا يحتل شبرا واحداً من القسم الذى صدر قرار الأمم المتحدة بإعطائه لليهود فى 1947/11/29 م

(1367 هـ)

وأضاف أن الأردن حسب معاهداته مع بريطانيا لن يتخذ أى خطوة إيجابية إلا بعد مشاوره الحكومة البريطانية ، فشكر "بينن" " أبى الهدى " لوضوح موقف الأردن ، وأعلن موافقته على مشروع حكومته . (راجع الطريق إلى بيت المقدس 194/2 ط ثانية) (.. جهاد شعب فلسطين 4.9 :413)

ب - ولم تكن باقى الحكومات العربية أحسن حالاً من الملك عبد الله ، ففى مصر لم تكن حكومة مصر وقتئذٍ معنية بتحرير فلسطين ولا القتال لأجلها ، حتى قال الدكتور نجيب اسكندر - وكان وزيراً فى حكومة النقراشى رئيس وزراء مصر وقتئذٍ - لم يكن من رأى النقراشى دخول الحرب ، وصرح بذلك فى مؤتمر مندوبى رؤساء أركان الحرب، ولما سُئل النقراشى : ما دام رأيك عدم دخول الحرب فلماذا لم تستقل عندما أمر الجيش بالخروج إلى فلسطين ؟

فقال : إن الرأى العام كله كان مع الحرب ، وكانوا يقولون : إن من يمتنع عن الحرب يكون خائناً. (1)

نعم ، ثم تخرج الحكومة المصرية جيش مصر إلى فلسطين لتحريرها إنما كان عملاً سياسياً لإسكات الرأى العام الإسلامى فى مصر وغيرها .

قال اللواء أحمد الماوى - أول قائد للقوات المصرية فى فلسطين - : إن النقراشى قال له : إن الاشتباكات ستكون مجرد مظاهرة سياسية ، وليست عملاً حريبياً ، ويعتقد أن المسألة ستسوى سياسياً بسرعة ، وأن الأمم المتحدة سوف تتدخل . (2)

ولهذا لم تهتم الحكومة المصرية بتسليح جيشها تسليحاً يليق بالقتال ، بل أعطته أسلحة متدنية ، بل تواترت الأقوال بأنها زودته بأسلحة فاسدة تقتله إذا استعملها ولا تصل إلى اليهود (وهذا أمر مشهور).

ورفضت الحكومة المصرية أيضاً بقيادة "محمود فهمى النقراشى" السماح للتيار الإسلامى بإدخال فوج من المجاهدين المصريين إلى فلسطين ليرابطوا فى الجزء الشمالى من صحراء النقب ، مما اضطر بعض المجاهدين إلى طلب السماح لهم برحلة علمية إلى سيناء ، ووافقت الحكومة المصرية بعد إلحاح ، ولما علمت أن مجاهدى التيار الإسلامى وصلوا إلى صحراء النقب فى فبراير 1948 م ، وشرعوا فى القتال الفعلى ضد اليهود بصلافة وإيمان أزعج اليهود طلبت إلى المركز العام للإخوان المسلمين بالقاهرة سحب المجاهدين من النقب - أى وتركه لليهود - وكان طبيعياً أن يقابل طلبها بالرفض ، فمقطعت الحكومة الإمدادات والتموين عن المجاهدين ، وواصلت مراقبة الحدود بشدة ، لتضمن عدم وصول الإمدادات إليهم ، ليعودوا إلى مصر ، ويتركوا النقب لليهود (3)

(١) راجع نكبة فلسطين 122 نقلا عن جريدة الأهرام المصرية فى 1953/3/29 م .

(2) نفسه 123 نقلا عن مجلة آخر ساعة المصرية فى 1952/5/13 م .

(3) الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين 61 .. الحركة السياسية فى مصر (1945 م : 1952 م) ص 26 . طارق البشرى .

. وعزز على الحكومة المصرية في عهد النقراشي أن يستمر المجاهدون - المصريون - في جهادهم ضد اليهود ، فأمرت بوليسها أن يمنع عودة المجاهدين الذين يغادرون ميدان القتال لزيارة أهلهم في مصر في إجازات قصيرة ، حتى يقل عددهم شيئاً فشيئاً ، ويتركوا فلسطين لليهود !! .

وظن المجاهدون لهذا الخبث ، فمنعوا الإجازات ، وامتنعوا عن رؤية الأهل والأحباب في مصر ، ليرابطوا في فلسطين ، ويقاتلوا اليهود !!.

وحين احتل اليهود " بئر سبع " وسيطروا على " النقب " ، وأصبح وضع الجيش المصري محرجاً ، وحوصرت قواته في الفالوجا وضع اللواء (المواوي) بك خطة لاختراق الحصار المضروب حول حامية " الفولجا " ونقادها بالقوة ، ورأى أن يقوم المجاهدون المسلمون بأهم أجزائها ، فأرسل الشيخ (محمد فرغلي) رئيس المتطوعين من الإخوان المسلمين إلى المركز العام للإخوان المسلمين بالقاهرة ، لإرسال مجاهدي الإخوان المسلمين من مصر على وجه السرعة ، واستجاب المركز العام للإخوان المسلمين وأخذ يعد أكبر عدد من المجاهدين .

وما إن تنهى النبا إلى مسامع رئيس الحكومة المصرية (محمود فهمي النقراشي) حتى هاج وماج ، ورفض قبول الفكرة من أساسها .. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أصدر أوامره بسحب اللواء (المواوي) من ميدان القتال ، وتعيين اللواء (فؤاد صادق) محله ، وتسلم الأخير عمله في 1948/11/11 م .

وقام (النقراشي) بحل جمعية الإخوان المسلمين ، واعتقال أكبر عدد من أتباعها على مستوى مصر ، وكان على رأسهم (محمد فرغلي) الذي أرسله اللواء المواوي لاستعجال المجاهدين من الإخوان المسلمين إلى فلسطين ، كما قامت حكومته باغتيال مؤسسها ومرشدها الإمام (حسن البنا) رحمه الله .

ولم يقف النقراشي عند هذا الحد المؤسف بل أصدر أوامره المشددة إلى اللواء (فؤاد صادق) بفلسطين بسحب مجاهدي الإخوان المسلمين من مواقعهم ، حيث كانوا يحتلون المناطق بالمستعمرات اليهودية - وأن يجردهم من أسلحتهم ، وأن يعتقلهم ويرسلهم كأسرى حرب إلى المعتقلات في مصر ، إلا أن اللواء (فؤاد صادق) رفض اعتقالهم كأسرى حرب ، واكتفى بسحبهم من مواقعهم القتالية ، واغتصب أسلحتهم التي اشتروها بأموالهم الخاصة ، واعتقلهم في رفح على حدود مصر ، ثم أرسلوا إلى باقى معتقلات مصر .

بل فعلت الحكومة المصرية مع المجاهدين ما ترفضه الإنسانية والأعراف الدولية ، حيث أن هؤلاء المجاهدين الذين قهرروا اليهود في معركة " دير البلح " وغيرها ، وأجلوهم عنها ، وأزروا

الجيش المصرى الذى عجز عن رد اليهود وقتلذ ، هؤلاء المجاهدون حينما عاد جرحاهم إلى مصر لعالجة جروحهم الخطيرة فى المستشفيات امر البوليس السياسى المصرى بنقلهم من المستشفيات إلى معتقل " الطور " دون علاج ، مثل المجاهد " عويس عبد الله عبد الوهاب " ، والمجاهد " سيد عيد يوسف " الذين نرما من المستشفى وجراحهما تنزف دماً ، وألقيا فى أحد العنابر الرطبة فى معتقل الطور دون غذاء ودون علاج .

خيانة أم مؤامرة ؟

وهكذا عاد المجاهدون من ساحة القتال - أصحاب جرحى - إلى الاعتقال فى معتقلات مصر ، لا لسبب إلا لأنهم حاربوا اليهود ، وقهرهم لتحرير فلسطين من دنسهم .

ولما أخلت مواقعهم كما أمرت الحكومة المصرية احتلها اليهود بغير قتال أحياناً ، وأحياناً أخرى بقتال خفيف كما حدث فى تبة الشيخ (نوران) ، وأصبح فى مقدورهم مراقبة الجيش المصرى ، وإحصاء حركاته (1)

كل هذا جعل الأستاذ الإمام حسن البنا مؤسس ومرشد جمعية الإخوان المسلمين رحمه الله يقول : ما فيش فائدة ، هؤلاء الناس - الحكومة المصرية - مش عايزين يحاربوا !! .

بل قال صراحة فى محاضرة له : إنى أشم رائحة خيانة (2)

ولو أنصف لقال : إنى أجد خيانة .. مؤامرة ..

ومن قبله أدرك القائد العراقى المشهور "مصطفى راغب" أن تلك المعركة تمثيلية حبكها الحكام العرب لصالح اليهود . فاستقال من منصبه العسكرى ، وقال : أنها تمثيلية ولا يرغب فى أن يكون أحد أفرادها الممثلين فى فلسطين.(3)

المريب فى الأمر أن القادة العرب أتاحوا للجنرال الإنجليزى " جلوب " رئيس الجيش الأردنى المسلم أن يضع خطة لإنقاذ الجيش المصرى المحاصر فى الفالوجا (١٩) .. ووضع هذا الصليبى خطة تكفى لإبادة الجيش ، وتدمير أسلحته بأيدى اليهود .

(1) راجع الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين 125 ، 132 ، ص 2.7 ، 235 .. لعبة الأمم وعبد الناصر 36 ، 37 .. الطريق إلى بيت المقدس 2/235 ، 236 .

(2) الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين 213 ، 183 .. قال : " إنى أشم رائحة خيانة " ، وذلك فى محاضرة له فى مدينة منيا القمح - شرقية - مصر ، وذكر أن النقراشى رئيس الحكومة هو الذى يصدر أوامره إلى القادة العسكرىين فى الميدان (!!!) .

(3) جهاد شعب فلسطين ص 411 .

ومن خطته أن يخرج الضباط والجنود من مواقعهم خفية بملابس النساء (111) إلا أن اللواء " أحمد فؤاد صادق " تدارك الأمر وأبرق إلى قائد الفالوجا الأميرالاي " السيد طه " قائلاً : أرفض هذه الخطة ، وأطرد ذلك السكير " لوكيت " من مواقعك ، أى مجد عسكري في مثل هذا العمل ، إنها كارثة ، دافعوا عن مواقعكم لأخر طلقة ، ولأخر رجل ، فهكذا يجب أن يكون جنود مصر .

وكان هذا سبباً كافياً لتنحية اللواء " أحمد فؤاد صادق " من موقعه ، وهو دليل صارخ على أن النظام المصري الحاكم وقتئذ كان خائناً ، ويعمل هو الآخر لخدمة اليهود ومخططهم (1)

وظل حكام العرب على العهد بهم في خيانة أمتهم الإسلامية ، وترك فلسطين فريسة لليهود إلى يوم الناس هذا .. ففى عام 2002 م وأثناء اعتداء اليهود على ما تبقى للفلسطينيين من أرض فلسطين وقتلوا الرجال والنساء والأطفال الفلسطينيين في مجازر جماعية في "جنين" ورام الله وغيرهما طالبت الشعوب العربية بضرورة ردع اليهود وإنقاذ الأخوة الفلسطينيين . وكان رد رئيس أكبر دولة عربية (مصر) : القرار لصاحب القرار ، قال :

إننى لا أسعى إلى نيل تصفيق من يريدون إعادتنا إلى الوراء ، وقال تراجع : وتساؤلى عن صيحات دقات طبول الحرب التى نسمعها فى هذه الأيام فأقول لك : إن جيش مصر لا هم له ولا هدف إلا الدفاع عن بلده ، وحماية حدوده، وردع أى عدوان تتعرض له مصر .. القوات المسلحة المصرية ليست جيشاً من المرتزقة ، ولا تحارب من أجل الحرب" ا هـ. (2)

الا يعد هذا إخطاراً رسمياً لليهود بأن يفعلوا بفلسطين وأهلها ما يشاءون؟ فلن تتدخل مصر عسكرياً لمنعهم .. فمصر وجيشها شيء ، وفلسطين وأهلها شيء آخر .

وهذا يذكرنا بما قاله رئيس وزراء مصر أيام حرب 1948 م "محمود فهمى النقراشى" لما سئل عن الموقف من أمر فلسطين قال : أنا رئيس وزراء مصر ، ولست رئيس وزراء فلسطين .

الا يعنى هذا أن موقف حكومة مصر من تحرير فلسطين لم يتغير إلى اليوم ؟

مرة أخرى : من الذى باع فلسطين لليهود ؟ .. الفلسطينيون الذين قاتلوا على أرضها ورووها بدمائهم وطُردوا منها قهراً أم القادة العرب الذين حالفوا بريطانيا واليهود وأمريكا ، واستسلموا لأوامرهم ومخططهم ، وخانوا فلسطين وأهلها ؟

(1) الطريق إلى بيت المقدس 31/2 ط ثانية .

(2) أخبار اليوم المصرية فى 1423/1/3 هـ الموافق 2002/4/13 م .

الخلاصة

أولاً :- إن الفلسطينيين لم يبيعوا أرضهم وديارهم لليهود ، ولا لغير اليهود ، ولم يفرطوا فيها ، ولا في حقها عليهم يوماً ، بل ضحوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله للحفاظ عليها ، وحمايتها من كيد اليهود وذنسهم ، ولا زالوا إلى اليوم يروونها بدمائهم وأموالهم ، فما من يوم يمر إلا ويقدمون الأموال بعد الأموال ، والشهداء بعد الشهداء بقدر استطاعتهم .

والصحيح : أن فلسطين اغتصبت منهم ، وطُردوا منها ، وأعطيت لليهود رغماً عنهم ، ولا فهل باعوا الصحراء والأرض الموات ، وأراضى الأوقاف والبحار ، وميناء أم الرشراش ، وغيرها ؟
شهادة :

وقد شهد بهذا المنصفون ممن شاهد وعقل ، من العرب ومن غير العرب :

1 - قال الشيخ التميمي - إمام وخطيب المسجد الأقصى :-

ومع أن البريطانيين واليهود انتهجوا سياسة التضييق على الفلسطينيين ليبيعوا أرضهم أو يهجروها كما ذكرنا إلا أن هذه السياسة لم تنجح في أن يبيع أهل فلسطين أرضهم ويقوا متشبثين بها ، بالرغم مما يقوله أعوان اليهود وسماسرة الحكام من أمثال المدعو أنيس منصور رئيس تحرير مجلة (أكتوبر) المصرية الذي قال - بكل وقاحة - : إن اليهود اشتروا فلسطين شبراً شبراً ، حتى يبرر لسيده المرتد مناداته ببقاء دولة اليهود في فلسطين . والواقع هو أن اليهود كانوا يملكون من أرض فلسطين 2 في المائة حتى سنة 1918م ، وحتى 1948م كان مجموع ما ملكه اليهود من فلسطين 5.8 في المائة حسب إحصائية الأمم المتحدة . ولم يكن الـ 3.8 في المائة يبعاً من أهل فلسطين ، وإنما كان من الأراضى التى تملكها الدولة وأعطتها بريطانيا النصرانية لليهود ، وبعض العائلات الإقطاعية التى كانت تمتلك قسماً كبيراً من شمال فلسطين وكانت تقيم في لبنان ، ومنها عائلة سرسق وعائلة سلام ، باعت أرضها لليهود . (1)

وها هو الكولونيل عبد الله التل أحد جنود فلسطين ، وأحد شهود معاركها واغتصابها حتى هاجر إلى مصر عام 1949م قال :

ولا يتصورن القارئ أن عرب فلسطين قد فرطوا في أرضهم ، وتهاونوا في الدفاع عنها .. فرغماً عن جميع خطط التهويد والإرهاب والبطش والإفقار والإغراء والمكر والخداع التى اتبعها

(1) زوال إسرائيل حتمية قرآنية ص 54 .

الإنجليز وسادتهم اليهود في فلسطين فإنهم خرجوا منها سنة 1948 م وما بأيدي اليهود من أرض فلسطين لا يتجاوز 7.5% من مجموع مساحة فلسطين اهـ (1) .

أقول : حتى هذه المساحة 7.5% اغتصبها الإنجليز وسادتهم اليهود من عرب فلسطين وطردوهم منها رغماً عنهم ، وسلموها لليهود .

يقول صحافى عربى مشهور : " من المؤلم حقاً أن يقال فى المجالس الخاصة أو يكتب فى الصحف من وقت إلى آخر أن عرب فلسطين قد قصروا تجاه أنفسهم وفى حق بلادهم ، ففرضوا فى أرضهم وباعوها لليهود ، ولم يدافعوا كما يجب عن وطنهم ، فلم يضحوا فى سبيله .. إلى غير ما هناك من تهم باطلة ، حرام أن يلصق بهؤلاء الأخوان الذين نكبوا فى أشخاصهم وعائلاتهم وبلادهم وكل ما هو عزيز لديهم ، هذا الافتراء الذى يخالف الحقيقة بالواقع ويخدم العدو الذى سرق جزءاً من الوطن العربى ، ويتربص بالعرب ليسرق من وطنهم جزءاً آخر.. يا ناس ، عرب فلسطين قاوموا إلى أبعد حدود المقاومة ، وأقدموا على أعمال فوق طاقة البشر ليصونوا تراث آبائهم ، ويحافظوا على وطنهم .. قاوموا الإغراء بالمال ، يوم كان اليهود يدفعون لهم ألف جنيه ثمناً لأرض تساوى مائة جنيه ، الإنجليز حاربوهم بالإرهاب ، واليهود حاربوهم بالندس والتزوير .. حكومة فلسطين الإنجليزية سنت قوانين جائرة الغرض منها انتزاع الأرض من العرب وإعطائها لليهود .. كانت تحرم الحلال وتحلل الحرام ، لخدمة اليهود ، وللإضرار بالعرب .. منعت أبناء البلاد العربية أن يقيموا فى فلسطين ، وفتحت إليها أبواب الهجرة اليهودية .. السجون امتلأت بالعرب الأبرياء فى حين أن المجرمين اليهود كانوا يمرحون فى البلاد أحراراً .. ثار العرب مرة بعد مرة ، تظاهروا .. أضرىوا عن العمل .. حملوا السلاح .. قاتلوا فى المدن وفى القرى وفى الجبال .. شهداؤهم يعدون بالآلاف .. تضحياتهم الضخمة لا تتناسب مع عددهم ومساحة بلادهم .. حرام أن يظلمهم المفترون ، وعار أن يكون المفترون أحياناً من العرب أنفسهم .

وهكذا يبين واضحاً برغم المعركة غير المتكافئة طوال تاريخ الانتداب البريطانى، أن عرب فلسطين كانوا هم الجانب الأكثر مناعة فى الحفاظ على أرضهم ، والتشبث بها برغم سياسة الإفقار، واغتصاب الديار .

2 - توينبى يشهد لعرب فلسطين :

وكان موضوع تملك الفلسطينيين وتمسكهم بأرضهم ، موضوع "بحث" قد أحدث دويماً عالمياً حين صدر من رجل أوربى بل من بريطانى ، بل من أستاذ التاريخ الدولى فى جامعة لندن ،

(1) راجع خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية ص 255 ط دار القلم 1964 م (دار الشروق حديثاً)

أقيمت في إحدى المستوطنات اليهودية غير الشرعية في الضفة الغربية وتدعى "تاكوا" ، ونزلت لفترة في منزل " ليندا ويويى براون" وهما من الجيل الأمريكي الثالث، وقد أخبراني أنهما استعملا المسدسات وينادق "أوزي" لمصادرة الأرض من الفلاحين الفلسطينيين . (1)

ثانياً : إن الذي باع فلسطين شبراً شبراً ، وقرية قرية ، ومدينة مدينة ، القادة العرب الذين تولوا أمر البلاد العربية بعد رحيل الدولة العثمانية ، ورضى عنهم أسيادهم من الصليبيين واليهود .

فبعضهم استسلم لأوامر أسياده ضد فلسطين وأهلها ، لقاء دراهم معدودة، ومناصب موقوتة ، وقد أشرنا إلى بعضهم في الأردن ومصر .

ولا زلنا نذكر أن السلطة الأردنية في عهدها الحالي (1422 هـ / 2001 م) أوقفت نشاط منظمة " حماس " وطاردت أتباعها مثل الكيان اليهودي، لا لشيء إلا لأنها تجاهد اليهود لتحرير فلسطين ، ومنعت أحد أتباع " حماس " وهو " إبراهيم غوشة " من دخول الأردن ، مع أنه أردني الجنسية ، ويحمل جواز سفر أردني، وظل محجوزاً في مطار الأردن أسبوعين تقريباً حتى قبل أن يجمد نشاطه في منظمة " حماس " وحينئذ سُمح له بدخول الأردن (2)

والبعض الآخر من الحكام العرب وقف مكتوف الأيدي ، ثم يجاهد اليهود إلا بالشعارات الكلامية الفارغة ، وعبارات الشجب ، والاستنكار ، والإدانة ، والاحتجاج ، وما شابه ذلك ، وإقامة المؤتمرات لتنفض بعد أن تلقى توصياتها ومقرراتها على الأرفف .

هؤلاء جميعاً خدثوا فلسطين وأهلها .. وياعوا فلسطين لليهود بثمن بخس ، وقتلوا من أهلها ما قتلوا ، وطردوا ما تبقى منهم من أرضهم لكن بأيدي اليهود .. هؤلاء باستسلامهم لأسيادهم ، وأولئك بخذلانهم وسكوتهم .

وقد تعلمنا أن السكوت عن مقاومة الظلم ظلم ، وأن الساكت عن ردع الظالم مع قدرته على ردعه ظالم أيضاً ، وأن الساكت عن ردع القاتل مع قدرته على ردعه حتى قُتل المظلوم هو قاتل ولا شك ، فلو أن إنساناً يقتل رجلاً ظلماً وكان بجواره رجل يستطيع ردع القاتل ، ولم يفعل اختياراً منه حتى قُتل المظلوم ، فهو قاتل مشارك في القتل ..

فالعرب بإمكانهم نصرة فلسطين وأهلها ، ولكن بسكوت حكاهم عن نصرتها اختياراً حتى اغتصبها اليهود ، وقتلوا أهلها ، وطردوا ما تبقى منهم يكونوا هم قتلة أيضاً ، وهم الذين سلموا فلسطين لليهود بيعاً أو هبة .

(1) راجع النبوءة والسياسة : جريس هالسل ، ص 16 .
(2) راجع الصحف العربية عام 1422 هـ .. 2001 م .

وهو "أرنولد توينبي"، حيث حاضر في جامعة كندا، ثم حين ناظر السفير الإسرائيلي في تلك البلاد "ياماكوف هرتزوك" فقال: "اننى لا زلت أقول بأن إسرائيل بكاملها لا زالت من وجهة شرعية ملكاً لعرب فلسطين الذين نزحوا عنها، أثناء القتال مع الدول العربية، أما ممتلكات اليهود الحقيقية فهي الممتلكات التي اشتروها بحق خلال ثلاثين عاماً من الانتداب أو قبل ذلك، وهذه الأرض التي اشتروها خلال سنوات الانتداب إنما تشكل نسبة ضئيلة من المساحة التي تسيطر عليها إسرائيل في الوقت الحاضر، أما النسبة الكبرى من الأرض في إسرائيل الحالية والبيوت فيها، والأموال المنقولة التي يستعملها اليهود وأشجار الفاكهة وغيرها، فهي لا تزال حقاً شرعياً للاجئين العرب الذين يعيشون على مد البصر من تلك البيوت في ظروف قيد النشطاء والقنوط" (1).

وتبعاً لهذا التصريح الذي يلقيه استاذ التاريخ الدولي في جامعة لندن وهو الخبير بحقائق الأمور في فلسطين أيام انتداب دولته، تنهار تماماً دعوى اليهود بأنهم إنما يملكون أرضاً تملكوها بالشراء، وأن فلسطين أصبحت ملكاً لهم بذلك، ويدحض أيضاً ما نتج عن هذه الفرية من ترهات تناقلتها ألسن بعض العرب في عديد من الأوطان أساءوا بها للفلسطينيين وللتاريخ.

على أن الأستاذ توينبي برغم إعلانه أن إسرائيل لا تملك إلا مساحة صغيرة في فلسطين، لم يغرب عن باله ماذا كان يحدث هناك أيام سياسة تملك اليهود، فهو لا يقول أنهم يملكون ما اشتروه، ولكنه يضع مفهوماً لذلك الذي اشترى، ويقيده بأن ممتلكات اليهود الحقيقية هي الممتلكات التي اشتروها بحق، ولست أشك في أنه يعنى أن قسماً من الأرض قد اشتروها ولكن بغير حق، وهذه لا تدخل في إحصائية أملاكهم الشرعية، ومن ذلك ما أخذوه - ظلماً - في المزد تحت طائلة قانون نزع الملكية، وما أخذوه - ظلماً - بالممارسة تحت قانون تسوية الأراضي، وما أخذوه هبه من دولة الانتداب لمجرد الرغبة في تملك اليهود، وما أخذوه انتزاعاً نتيجة سياسة الإفلاس التي سارت عليها بريطانيا ضد العرب في تلك العهود.

3 - وقالت الكاتبة الأمريكية "جريس هانسل":

في عام 1979 م قابلت في فلسطين المحتلة لأول مرة في حياتي أحد الفلسطينيين. لقد أخبرني كيف أنه أجبر من خلال التهديد بالبندقية على مغادرة الأرض التي زرعها أجداده، وأجداد أجداده.

(1) أرنولد توينبي جريمة ودفاع، ترجمة عمر النيراوى، دار العلم للملايين بيروت، ص 108 - 109. نقله صاحب كتاب جهاد شعب فلسطين 498، 499.

إنى أصيح :

يا سادة .. يا قادة .. يا امرء .. يا علماء .. يا مفكرون .. يا قوم :

قد يقال إن في الفلسطينيين من خان أرضه وأهله لمصلحة اليهود .. ألم نسمع عن جاسوس من أبناء فلسطين يتجسس لخدمة اليهود . وبسببه استطاع اليهود ضرب المجاهدين واصطيادهم واحداً بعد الآخر ؟

ألم نسمع مسئولاً فلسطينياً اتهم رجالاً مسئولين في السلطة الفلسطينية بالتبعية للأمريكتا واليهود ، وخاتوا أهل فلسطين وسلموا بعض المجاهدين لليهود ، وكانوا سبباً في استشهاد آخرين ؟

وجوابنا : نعم ، سمعنا هذا ، وقرأنا عنه في الجرائد السيارة .

لكن لماذا التركيز على العيوب وتكثيرها وهي قليلة ، وتضخيمها وهي ضئيلة بجوار ما يقدمه الفلسطينيون من بطولات جهادية ، وحركات استشهادية .

لماذا لا نذكر ثبات هذا الشعب وحده رجالاً ونساءً ضد هجمات اليهود .. لماذا لا نذكر الشباب الاستشهادي ، والفتيات الاستشهاديات ، وآباء وأمهات الشهداء والأسرى ، وهم كثيرون .. كثيرون .. بل هم الشعب الفلسطيني كله .

أليس هؤلاء هم أهل فلسطين ؟ فلماذا نأخذ البراء المجاهدين وهم الشعب الفلسطيني بذنب ثلة قليلة من الخونة ممن لا تخلو منهم أمة ؟

ثم لماذا لا نذكر أن من يردد هذه الدعاوى خائن للإسلام وأمته ؟

نعم ، إن من يردد هذا ترك أهل فلسطين يقاومون وحدهم .. فلم يتقدم لهم بالسلاح الذي امتلأت به الخزائن الحربية في ديار العروبة ، بل أكله الصدا .

يا سادة .. يا قادة .. يا امرء .. يا علماء .. يا مفكرون .. يا قوم :

نحن لا نبرئ الفلسطينيين من كل سوء ، ففيهم ما يكون في كل أمة ، لكن سوادهم وجمهورهم لم يفرطوا في أرض فلسطين ، ولم يقصروا في حقها .

ثم ألم تحاكم السلطات المصرية مصريين عملوا جواسيساً لليهود ضد بلدهم مصر ؟ (1)
.. هل كل المصريين كهذا الجاسوس الخائن ؟ .. اللهم لا .

وهل سقطت العراق المسلمة في يد الأمريكيين عام 1424 هـ - 3..2 م إلا بخيانة ضباط
عراقيين كبار ؟ (2) .. هل كل الشعب العراقي كهؤلاء الخونة ؟ .. اللهم لا ..
وهكذا نجد مثل هؤلاء الخونة في كل دولة .

يا سادة .. يا قادة .. يا أمراء .. يا علماء .. يا مفكرون .. يا قوم :

قد يقال : إن هناك في دول الخليج البترولية ، ودول أوروبا وأمريكا الثرية فلسطينيين
متخمين غارقين في المال والترف ، فلماذا لم يحرروا أرضهم ؟

قلنا : هذا سمعناه ، لكن لا نعلم حقيقة أمرهم تجاه فلسطين ، فاتهمنا إياهم بالتقصير
في حق فلسطين رجم بالغيب ، ودعوى بغير بيعة لا يقرها الإسلام .. وظننا بهم أنهم لم يفرطوا
في فلسطين ، بل هي في قلوبهم ، ويفدونها بالغالي والرخيص .. والمعروف أنهم غير ممكنين من
دخولها .. ثم ما ذنب الفلسطينيين على أرض فلسطين الواقعين تحت حصار وقهر أسلحة
اليهود ، الذين نراهم صامدين صمود المؤمنين كما عاهدناهم ؟ .. ثم إن مشكلة فلسطين لا
يحلها أفراد مهما كان معهم من مال ، ولا الفلسطينيين وحدهم مهما كانت قوتهم ، إنما
يحلها عمل جماعي موحد منظم تتبناه عدة دول عربية ، أخلص لله قاداتها .

يا سادة .. يا قادة .. يا أمراء .. يا علماء .. يا مفكرون .. يا قوم :

لو افترضنا جدلاً أن الفلسطينيين والسلطة الفلسطينية تركوا فلسطين بيعاً أو هبة
لليهود ، هل يجوز للمسلمين جميعاً التسليم بما فعلوه بترك فلسطين لليهود ؟ ..

والجواب : كلا ، وألف كلا ..

(1) من هؤلاء الجواسيس - شريف الفلالي .. وهو مصري تعرّف في ألمانيا على امرأة يهودية ألمانية
الحقنة بأحد المعاهد لدراسة اللغة العبرية ، وطلبت منه الاشتراك في تأسيس مكتب لتزويج الإسرائيليات من
الشباب المصري كفكرة - يهودية - استراتجية - لإزالة الحواجز بين مصر وإسرائيل !!!
- عمل جاسوساً لليهود ضد بلده مصر .. وضبطته مصر متلبساً بجريمته ..
- حكمت عليه محكمة أمن الدولة العليا في مصر بالسجن (15) خمسة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة
وتخريبه .
- وعرفب شريكه الروسي "جريجوري شفتس" عميل المخابرات الإسرائيلية غائباً بالسجن بالأشغال الشاقة
المزيدة .
- قال رئيس المحكمة لشريف : يا شريف ، أنت تعلم أنك بعت وطنك - لليهود - مقابل دراهم معدودة وبئس
بئس "

راجع جريدة أخبار الحوادث المصرية 521 في 14/1/1423 هـ - 2003/3/28 م .
(2) حيث أمر هؤلاء الضباط الخونة جنودهم بإلقاء السلاح والانصراف إلى بيوتهم ليحتل الأمريكيون
العراق بغير مقاومة ، وهذا شائع معروف .. راجع الصحف العربية عام 1424 هـ - 2003 .

فإن فلسطين ليست ملكاً للفلسطينيين وحدهم ، بل هي ملك للمسلمين جميعاً ، إنها وقف إسلامي ، فيها أولى القبلتين ، وثالث المسجدين ، ومسرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعراجه ، فلا يجوز للمسلمين تركها أو التخلي عنها لليهود .. بل يجب تحريرها والحفاظ عليها لتظل إسلامية ، ويظل الأقصى مسجداً كما نص القرآن الكريم في قول الله سبحانه : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ نُنزِّلُ فِيهِ الْقُرْآنَ فَذَكِّرُ بِهِ لِقَوْمٍ يُخْتَلَفُ) (الإسراء : 1) .

فالثابت جغرافياً أن فلسطين من أرض الشام .. والثابت تاريخياً أن أراضي الشام وأراضي العراق فتحها المسلمون عنوة (أى بقتال) ورفض عمر بن الخطاب رضي الله عنه تقسيمها على المحاربين الغانمين وأبقاها وقفاً عاماً للمسلمين عامة ؛ للإئناق على مصالح المسلمين وتخوثرهم وجنودهم وفقرائهم.. فهي كما قال أبو يوسف، ويحيى بن آدم في كتابيهما "الخراج" أرض وقفها عمر بن الخطاب على مصالح المسلمين (1) .

ولهذا يجب على المسلمين جميعاً تحريرها ، وليس على الفلسطينيين وحدهم .

يا سادة .. يا قادة .. يا امرء .. يا علماء .. يا مفكرون .. يا قوم :

أصرخ فيكم .. أناديكم .. أرجوكم .. القدس قضية كل مسلم .. فلسطين قضية كل مسلم .. يجب عليكم نصرتها ونصرة أهلها .. ألم يقل الله تعالى : [وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ] 90 [وَقَاتِلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقِتَالِ] .. (البقرة : 190 ، 191)

ومضيان اليهود على بلاد الإسلام فتنة - والله - ما بعدها فتنة ، تسلط عدة ملايين من اليهود على مليار وثلث المليار مسلم .. على أكثر من ثلاثمائة مليون عربي فتنة والله كبيرة .. ألم يقل الله تعالى : (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لَدُنْكَ ولياً واجعل لنا من لَدُنْكَ نصيراً) (النساء: 75) .

يا سادة .. يا قادة .. يا امرء .. يا علماء .. يا مفكرون .. يا قوم :

أفيقوا قبل أن تدفعوا الجزية .. أفيقوا قبل أن تصير فلسطين أندلساً أخرى .. انقذوا فلسطين قبل أن تصير بلادكم فلسطيناً أخرى ، ويكون بطن الأرض خيراً لكم من ظهرها .

واتى والله لكم لناصح أمين .. وما اريد إلا الإنقاذ والإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا
بالله عليه توكلت وإليه انيب .

اللهم إني بلغت .. اللهم فاشهد

(فَسْتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَهْوَسُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) [غافر : 44]



محمد السيد الشناوى

من علماء الأزهر

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
3	مقدمة
5	شلت يمينى إن نسيتهك يا قنص
6	أولاً، فلسطين أرض صربية إسلامية ، وليست أرض اليهود
15	دولة بنى إسرائيل
27	الوعد التوراتى المزعوم لليهود
35	لمحة سريعة عن القدس
37	من أسماء القنص
38	فلسطين فى القرآن الكريم
39	القدس وفلسطين فى الحديث النبوى
41	المسجد الأقصى
44	هل بنى المسجد الأقصى على أنقاض الهيكل المزعوم ؟
52	حائط البراق
58	الفلسطينيون واكنوية بيع الارض
59	أولاً: هل الضالعة بنت اليهود
63	ثانياً: الفلسطينيون لم يبيعوا أرضهم
63	المرحلة الأولى
69	المرحلة الثانية
84	المرحلة الثالثة-
87	اغتصاب الأرض بالقانون
93	المرحلة الرابعة
97	هل قصر الفلسطينيون فى أرضهم
101	المرأة فى صف الجهاد والاستشهاد
108	وإذا قيل أن هناك من الفلسطينيين من باع أرضه لليهود
111	فتوى علماء فلسطين
117	من باع فلسطين ، الأحكام العرب ، أم عرب فلسطين
131	والخلاصة
135	إلى أصبح
139	القهرس